

دليل المتحريين

في

بيان الناجين

تأليف

الشيخ علي آل محسن

دَلِيلُ الْمُتَحَرِّينَ

فِي
بَيَانِ النَّاجِينَ

تَأَلَّفَ

الشيخ علي آل محسن



﴿إِنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ

النَّاسِ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ هود: الآية ١٧

صدق الله العلي العظيم

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أفضل خلقه وأشرف بريته محمد وآله الطيبين الطاهرين، وبعد:

فإن الناس قد اختلفوا إلى فرق عديدة، وتشعبوا إلى مذاهب كثيرة، وقد نشأ من ذلك الاختلاف انتشار الفتن، ووقوع المحن، وتحريف الأحكام، واستحلال الحرام، وصار أهل الحق لا يُعرَفون، والناجون من الناس لا يُميِّزون.

وقد مهّدت البحث بمقدمة أوضحت فيها المنهج الذي سلكته في مباحث الكتاب، وذكرت المصادر التي اعتمدت عليها، ليعلم القارئ ما يصلح للاحتجاج وما لا يصلح، وليعلم أيضاً أنني عوّلت على الكتب المعتمدة عند أهل السنة، واستندت إلى أقوال من يُتَابَع من علماء هذه الطائفة.

ورتَّبْتُ الكتاب في عشرة فصول، هي:

الفصل الأول: في ذم الفرقة والاختلاف.

الفصل الثاني: في افتراق الأمة إلى ثلاث وسبعين فرقة.

الفصل الثالث: في فرق الأمة الثلاث والسبعين.

الفصل الرابع: في أسباب حدوث الفرقة.

الفصل الخامس: في بيان أن فرقة واحدة على الحق.

الفصل السادس: في بيان الفرقة الناجية.

الفصل السابع: في أهل البيت ؑ.

الفصل الثامن: في الأئمة الاثني عشر ؑ.

الفصل التاسع: في بيان أتباع أهل البيت ؑ.

الفصل العاشر: في بيان حقيقة مذهب الشيعة الإمامية.

وسميته (دليل المتحيرين في بيان الناجين).

سائلاً المولى جلَّ شأنه أن يجعله كاسمه، وأن ينفع الناس به، ويجعله ذخراً لي

يوم فقري وفاقتي، إنه قريب مجيب.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على محمد وآله

الطيبين الطاهرين.

علي آل محسن

٥ شهر رمضان ١٤٢٤هـ

مدخل إلى البحث

لا ريب في أن هذا البحث - وهو بيان الفرقة الناجية - من أشكال المباحث التي يمكن بحثها، وذلك لأن الباحث يرتطم بكثير من العقبات التي قد تميله عن قول الحق وقبوله، مع ما في هذا البحث من كثرة المزالق التي زلّت فيها أقلام كثير من الفحول السابقين.

وعلى هذا الأساس رأينا أن نعتمد في كل كلامنا على ما يجوز الاعتماد عليه من المصادر التي يمكن أن نصل بها إلى ما نريده من معرفة الفرقة الناجية والطائفة المحقة.

المصادر المعتمدة في البحوث الآتية:

وهي ثلاثة مصادر مهمة:

الأول: هو القرآن الكريم، الذي وصفه الله سبحانه بأنه هو الحق، فقال ﴿والذي أوحينا إليك من الكتاب هو الحق﴾^(١).

ووصفه بأنه يهدي للحق، فقال ﴿إن هذا القرآن يهدي للتي هي أقوم ويبشّر

(١) سورة فاطر، الآية ٣١.

المؤمنين ﴿^(١)﴾.

ووصفه بأنه تبيان لكل شيء، وفيه من كل مثل، فقال سبحانه ﴿ونزلنا عليك الكتاب تبيانا لكل شيء وهدى ورحمة وبشرى للمسلمين﴾^(٢)، وقال ﴿ولقد ضربنا للناس في هذا القرآن من كل مثل لعلمهم يتذكرون﴾^(٣)، وقال ﴿ما فرطنا في الكتاب من شيء﴾^(٤).

ووصفه بأنه لا يأتيه الباطل، فقال عزَّ من قائل ﴿وإنه لكتاب عزيز ﴿لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد﴾^(٥).

وأخبر بأنه سبحانه حافظه من كل تغيير وتبديل، فقال ﴿إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون﴾^(٦).

والمصدر الثاني: هو الأحاديث المعتبرة المروية عن النبي عليه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ في كتب الأحاديث المعتمدة عند أهل السنة.

وحيث إن الأحاديث المدونة في مصادر الحديث المعروفة منها ما يُحتج به وهو الصحيح والحسن، ومنها ما لا يصح الاحتجاج به والتعويل عليه وهو الضعيف والموضوع، فلا بد حينئذ من ملاحظة أمرين مهمين:

الأول: أن الاحتجاج لا يصح إلا بالصحيح والحسن من الأحاديث^(٧)، دون

(١) سورة الإسراء، الآية ٩.

(٢) سورة النحل، الآية ٨٩.

(٣) سورة الزمر، الآية ٢٧.

(٤) سورة الأنعام، الآية ٣٨.

(٥) سورة فصلت، الآيتان ٤١ - ٤٢.

(٦) سورة الحجر، الآية ٩.

(٧) قال النووي في تقريبه: الحسن كالصحيح في الاحتجاج به وإن كان دونه في القوة (راجع تدريب الراوي ١٥٤/١). وقال ابن كثير في الباعث الحثيث، ص ٣٥: الحسن وهو في الاحتجاج به كالصحيح عند الجمهور. وقال ابن جماعة في المنهل الروي، ص ٣٦: الحسن حجة كالصحيح وإن كان دونه. وقال أبو سليمان الخطابي فيما حكاه عنه أبو الصلاح في مقدمته، ص ١٥: عليه مدار أكثر الحديث، وهو الذي يقبله

الضعيف والموضوع.

والثاني: أن التعويل على ما هو مدوّن في كتب الأحاديث المعروفة التي التزم مصنّفوها جمع الصحيح فقط، كصحيح البخاري ومسلم، أو جمع الصحيح وغيره ككتب السنن والمسانيد والمستدركات المعروفة.

وعليه فلن نحتج في هذا الكتاب إلا بما صحّحه أئمة الحديث الذين يتابعون في هذا الشأن، من الأحاديث المدوّنة في الكتب الحديثية المعروفة، ولن نورد حديثاً إلا ونتبعه بما قاله العلماء في تصحيحه أو تضعيفه على حسب ما يقتضيه المقام، اللهم إلا أحاديث الصحيحين اللذين أجمع علماء أهل السنة على أن كل ما فيها من الأحاديث المسندة فهو صحيح مجمع عليه، ومتلقّى عندهم بالقبول.

على أننا سنكتفي بتصحيح بعض الطرق المثبتة للحديث الذي نورده دون كل الطرق، لأن الحديث إذا رُوي بطريق واحد صحيح فهو حجة يجوز العمل به والتعويل عليه وإن كانت باقي طرقه ضعيفة.

فهنا أمران مهمّان يحتاجان إلى مزيد إيضاح:

الأول: أن كل ما في الصحيحين من الأحاديث المسندة صحيح.

الثاني: لزوم الاستناد في معرفة الحديث الصحيح على ما نصّ عليه أئمة الحديث في مصنفاتهم المعروفة.

أما الأمر الأول فقد نصّ عليه جمع من الأعلام، منهم:

١- ابن الصلاح^(١): فإنه قال: جميع ما حكم مسلم بصحته في هذا الكتاب^(١)

أكثر العلماء ويستعمله عامة الفقهاء.

(١) قال السيوطي في طبقات الحفاظ، ص ٥٠٣: ابن صلاح: الإمام الحافظ شيخ الإسلام تقي الدين أبو عمرو عثمان ابن الشيخ صلاح الدين عبد الرحمن بن عثمان بن موسى الكردي الشهرزوري الشافعي، صاحب كتاب (علوم الحديث) و (شرح مسلم) وغير ذلك... دَرَسَ بالصلاحية ببيت المقدس، ثم قدم دمشق، وولي دار الحديث الأشرفية، وتخرّج به الناس، وكان من أعلام الدين، أحد قضلاء عصره في التفسير والحديث والفقهاء، مشاركاً في عدة فنون، متبحراً في الأصول والفروع، يُضرب به المثل، سلفياً

فهو مقطوع بصحَّته، والعلم النظري حاصل بصحَّته في نفس الأمر، وهكذا ما حكم البخاري بصحَّته في كتابه، لأن الأمة تلقت ذلك بالقبول سوى من لا يُعتمد بخلافه ووفاقه في الإجماع^(٢).

٢- الحافظ أبو نصر الوايلي السجزي^(٣): قال: أجمع أهل العلم - الفقهاء وغيرهم - على أن رجلاً لو حلف بالطلاق أن جميع ما في كتاب البخاري مما رُوي عن النبي قد صح عنه، ورسول الله ﷺ قاله، لا شك في أنه لا يحنث، والمرأة بحالها في حبالته^(٤).

٣- أبو المعالي الجويني^(٥): قال: لو حلف إنسان بطلاق امرأته أن ما في كتابي البخاري ومسلم مما حكما بصحته من قول النبي ﷺ لما ألزمته الطلاق ولا حنثته،

زاهداً حسن الاعتقاد وافر الجلالة...

(١) قال ابن الصلاح في مقدمته، ص ١٢: ما أسنده البخاري ومسلم رحمهما الله في كتابيهما بالإسناد المتصل فذلك الذي حكما بصحته بلا إشكال، وأما المعلق - وهو الذي حُذف من مبتدأ إسناده واحد أو أكثر، فأغلب ما وقع ذلك في كتاب البخاري، وهو في مسلم قليل جداً - ففي بعضه نظر، وينبغي أن نقول: ما كان من ذلك ونحوه بلفظ فيه جزم وحكم به على مَنْ علَّقه عنه فقد حكم بصحته عنه. مثاله: قال رسول الله ﷺ كذا وكذا. قال ابن عباس كذا... روى أبو هريرة كذا، وما أشبه ذلك من العبارات... وأما ما لم يكن في لفظه جزم وحكم، مثل: رُوي عن رسول الله ﷺ كذا وكذا... أو في الباب عن النبي ﷺ كذا وكذا، فهذا وما أشبهه في الألفاظ ليس في شيء منه حكم منه بصحة ذلك عمَّن ذكره... ومع ذلك فإيراده له في أثناء الصحيح مشعر بصحة أصله، إشعاراً يؤنس به ويُركن إليه.

(٢) صحيح مسلم بشرح النووي ١/١٩. راجع تدريب الراوي ١/١٣١.

(٣) قال الذهبي في تذكرة الحفاظ ٣/١١١٨: الحافظ الإمام علم السنة عبيد الله بن سعيد بن حاتم بن أحمد الوائلي البكري، نزيل الحرم ومصر، وصاحب (الإبانة الكبرى) في مسألة القرآن، وهو كتاب طويل في معناه، دال على إمامة الرجل وبصره بالرجال والطرق. وقال في العبر ٢/٢٨٥: وكان متقناً أكثر بصيراً بالحديث والسنة.

(٤) مقدمة ابن الصلاح، ص ١٣.

(٥) قال السمعي في الأنساب ٢/١٢٩: الإمام أبو المعالي عبد الملك بن عبد الله بن يوسف الجويني، المعروف بإمام الحرمين، إمام وقته، ومن تغني شهرته عن ذكره، بارك الله تعالى في تلامذته حتى صاروا أئمة الدنيا، مثل الخوافي والغزالي والكنيا الهراسي والحاكم عمر النوقاني رحمهم الله.

لإجماع علماء المسلمين على صحتها^(١).

٤- ابن تيمية: قال: ومن الصحيح ما تلقاه بالقبول والتصديق أهل العلم بالحديث، كجمهور أحاديث البخاري ومسلم، فإن جميع أهل العلم بالحديث يجزمون بصحة جمهور أحاديث الكتائب، وسائر الناس تبع لهم في معرفة الحديث^(٢).

٥- أبو عبد الله الحميدي^(٣): قال في كتابه (الجمع بين الصحيحين): لم نجد من الأئمة الماضين رضي الله عنهم أجمعين من أفصح لنا في جميع ما جمعه بالصحة إلا هذين الإمامين^(٤).

وأما الأمر الثاني: وهو لزوم الاستناد في معرفة صحاح الأحاديث على ما قاله أئمة الحديث في كتبهم المعتمدة، فإن ذلك هو الذي يرفع النزاع بين الناس ويبعث الاطمئنان عندهم بصحة الأحاديث التي يُحتج بها إذا صحَّحها الخبير بها الذي لا يُتَّهم فيها.

هذا مضافاً إلى أنه هو السبيل الوحيد لمعرفة هذا النوع من الأحاديث، ولا سيما أن تصحيح الأحاديث في هذه الأعصار قد ضعف الاعتماد عليه، وقل الوثوق به^(٥)، فلا بد حينئذ من الرجوع إلى ما قاله أهل هذه الصناعة في كتبهم المعروفة، فإن وجود حديث في كتاب معتبر - عدا الصحيحين كما مر آنفاً - لا يدل على صحته واعتباره عندهم.

(١) شرح صحيح مسلم ١/ ٢٠. تدريب الراوي ١/ ١٣١.

(٢) علم الحديث، ص ٧٢.

(٣) قال السيوطي في طبقات الحفاظ، ص ٤٤٦: الحافظ الثبت القدوة أبو عبد الله محمد بن أبي نصر فتوح بن عبد الله فتوح بن حميد الأزدي الأندلسي الميورقي الظاهري، من كبار تلامذة ابن حزم... صنَّف (تاريخ الأندلس) و (الجمع بين الصحيحين)، وكان أفراد عصره في غزارة العلم والفضل والنبيل، حافظاً ورعاً ثباتاً، إماماً في الحديث والفقه والأدب والعربية والترسل.

(٤) مقدمة ابن الصلاح، ص ١٣.

(٥) اللهم إلا ما صحَّحه الشيخ محمد ناصر الدين الألباني في كتبه، فإننا سنذكره منضماً إلى تصحيح غيره لا منفرداً.

قال ابن الصلاح: إذا وجدنا فيما نروي من أجزاء الحديث وغيرها حديثاً صحيح الإسناد، ولم نجده في أحد الصحيحين، ولا منصوصاً على صحته في شيء من مصنفات أئمة الحديث المعتمدة المشهورة، فإننا لا نتجاسر على جزم الحكم بصحته... فأل الأمر إذن في معرفة الصحيح والحسن إلى الاعتماد على ما نصّ عليه أئمة الحديث في تصانيفهم المعتمدة المشهورة^(١).

وأما من رماه العلماء بالتساهل في تصحيح الأحاديث، كالحاكم النيسابوري الذي أودع في كتابه (المستدرك على الصحيحين) ما ليس في واحد من الصحيحين مما رآه على شرط الشيخين، أو شرط أحدهما، وما أدّى إليه اجتهاده إلى تصحيحه وإن لم يكن على شرط واحد منهما، فقد رماه بهذا التساهل غير واحد من العلماء الذين جاءوا بعده، كابن الصلاح^(٢)، وزين الدين العراقي^(٣)، والنووي^(٤)، والسيوطي^(٥)، وابن حجر العسقلاني^(٦)، وشمس الدين الذهبي^(٧)، وغيرهم، فلن نحتج بما تفرّد بتصحيحه من الأحاديث، اللهم إلا ما كان حسناً عند غيره، فإنه حجة كما مر.

والمصدر الثالث: أقوال أساطين علماء أهل السنة، الذين يقتضي الناس آثارهم، ويتبعونهم في آرائهم، فإني عوّلت عليها في ثلاثة أمور:

الأمر الأول: في تصحيح الأحاديث التي أوردتها في ثنايا البحث، وقد تقدم بيان ذلك.

والأمر الثاني: في بيان معاني الأحاديث والآثار التي نوردتها، وتفسير الآيات

(١) مقدمة ابن الصلاح، ص ٩.

(٢) المصدر السابق، ص ١١.

(٣) فتح المغيث، ص ١٧، التقييد والإيضاح، ص ٣١.

(٤) تدريب الراوي ١/ ١٠٥.

(٥) المصدر السابق.

(٦) لسان الميزان ٥/ ٢٣٣.

(٧) ميزان الاعتدال ٣/ ٦٠٨.

القرآنية التي نحتج بها.

والأمر الثالث: في أمور أخرى مختلفة، من نقل الأقوال وتراجم الرجال وبيان حال الرواة وغير ذلك.

والحاصل أني نقلت كثيراً من كلماتهم وأقوالهم، واعتمدت غالباً على آرائهم، عامداً إلى ترجيح بعض الأقوال على بعض في حال الاختلاف، اللهم إلا إذا لم أجد لهم في ذلك شيئاً ذا بال، فإنني أذكر ما يؤدي إليه النظر القاصر بما أراه من الدليل، وما أصل إليه من برهان، مع أن ذلك كله لا يمنع أحياناً من مخالفة من وقفت على آرائهم، فأذهب إلى خلاف ما يقولون، وأعتمد على غير ما يقرّرون، إذا قام الدليل على خلاف قولهم، ونهضت الحجة على غير رأيهم، لأن هؤلاء الأعلام وإن جلّوا في النظر إلا أنهم رجال يصيبون ويخطئون.

هذا ما أردت بيانه في هذه المقدمة، والله المستعان، وعليه التكلان.

الفصل الأول

ذم الفرقة والاختلاف

الاختلاف بين الناس منه محمود، ومنه مذموم:

أمّا المحمود منه فهو اختلافهم في أبدانهم وألوانهم وألستهم وميوهم وطبائعهم وعاداتهم وعقولهم، فهو من نِعَم الله الظاهرة، وآياته الباهرة، الدالّة عليه والمرشدة إليه، كما أخبر جَلَّ شأنه، فقال ﴿ومن آياته خلق السموات والأرض واختلاف ألسنتكم وألوانكم إن في ذلك لآيات للعالمين﴾^(١).

وذلك لأن الناس لو لم تختلف صورهم لما عُرف المحسن من المسيء، والطيب من الخبيث، ولضاعت الحقوق، وهُتكت الأعراض، وضاعت الأنساب، واختل نظام الكون.

ولولا اختلاف الميول والرغبات لما استقامت على الأرض حياة، إذ يتزاحم الناس كلهم في المكان الواحد، ويتكالبون على المطعم الواحد والمشرب الواحد، ويتكدّسون في الصنعة الواحدة... وما إلى ذلك.

فهذا الاختلاف لا بدّ منه، ولا غضاضة فيه، ولو شئتنا رفعه أو دفعه لما كانت لنا في ذلك حيلة ولا طاقة.

وأما الاختلاف المذموم فهو الاختلاف في الدين.

قال جَلَّ وعلا ﴿شرع لكم من الدين ما وصّى به نوحاً والذي أوحينا إليك وما وصينا به إبراهيم وموسى وعيسى أن أقيموا الدين ولا تتفرقوا فيه﴾^(٢).

(١) سورة الروم، الآية ٢٢.

(٢) سورة الشورى، الآية ١٣.

وقال سبحانه ﴿إِنَّ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيَعًا لَسْتَ مِنْهُمْ فِي شَيْءٍ إِنَّمَا أَمْرُهُمْ إِلَى اللَّهِ، ثُمَّ يُنَبِّئُهُمْ بِمَا كَانُوا يَفْعَلُونَ﴾^(١).

وقال جل شأنه ﴿وَلَا تَكُونُوا مِنَ الْمُشْرِكِينَ ۖ مِنَ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيَعًا كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ﴾^(٢).

وإنما كان الاختلاف في الدين مبعوضاً عند الله ومنهياً عنه لما يترتب عليه من المفاصد العظيمة والمضار الفادحة، التي منها:

١- الوقوع في الضلال: ويدل عليه قوله سبحانه ﴿... وَلَكِنْ اخْتَلَفُوا فَمِنْهُمْ مَنْ آمَنَ، وَمِنْهُمْ مَنْ كَفَرَ﴾^(٣)، وقوله ﴿وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ﴾^(٤) لأن الحق واحد، فما خالفه لا يكون إلا باطلاً ﴿فَإِذَا بَعَدَ الْحَقُّ إِلَّا الضَّلَالُ﴾^(٥).

٢- ضعف المسلمين وذهاب شوكتهم: ويدل عليه قوله سبحانه ﴿وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ وَاصْبِرُوا إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾^(٦). وقوله ﴿وَلَقَدْ صَدَقَكُمُ اللَّهُ وَعْدَهُ إِذْ تُحْسِنُونَ بَأْذَنَهُ حَتَّى إِذَا فَشِلْتُمْ وَتَنَازَعْتُمْ فِي الْأَمْرِ وَعَصَيْتُمْ مِنْ بَعْدِ مَا أَرَاكُمْ مَا تَحْبُونَ مِنْكُمْ مَنْ يَرِيدُ الدُّنْيَا وَمَنْكُمْ مَنْ يَرِيدُ الْآخِرَةَ ثُمَّ صَرَفْنَا عَنْهُمْ آيَاتِنَا وَلَقَدْ عَفَا عَنْكُمْ وَاللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ﴾^(٧).

والمراد باختلافهم في الدين هو الاختلاف في أصول العقائد، لا في الفروع الفقهية، فإن الصحابة والتابعين قد اختلفوا في مسائل فقهية كثيرة، وكذا أئمة

(١) سورة الأنعام، الآية ١٥٩.

(٢) سورة الروم، الآيتان ٣١-٣٢.

(٣) سورة البقرة، الآية ٢٥٣.

(٤) سورة الأنعام، الآية ١٥٣.

(٥) سورة يونس، الآية ٣٢.

(٦) سورة الأنفال، الآية ٤٦.

(٧) سورة آل عمران، الآية ١٥٢.

المذاهب، فإنهم قد اختلفوا في أغلب فروع الفقه إن لم يكن فيها كلها، إذ ما من مسألة لا تُعد ضرورية إلا واختلفوا فيها إلى أكثر من قول، وأفتوا فيها بأكثر من فتوى. بل لا تكاد تجد فقيهين من طائفة واحدة يتفقان في جميع الفتاوى، بل إن الفقيه الواحد ربما عدل عن فتواه في المسألة الواحدة بين حين وآخر على حسب ما يظهر له من الدليل.

ولهذا قال المناوي في شرح قول النبي ﷺ: (افتقرت اليهود على إحدى وسبعين فرقة، وتفرقت النصارى على اثنتين وسبعين فرقة، وتفرقت أمّتي) قال: في الأصول الدينية، لا الفروع الفقهية، إذ الأولى هي المخصوصة بالذم. وأراد بالأمة من تجمعهم دائرة الدعوة من أهل القبلة...^(١).

وقال في موضع آخر: على إن اختلاف هذه الأمة في الفروع مغفور لمن أخطأ منهم^(٢).

وقال: قال الذهبي: وبين الأئمة اختلاف كبير في الفروع وبعض الأصول، وللقليل منهم غلطات وزلقات ومفردات منكرة، وإنما أمرنا باتباع أكثرهم صواباً... وما زال الاختلاف بين الأئمة واقعاً في الفروع وبعض الأصول مع اتفاق الكل على تعظيم الباري جل جلاله، وأنه ليس كمثل شيء، وأن ما شرّعه رسول الله حق، وأن كتابهم واحد، ونبیهم واحد، وقبلتهم واحدة...^(٣).

وقال عبد القادر البغدادي:... وإنما يختلفون^(٤) في الحلال والحرام من فروع الأحكام، وليس بينهم فيما اختلفوا فيه منها تضليل ولا تفسيق^(٥).

وقال النووي: قال الخطابي: والاختلاف في الدين على ثلاثة أقسام: أحدها: في

(١) فيض القدير ٢/ ٢٠.

(٢) المصدر السابق ١/ ٢١٠.

(٣) المصدر السابق ١/ ٢١٠.

(٤) يعني علماء أهل السنة.

(٥) الفرق بين الفرق، ص ٢٦.

إثبات الصانع ووحدانيته، وإنكار ذلك كفر. والثاني: في صفاته ومشيئته، وإنكارها بدعة. والثالث: في أحكام الفروع المحتملة وجوهاً، فهذا جعله الله تعالى رحمة وكرامة للعلماء، وهو المراد بحديث (اختلاف أمتي رحمة) ^(١).

وقال القرطبي في تفسير آية الاعتصام: وليس فيه دليل على تحريم الاختلاف في الفروع، فإن ذلك ليس اختلافاً، إذ الاختلاف ما يتعدَّر معه الائتلاف والجمع، وأما حكم مسائل الاجتهاد فإن الاختلاف فيها بسبب استخراج الفرائض ودقائق معاني الشرع، وما زالت الصحابة يختلفون في أحكام الحوادث، وهم مع ذلك متآلفون، وقال رسول الله ﷺ: (اختلاف أمتي رحمة)، وإنما منع الله اختلافاً هو سبب الفساد ^(٢).



وقد تضافرت الآيات القرآنية والأحاديث النبوية في ذم الفرقة والاختلاف والنهي عنهما والتحذير منها ومن عواقبها.

أما الآيات القرآنية فمنها ما تقدم ذكره، ومنها:

١- قوله سبحانه ﴿واعتصموا بحبل الله جميعاً ولا تفرقوا واذكروا نعمة الله عليكم إذ كنتم أعداء فألف بين قلوبكم فأصبحتم بنعمته إخواناً﴾ ^(٣).

قال الطبري: يعني جل ثناؤه بقوله ﴿ولا تفرقوا﴾ ولا تتفرقوا عن دين الله وعهده الذي عهد إليكم في كتابه من الائتلاف والاجتماع على طاعته وطاعة رسول الله ﷺ، والانتهاج إلى أمره ^(٤).

وقال الفخر الرازي: في التأويل وجوه:

الأول: أنه نهى عن الاختلاف في الدين، وذلك لأن الحق لا يكون إلا واحداً،

(١) صحيح مسلم بشرح النووي ٩٢/١١.

(٢) الجامع لأحكام القرآن ١٥٩/٤.

(٣) سورة آل عمران، الآية ١٠٣.

(٤) جامع البيان في تفسير القرآن ٢١/٤.

وما عداه يكون جهلاً وضلالاً، فلما كان كذلك وجب أن يكون النهي عن الاختلاف في الدين، وإليه الإشارة بقوله ﴿فماذا بعد الحق إلا الضلال﴾.

والثاني: أنه نهى عن المعادة والمخاصمة...

والثالث: أنه نهى عما يوجب الفرقة، ويزيل الألفة والمحبة^(١).

٢- قوله تعالى ﴿ولا تكونوا كالذين تفرقوا واختلفوا من بعد ما جاءهم البينات وأولئك لهم عذاب عظيم﴾^(٢)

قال الطبري: يعني بذلك جل ثناؤه ﴿ولا تكونوا﴾ يا معشر الذين آمنوا ﴿كالذين تفرقوا﴾ من أهل الكتب ﴿واختلفوا﴾ في دين الله وأمره ونهيه ﴿من بعد ما جاءهم البينات﴾ من حُجج الله فيما اختلفوا فيه، وعلموا الحق فيه، فتعمدوا خلافه، وخالفوا أمر الله، ونقضوا عهده وميثاقه جراً على الله، ﴿وأولئك لهم عذاب عظيم﴾، يقول جل ثناؤه: فلا تفرقوا يا معشر المؤمنين في دينكم تفرق هؤلاء في دينهم، ولا تفعلوا فعلهم، ولا تستنوا في دينكم بسنتهم، فيكون لكم من عذاب الله العظيم مثل الذي لهم^(٣).

وأما ما ورد من الأحاديث فكثير، منه:

١- ما أخرجه البخاري عن أبي هريرة، عن النبي ﷺ قال: دعوني ما تركتكم، إنما هلك من كان قبلكم بسؤالهم واختلافهم على أنبيائهم، فإذا نهينكم عن شيء فاجتنبوه، وإذا أمرتكم بأمر فأتوا منه ما استطعتم^(٤).

وأخرجه مسلم باختلاف يسير^(٥)، والترمذي كذلك، وقال: هذا حديث حسن

(١) التفسير الكبير ٨/١٦٣.

(٢) سورة آل عمران، الآية ١٠٥.

(٣) جامع البيان في تفسير القرآن ٤/٢٦.

(٤) صحيح البخاري ٩/١١٧ كتاب الاعتصام، باب (٢).

(٥) صحيح مسلم ٢/٩٧٥ كتاب الحج، باب (٧٣).

صحيح^(١).

وقال الهيثمي: رواه الطبري في الأوسط، ورجاله ثقات^(٢).

٢- وأخرج مسلم وأبو داود والترمذي والنسائي وأحمد وغيرهم، عن عرفة قال: إنه ستكون هنأت وهنات^(٣)، فمن أراد أن يفرق أمر هذه الأمة وهي جميع، فاضربوه بالسيف كائناً من كان^(٤).

٣- وأخرج البخاري ومسلم والترمذي وأبو داود والنسائي وأحمد والحاكم وغيرهم، عن ابن عباس - في حديث - عن النبي ﷺ قال: ... فإنه من فارق الجماعة شبراً مات ميتة جاهلية^(٥).

٤- وأخرج أحمد وابن أبي عاصم وغيرهما عن النعمان بن بشير، قال: قال رسول الله ﷺ: الجماعة رحمة، والفرقة عذاب^(٦).

٥- وأخرج مسلم عن أبي هريرة، قال: قال رسول الله ﷺ: إن الله يرضى لكم ثلاثاً، ويكره لكم ثلاثاً، فيرضى لكم أن تعبدوه، ولا تشركوا به شيئاً، وأن تعتصموا

(١) سنن الترمذي ٤٧/٥ كتاب العلم، باب (١٧).

(٢) مجمع الزوائد ١/١٥٨، ٧/١٩٩.

(٣) أي فتن وأمر حادثة.

(٤) صحيح مسلم ١٤٧٩/٣ كتاب الإمارة، باب (١٤). سنن أبي داود ٢٤٢/٤ كتاب السنة، باب في قتل الخوارج. سنن النسائي ٩٢/٧ كتاب تحريم الدم، باب قتل من فارق الجماعة. مسند أحمد ٤/٢٦١، ٣٤١، ٥/٢٤. صحيح الجامع الصغير ١/٦٧٧. صحيح سنن أبي داود ٣/٩٠٢ - ٩٠٣. صحيح سنن النسائي ٣/٨٤٤ - ٨٤٥.

(٥) صحيح البخاري ٥٩/٩ كتاب الفتن، باب قول ﷺ: سترون بعدي أموراً تنكرونها. وكذلك ٧٨/٩ كتاب الأحكام، باب السمع والطاعة للإمام. صحيح مسلم ١٤٧٧/٣ كتاب الإمارة، باب وجوب ملازمة جماعة المسلمين... سنن الترمذي ١٤٩/٥ كتاب الأمثال، باب (٣). وقال: هذا حديث حسن صحيح. سنن أبي داود ٤/٢٤١ كتاب السنة، باب في قتل الخوارج. سنن النسائي ٧/١٢٣ كتاب تحريم الدم، باب (٢٧). المستدرک ١/١١٧ - ١١٩. مسند أحمد ١/٢٧٥، ٢/٢٩٦، ٣/٣٠٦، ٤٨٨، ٣/٤٤٥، ٥/١٨٠.

(٦) مسند أحمد ٤/٢٧٨. كتاب السنة، ص ٤٤، وحسنه الألباني في تحريجه.

بحبل الله جميعاً ولا تفرّقوا، ويكره لكم قيل وقال، وكثرة السؤال، وإضاعة المال^(١).
وفي هذا القدر كفاية، وبه عن غيره غنى.

(١) صحيح مسلم ٣/ ١٣٤٠ كتاب الأقضية، باب النهي عن كثرة السؤال من غير حاجة.

الفصل الثاني

افتراق الأمة

إلى ثلاث وسبعين فرقة

إن حديث افتراق الأمة إلى ثلاث وسبعين فرقة هو من أعلام النبوة ومعجزات الرسالة، إذ صدقته الحوادث الواقعة بعد زمان رسول الله ﷺ، وحدث من الاختلاف والفرقة ما أخبر به الصادق المصدق ﷺ، الذي لا ينطق عن الهوى، إن هو إلا وحي يوحى .

وهو حديث كثر نقله في المجاميع الحديثية، وكثر تصحيحه فيها، بل ادعى غير واحد من الأعلام تواتره.

وأخرجه من أئمة الحديث خلق كثير، وكثر تصحيحه فيها، منهم الترمذي وأبو داود وابن ماجه في السنن، وأحمد بن حنبل في المسند، والحاكم النيسابوري في المستدرک، والذهبي في التلخيص، والهيثمي في مجمع الزوائد، وابن أبي عاصم في كتاب السنّة، والبغوي في شرح السنّة، وابن حجر في المطالب العالية، والسيوطي في الجامع الصغير والدرّ المنثور، وغيرهم في غيرها.

رواه عن رسول الله ﷺ أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه، وأبو هريرة، وابن عمر، وعبد الله بن عمرو بن العاص، ومعاوية بن أبي سفيان، وسعد بن أبي وقاص، وعمرو بن عوف المزني، وأنس بن مالك، وأبو الدرداء، وابن عباس، وجابر، وأبو أمامة، ووائلثة بن الأسقع، وعوف بن مالك، وغيرهم.

وصحّحه جماعة كثيرة، منهم الترمذي، والحاكم، والذهبي، والسيوطي، والسفارينى، والهيثمي، وغيرهم.

وعليه فالحديث ثابت لا ريب في اعتباره عند أئمة الحديث، فلا سبيل لإنكاره

ورده، ولا مفر من قبوله والتعويل عليه.

طرق الحديث:

١- أخرج الترمذي - واللفظ له - وأبو داود وابن ماجه والحاكم وأحمد بن حنبل والدارمي وابن حبان وابن أبي عاصم والسيوطي وغيرهم عن أبي هريرة، قال: قال رسول الله ﷺ: تفرقت اليهود على إحدى وسبعين فرقة، أو اثنتين وسبعين فرقة، والنصارى مثل ذلك، وتفرقت أمتي على ثلاث وسبعين فرقة^(١).

قال الترمذي: حديث أبي هريرة حديث حسن وصحيح.

٢- وأخرج الترمذي وغيره عن عبد الله بن عمرو، قال: قال رسول الله ﷺ: ليأتين على أمتي ما أتى على بني إسرائيل حذو النعل بالنعل، حتى إن كان منهم من أمه علانية لكان في أمتي من يصنع ذلك، وإن بني إسرائيل تفرقت على اثنتين وسبعين ملة، وتفرقت أمتي على ثلاث وسبعين ملة، كلهم في النار إلا ملة واحدة. قالوا: ومن هي يا رسول الله؟ قال: ما أنا عليه وأصحابي^(٢).

وأخرجه الحاكم في مستدركه، إلا أنه قال: ما أنا عليه اليوم وأصحابي^(٣).

٣- وأخرج أبو داود وغيره، عن معاوية بن أبي سفيان، قال: ألا إن رسول الله ﷺ قام فينا فقال: ألا إن من قبلكم من أهل الكتاب افرقوا على ثنتين وسبعين ملة، وإن هذه الملة ستفرق على ثلاث وسبعين: ثنتان وسبعون في النار، وواحدة في الجنة،

(١) سنن الترمذي ٥/٢٥ كتاب الإيذان، باب ما جاء في افتراق الأمة. سنن أبي داود ٤/١٩٧ كتاب السنّة، الباب الأول. سنن ابن ماجه ٢/١٣٢١ كتاب الفتن، باب افتراق الأمم. سنن الدارمي ٢/٢٤١ كتاب السير، باب في افتراق هذه الأمة. مسند أحمد بن حنبل ٢/٣٣٢، ٣/١٢٠. المستدرک ١/٦، ١٢٨. الإحسان بترتيب صحيح ابن حبان ٨/٢٥٨. كتاب السنّة ١/٣٣. الجامع الصغير ١/١٨٤ حديث ١٢٢٣. صحيح الجامع الصغير ١/٢٤٥ حديث ١٠٨٢، ١٠٨٣. سلسلة الأحاديث الصحيحة ١/٣٥٦. صحيح سنن أبي داود ٣/٨٦٩، صحيح سنن ابن ماجه ٢/٣٦٤. السنن الكبرى ١٠/٢٠٨.

(٢) سنن الترمذي ٥/٢٦ كتاب الإيذان، باب ما جاء في افتراق الأمة. شرح السنّة ١/٢١٣. مشكاة المصابيح ١/٦١.

(٣) المستدرک ١/١٢٨.

وهي الجماعة^(١).

وأخرج ابن ماجة وأحمد وابن أبي عاصم والهيثمي وغيرهم عن أنس بن مالك، قال: قال رسول الله ﷺ: إن بني إسرائيل افترقت على إحدى وسبعين فرقة، وإن أمتي ستفترق على ثنتين وسبعين فرقة، كلها في النار إلا واحدة، وهي الجماعة^(٢).

وأخرج الحاكم والهيثمي وابن أبي عاصم وغيرهم عن عوف بن زيد، قال: كنا قعوداً حول رسول الله ﷺ في مسجده، فقال: لتسلكن سنن من قبلكم حذو النعل بالنعل، ولتأخذن إن شبراً فشبر، وإن ذراعاً فذراع، وإن باعاً فباع، حتى لو دخلوا جحر ضب دخلتم فيه، ألا إن بني إسرائيل افترقت على موسى على إحدى وسبعين فرقة، كلها ضالة إلا فرقة واحدة: الإسلام وجماعتهم، وإنها افترقت على عيسى بن مريم على إحدى وسبعين فرقة، كلها ضالة إلا فرقة واحدة: الإسلام وجماعتهم، ثم إنكم تكونون على اثنتين وسبعين فرقة، كلها ضالة إلا فرقة واحدة: الإسلام وجماعتهم^(٣).

٤- وأخرج الهيثمي عن أبي أمامة، قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: نفرقت بنو إسرائيل على إحدى وسبعين فرقة، وأمتي تزيد عليهم فرقة، كلهم في النار إلا السواد الأعظم.

وقال: رواه الطبراني في الأوسط والكبير، وفيه أبو غالب، وثقه ابن معين

(١) سنن أبي داود ٤/١٩٨ كتاب السنة، الباب الأول. مشكاة المصابيح ١/٦١. الدر المنثور ٢/٢٨٦ في تفسير الآية ١٠٣ من سورة آل عمران. المطالب العالية ٣/٨٧. صحيح سنن أبي داود ٣/٨٦٩. صحيح الجامع الصغير ١/٥١٦ حديث ٢٦٤١. كتاب السنة ١/٧، ٣٣. سلسلة الأحاديث الصحيحة ١/٣٥٨ حديث ٢٠٤.

(٢) سنن ابن ماجة ٢/١٣٢٢. مسند أحمد بن حنبل ٣/١٤٥. كتاب السنة ١/٣٢، مجمع الزوائد ٧/٢٥٨. صحيح سنن ابن ماجة ٢/٣٦٤.

(٣) المستدرک ١/١٢٩. مجمع الزوائد ٧/٢٦٠. كتاب السنة ١/٢٥.

وغيره، وبقية رجال الأوساط ثقات، وكذلك أحد إسنادي الكبير^(١).

صحّة أسناد الحديث:

لقد صحّح هذا الحديث الترمذي كما مرّ، والحاكم النيسابوري في المستدرک والذهبي في التلخيص^(٢)، والبغوي في شرح السنة^(٣)، والسيوطي في الجامع الصغير^(٤)، والبوصيري في مصباح الزجاجة^(٥)، والسخاوي في المقاصد الحسنة^(٦)، والشاطبي في الاعتصام^(٧)، والسفاريني في لوامع الأنوار البهية^(٨)، والألباني في بعض كتبه^(٩)، وغيرهم.

قال الحاكم: هذه أسانيد تُقام بها الحجة في تصحيح هذا الحديث. ووافقه الذهبي في ذلك^(١٠).

وقال الزين العراقي في تخريج أحاديث إحياء علوم الدين: حديث افتراق الأئمة... أخرجه الترمذي من حديث عبد الله بن عمرو وحسنه... ولأبي داود من حديث معاوية، وابن ماجه من حديث أنس وعوف بن مالك... وأسانيدها جيد^(١١).
وقال ابن تيمية: هو حديث صحيح مشهور^(١٢).

(١) مجمع الزوائد ٧/ ٢٥٨. المطالب العالية ٣/ ٨٦.

(٢) المستدرک ١/ ١٢٨.

(٣) شرح السنة ١/ ٢١٣.

(٤) الجامع الصغير ١/ ١٨٤، حديث ١٢٢٣.

(٥) مصباح الزجاجة ٣/ ٢٣٩.

(٦) المقاصد الحسنة، ص ١٥٨، حديث ٣٤٠.

(٧) الاعتصام ٢/ ١٨٩.

(٨) لوامع الأنوار البهية ١/ ٩٣.

(٩) كل ما نقلناه من كتبه فهو صحيح عنده.

(١٠) المستدرک ١/ ١٢٨.

(١١) المغني عن حمل الأسفار في الأسفار ٣/ ٢٣٠.

(١٢) كتاب المسائل (عن سلسلة الأحاديث الصحيحة ١/ ٣٥٩).

بل ادّعى السيوطي تواتره على ما ذكره المناوي في فيض القدير^(١)، وكذا الكتاني
الكتاني في نظم المتناثر^(٢).

ولهذا قال الألباني: فقد تبين بوضوح أن الحديث ثابت لا شك فيه، ولذلك
تتابع العلماء خلفاً عن سلف على الاحتجاج به، حتى قال الحاكم في أول كتابه
المستدرک: (إنه حديث كبير في الأصول)، ولا أعلم أحداً قد طعن فيه، إلا بعض من
لا يُعتد بتفرّده وشذوذه...^(٣).

(١) فيض القدير ٢/ ٢١.

(٢) نظم المتناثر، ص ٥٧، حديث ١٨.

(٣) سلسلة الأحاديث الصحيحة ١/ ٣٦١.

الفصل الثالث

فِرَقَ الأُمَّةِ الثَّلَاثِ والسَّبْعُونَ

عندما نتأمل أغلب الكتب المشتهرة التي تصدّت لبيان فرّق هذه الأُمَّة الثلاث والسبعين، نصل إلى عدة نتائج مهمّة، ينبغي ملاحظتها والتنبيه عليها، وهي:

أولاً: إن كلام القوم في بيان أصول الفرّق قد اضطرب اضطراباً شديداً واختلف اختلافاً فاحشاً.

فأبو الحسن الأشعري في (مقالات الإسلاميين) يقسّم أصول الفرّق إلى عشرة أصناف: الشيعة، والخوارج، والمرجئة، والمعتزلة، والجهمية، والضرارية، والحسينية، والبكرية، والعامّة، وأصحاب الحديث والكلابية أصحاب عبد الله بن كُلاب القطن^(١).

وعبد القاهر البغدادي في كتابه (الفرّق بين الفرّق) يقسّمها إلى عشر فرّق أيضاً، تختلف عن سابقتها اختلافاً ما، وهي: الروافض وهم عشرون فرقة، والخوارج عشرون، والقدرية - وهم المعتزلة - عشرون، وخمس مرجئة، وثلاث نجارية، وبكرية وضرارية وجمهية وكرامية، وأهل السنة والجماعة، فهذه ثلاث وسبعون فرقة^(٢).

والإيجي في (المواقف) يجعل كبار الفرق الإسلامية ثمانية: المعتزلة عشرون فرقة، والشيعة اثنتان وعشرون، والخوارج سبع، والمرجئة خمس، والنجارية ثلاث، والجبرية،

(١) مقالات الإسلاميين، ص ٥.

(٢) الفرق بين الفرق، ص ٢٥.

والمشبهة، والأشاعرة أو أهل السنة والجماعة^(١).

وعلى هذا لا يكمل لدينا إلا ستون فرقة، ويمكن تصحيح العدد بأن نقول: إنه قسّم الأباضية من فرق الخوارج إلى أربع فرق، والعجاردة إلى عشر فرق، يضاف إليها الخمس الباقية فيصير عددهم تسع عشرة فرقة، ومع ذلك يكون المجموع اثنتين وسبعين فرقة.

وأما الشهرستاني فإنه جعل أصول الفرق أربعاً: القدرية والصفائية والخوارج والشيعة^(٢).

وأما ابن العربي المالكي في عارضة الأحوزي، فإنه نسب إلى العلماء تقسيماً آخر، فجعل أصول الفرق عشرًا، فقال: وقد ذكر علماءنا رحمة الله عليهم الفرق: الروافض عشرون فرقة، والخوارج عشرون فرقة، والقدرية المعتزلة عشرون فرقة، وسبع فرق في الإرجاء، والضرارية والجهمية والكرامية والنجارية، وفرقة جهمية مرجئة جمعت بين البدعتين، كأبي شمر ومحمد بن شبيب، فهؤلاء ثنتان وسبعون فرقة، كلهم على بدعة^(٣).

وقال المناوي: وأصول الفرق ستة: حرورية [أي خوارج]، وقدرية [أي معتزلة]، وجهمية ومرجئة ورافضة وجبرية، وانقسمت كل منها إلى اثني عشرة فرقة، فصارت اثنتين وسبعين^(٤).

وقال السفاريني: والمشهور أن أصول الفرق الضالّة سبعة: أولها المعتزلة، ثم الشيعة فالخوارج فالمرجئة فالنجارية، الجبرية المشبهة^(٥).

وبعد كل ما تقدّم يتضح لنا أن أصول الفرق التي ذكروها لم تكن مبتنية على

(١) المواقف، ص ٤١٤.

(٢) الملل والنحل ١/١٥.

(٣) عارضة الأحوزي ١٠/١٠٩.

(٤) فيض القدير ٢/٩٢.

(٥) لوامع الأنوار البهية ١/٩٢.

دليل يُركن إليه، أو برهان يُعوّل عليه، لما نجده من الاضطراب الكثير في كلامهم، والاختلاف الفاحش في بيانهم، فلا نقف بذلك على محصل نعمته، ولا على ركن وثيق نعتضد به.

نعم، الذي نقطع به من أصول الفرق: الشيعة والخوارج والمعتزلة وأهل السنة، وأما الباقي فيمكن إدخاله في بعض هذه الفرق، فمن يقول بالتشبيه فهم مشبهة، ومن يقول بأن الله خلق أفعال العباد، فهم جبرية، ومن يقول بأنه تعالى له يد ورجل ورأس ووجه وغيرها فهم مجسّمة، وهكذا.



ثانياً: أنهم ثلاثاً وسبعين فرقة كاملة، ولكنهم اختلفوا في بيانها، واضطربوا في تعدادها، ولو أخذنا مثلاً واحداً فقط لا تُضح لدينا عظم هذا الاضطراب الحاصل في كلامهم، ولنأخذ فرق الشيعة مثلاً على ذلك، فنقول:

إن أبا الحسن الأشعري جعل الشيعة ثلاثة أصناف: الغلاة وهم خمس عشرة فرقة^(١)، والإمامية وهم أربع وعشرون فرقة^(٢)، والزيدية وهم ست فرق^(٣)، فهذه خمس وأربعون فرقة.

ثم ذكر في أثناء بيانه لاختلاف آراء فرق الشيعة فرقاً أخرى تضاف إلى تلك، وهي: (الهشامية) أصحاب هشام بن الحكم^(٤)، و (الهشامية أو الجواليقية) أصحاب هشام بن سالم الجواليقي^(٥)، و (اليونسية) أصحاب يونس بن عبد الرحمن القمي^(٦)،

(١) مقالات الإسلاميين، ص ٥.

(٢) المصدر السابق، ص ١٦.

(٣) المصدر السابق، ص ٦٥.

(٤) المصدر السابق، ص ٣١.

(٥) المصدر السابق، ص ٣٤، ٤٥.

(٦) المصدر السابق، ص ٣٥.

و(الزرارية أو التيمية) أصحاب زرارة بن أعين^(١)، و(السيابية) أصحاب عبد الرحمن بن سيابة^(٢)، وأصحاب شيطان الطاق التي سماها غيره (الشيطانية أو النعمانية)^(٣)، وأصحاب أبي مالك الحضرمي^(٤)، و(اليعفرورية)^(٥) وأصحاب علي بن ميثم^(٦). فهذه فهذه تسع فرق تضاف إلى الفرق السابقة، فتصير فرق الشيعة عند أبي الحسن الأشعري أربعاً وخمسين فرقة.

وأما الإيجي فإنه قسّم الشيعة إلى اثنتين وعشرين فرقة، وجعل أصولهم ثلاث فرق: غلاة زيدية وإمامية، أما الغلاة فثمان عشرة، وأما الزيدية فثلاث، وأما الإمامية ففرقة واحدة^(٧)، وكذلك فعل السفاريني في (اللوامع)^(٨).

وأما عبد القاهر البغدادي فإنه عدّ الشيعة عشرين فرقة: ثلاث منها زيدية، وفرقتان كيسانية، وخمس عشرة فرقة إمامية.

وقال: وأما غلاتهم الذين قالوا بإلهية الأئمة، وأباحوا محرمات الشريعة، وأسقطوا وجوب فرائض الشريعة، كالبيانية والمغيرية والجناحية والمنصورية والخطابية والحلولية ومن جرى مجراهم فما هم من فرق الإسلام وإن كانوا منتسبين إليه، وسنذكرها في باب مفرد بعد هذا الباب^(٩).

ثم ذكر من فرق الشيعة الغلاة: السبئية والبيانية والحربية والمغيرية والمنصورية

(١) المصدر السابق، ص ٣٦.

(٢) المصدر السابق، ص ٣٦.

(٣) المصدر السابق، ص ٣٧.

(٤) المصدر السابق، ص ٤٣.

(٥) المصدر السابق، ص ٤٩.

(٦) المصدر السابق، ص ٥٤.

(٧) الموقف، ص ٤١٨.

(٨) لوامع الأنوار البهية ١ / ٨٠.

(٩) الفرق بين الفرق، ص ٢٣.

والجناحية والخطائية والغرابية والمفوضة والذمية والشريعية والنميرية^(١).

فتكون فرق الشيعة عند البغدادي إذا أضفنا إليهم الغلاة اثنتين وثلاثين فرقة، وعند الإيجي إذا طرحنا منهم الغلاة كما صنع البغدادي أربع فرق: ثلاث زيدية وواحدة إمامية، فشتان ما بينهما من التفاوت.

ومن الغريب أن المذكورين اختلفا في الفرق التي تُعدّ من الغلاة، والتي تعد من غيرها، فالإيجي عدّ: الكاملية والهشامية والزرارية واليونسية والشيطانية من الغلاة^(٢)، الغلاة^(٢)، والبغدادي عدّها من الإمامية المفارقة للزيدية والكيسانية والغلاة^(٣)، بينما لم يذكر الأشعري - على كثرة ما ذكر من فرق الشيعة - هذه الفرق، لا من الغلاة ولا من الإمامية ولا من الزيدية، مع أنه ذكرها في مطاوي كلامه في بيان اختلاف فرق الشيعة كما ذكرنا آنفاً.

كما أن الإيجي لم يذكر الكيسانية من فرق الشيعة البتّة، وعدّ الإسماعيلية من غلاة الشيعة^(٤)، بينما نرى أن البغدادي قد ذكر أن الكيسانية من أصول فرق الشيعة، وأنها فرق كثيرة يرجع محصلها إلى فرقتين، وعدّ الإسماعيلية من فرق الإمامية المفارقة للزيدية والكيسانية والغلاة^(٥). وأما الأشعري فقد ذكر إحدى عشرة فرقة من فرق الكيسانية التي عدّها من فرق الإمامية^(٦)، وسيأتي قريباً مزيد بيان في ذلك.

وأما الشهرستاني في (الملل والنحل) فإنه قسّم الشيعة إلى خمس فرق: كيسانية وزيدية وإمامية وغلاة وإسماعيلية^(٧)، ثم قسّم الكيسانية إلى: المختارية والهاشمية

(١) المصدر السابق، ص ٢٣٣.

(٢) المواقف، ص ٤١٩.

(٣) الفرق بين الفرق، ص ٢٣.

(٤) المواقف، ص ٤٢١.

(٥) الفرق بين الفرق، ص ٢٣.

(٦) مقالات الإسلاميين، ص ١٨.

(٧) الملل والنحل / ١ / ١٤٧.

والبيانية والرزامية، وجعل الزيدية أربع فرق، أضاف إلى الثلاث التي ذكرها غيره: الصالحة، وأما الإمامية فذكر لهم سبع فرق، وهم: الباقرية والجعفرية الواقفة، والناوسية، والأفطحية، والشميطية، والإسماعيلية الواقفة، والموسوية (والأخيرة افتقرت إلى ثلاث فرق: المظورة والقطعية والواقفة)، والاثنا عشرية^(١).

ثم ذكر أن الذين قالوا بإمامة الحسن افترقوا بعد موته إلى إحدى عشرة فرقة ليست لهم ألقاب مشهورة^(٢)، فيكون عدد فرق الإمامية على هذا البيان إحدى وعشرين فرقة.

وذكر أيضاً أن فرق غلاة الشيعة إحدى عشرة فرقة، هي: السبئية، والكاملية والعلبائية، والمغيرية، والمنصورية، والخطابية (وهذه الأخيرة افتقرت إلى أربع فرق: المعمرية، والبزيعية، والعجلية أو العميرية، والمفضلية)، والكيالية، والهشامية، والنعمانية، واليونسية، والنصيرية، والإسحاقية^(٣).

فيصير مجموع فرق الشيعة التي ذكرها الشهرستاني ثلاثاً وأربعين فرقة.

والأغرب من كل ذلك ما قاله ابن تيمية في تعداد فرق الشيعة، إذ زعم أن فرق الشيعة نحو سبعين فرقة، وأن فرقهم الكبار أكثر من عشرين فرقة^(٤). هذا بعض ما رأيناه منهم من الاضطراب في تعداد فرق الشيعة وبيانها. وقس عليه ما سواه.



وثالثاً: أن أكثر من كتب في الفرق حاول تكثير فرق خصومه مهما أمكن، وقد نقلنا فيما سبق أن أبا الحسن الأشعري عدّ فرق الشيعة كمثالاً خمساً وأربعين فرقة، بينما عدّها الإيجي - مع الغلاة منها - اثنتين وعشرين فرقة. فكيف خفيت تلك الفرق التي ذكرها الأشعري على غيره

(١) المصدر السابق ١/ ١٦٢.

(٢) المصدر السابق ١/ ١٧٠.

(٣) المصدر السابق ١/ ١٧٤.

(٤) منهاج السنة النبوية ٤/ ٢٠٩.

من المصنّفين؟ مع أنهم جاءوا بعده، وحق من جاء متأخراً أن يلّم بما أثبتته من هو قبله، ولا سيما مع اشتهاؤ المؤلف والمؤلف...

ومن طرائف الأمور أن أبا الحسن الأشعري عدّ البيانية^(١) والحربية^(٢) والمغربية^(٣) من فرق الشيعة الغلاة، وعدّها مرة أخرى في فرق الرافضة والإمامية^(٤).

كما أنه عدّ الكيسانية إحدى عشرة فرقة، وإذا تأملتها كلّها وجدتها فرقتين كما مرّ في كلام البغدادي.

فالفرقة الأولى منهم مثلاً وهم القائلون بأن محمد بن الحنفية نصّ على إمامته أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام، لإعطائه الراية بالبصرة. والفرقة الثانية وهم القائلون بأنه الإمام بعد الحسن والحسين عليهما السلام. والفرقة الثالثة القائلة بأن محمد بن الحنفية حيّ ببجبال رضوى مغيب لتدبير لا يعلمه إلا الله، أو أن ذلك عقوبة له لركونه إلى عبد الملك بن مروان وليبعته إياه كما ذهبت إليه الفرقة الرابعة^(٥).

هذه الفرق الأربع كلها فرقة واحدة كما لا يخفى، وهي الفرقة القائلة بأن محمّد بن الحنفية هو الإمام بعد الحسن والحسين عليهما السلام، بنصّ عليّ عليه السلام، وأنه حيّ ببجبال رضوى، أما لأمر لا يعلمه إلا الله أو عقوبة له كما زعموا.

والفرقة الخامسة التي عدّها الأشعري من فرق الكيسانية هي القائلة بأن محمّد بن الحنفية مات، وأن الإمام بعده هو ابنه أبو هاشم عبد الله بن محمد بن الحنفية، والفرقة السادسة لم يذكرها بل انتقل من الخامسة إلى السابعة، والفرقة الثامنة هي القائلة بأن الإمام بعد أبي هاشم هو الحسن بن محمد بن الحنفية، وأوصى الحسن إلى ابنه عليّ، وهلك علي ولم يُعقب، فهم ينتظرون محمد بن الحنفية ويقولون إنه يرجع

(١) مقالات الإسلاميين، ص ٥.

(٢) المصدر السابق، ص ٦.

(٣) المصدر السابق، ص ٦.

(٤) المصدر السابق، ص ٢٢-٢٣.

(٥) المصدر السابق، ص ١٨.

ويملك...^(١)

وهذه كلها فرقة واحدة، لعدم المنافاة فيما بينها.

وأيضاً: إن عبد القاهر البغدادي عدّ فرق الإمامية خمس عشرة فرقة، وعدّ الاثني عشرية والقطعية فرقتين^(٢)، ثم عند تفصيله الكلام في كل فرقة ذكر أن القطعية يقال لهم الاثنا عشرية أيضاً^(٣)، فتكون الفرق على هذا أربع عشرة فرقة فقط.

كما أن القوم ذكروا من فرق الشيعة: (المشامية) أصحاب هشام بن الحكم، و (الجواليقية) أصحاب هشام بن سالم الجواليقي، و (الزرارية) أصحاب زرارة بن أعين، و (اليونسية) أصحاب يونس بن عبد الرحمن، و (الشيطنانية أو النعمانية) أصحاب محمد بن النعمان، الملقب عند أهل السنّة بشيطان الطاق^(٤)، و (المفضّلية) أصحاب المفضل بن عمر^(٥). مع أنّا لو راجعنا كتب الرجال التي صنّفها علماء الشيعة الإمامية الاثني عشرية لوجدنا هؤلاء الرجال يُذكرون بالمدح والثناء، وأنهم ثقات في الحديث عندهم، بل أنهم اتفقوا على وثاقة أغلب هؤلاء المذكورين، ولو كانوا أصحاب فرق لتبرأوا منهم وبنذوهم كما لا يخفى، بل نص أبو الحسن الأشعري على أن يونس بن عبد الرحمن وهشام بن الحكم من القطعية - أي الإمامية الاثني عشرية^(٦).

وأورد ابن حجر العسقلاني في كتابه (لسان الميزان) ترجمة زرارة بن أعين^(٧) وهشام بن الحكم^(٨) ومحمد بن النعمان الذي يقبونه بـ (شيطان الطاق)^(٩)، ولم

(١) مقالات الإسلاميين، ص ٢٠.

(٢) الفرق بين الفرق، ص ٥٣.

(٣) المصدر السابق، ص ٦٤.

(٤) المواقف، ص ٤٢٠، الملل والنحل ١/ ١٨٤، وما بعدها، الفرق بين الفرق، ص ٦٥ وما بعدها.

(٥) مقالات الإسلاميين، ص ٢٩.

(٦) مقالات الإسلاميين، ص ٢٩، ٦٣.

(٧) لسان الميزان ٢/ ٤٧٣.

(٨) المصدر السابق ٦/ ١٩٤.

(٩) المصدر السابق ٥/ ٣٠٠.

ولم يذكر أن واحداً منهم كان صاحب فرقة، وهكذا فعل ابن النديم في كتابه (الفهرست) في ترجمة يونس بن عبد الرحمن ومن تقدم ذكره^(١)، والذهبي في (ميزان الاعتدال) في ترجمة زرارة^(٢)، بل لم أجد فيما بين يدي من المصادر من ذكر أن واحداً من هؤلاء كان صاحب فرقة تسمت باسمه، ولو كان ما زعم صحيحاً لاشتهر ذلك عنهم فذكر في تراجمهم.



رابعاً: أن أكثر من تقدّم كلامهم في بيان تقسيم الفرق - لأجل أنهم كانوا من أهل السنّة - ذكروا أن أصول الطوائف كلها تفرّقت إلى فرق عديدة إلا أهل السنة فقط، فهم أصل لم يتشعب إلى فرق، بل هم فرقة واحدة لا غير، لكننا نجد في مطاوي كلامهم أنهم متفرقون إلى بضع فرق أيضاً، وإليك شيئاً من ذلك:

١ - قال السفاريني: أهل السنة والجماعة ثلاث فرق: الأثرية، وإمامهم أحمد بن حنبل رضي الله عنه، والأشعرية وإمامهم أبو الحسن الأشعري، والماتريدية، وإمامهم أبو منصور الماتريدي^(٣).

وقال أيضاً: وفي رواية (ستفترق أمتي على بضع وسبعين فرقة، كلهم في النار إلا فرقة واحدة، وهي ما كان على ما أنا عليه وأصحابي)، قال بعض العلماء: هم - يعني الفرقة الناجية - أهل الحديث، يعني: الأثرية والأشعرية والماتريدية.

ثم قال كلاماً محصّله: إن قوله ٢ (إلا فرقة) ينافي التعدد، فالفرقة الناجية هي الأثرية، دون الأشعرية والماتريدية اللتين هما من فرق أهل الحديث^(٤).

٢ - والإيجي عدّ الأشعرية من فرق الجبرية، فقال: الفرقة السادسة: الجبرية،

(١) الفهرست، ص ٢٤٩، ٢٥٠، ٣٠٨، ٣٠٩.

(٢) ميزان الاعتدال ٦٩/٢.

(٣) لوامع الأنوار البهية ٧٣/١.

(٤) المصدر السابق ٧٦/١.

والجبر إسناد فعل العبد إلى الله، والجبرية متوسطة تثبت للعبد كسباً كالأشعرية، وخالصة لا تثبته كالجهمية أصحاب جهم بن صفوان^(١).

ثم قال: وأما الفرقة الناجية المستثناة الذين قال فيهم: (هم الذين على ما أنا عليه وأصحابي)، فهم الأشاعرة، والسلف من المحدثين، وأهل السنة والجماعة^(٢).

وعده الأشاعرة من فرق الجبرية، وعطفه أهل السنة والسلف على الأشاعرة ظاهر في المغايرة بينها، أو التناقض والاضطراب.

٣- وقال علي القاري في شرح الشفا للقاضي عياض عند قوله: (الناجية منها واحدة)، قال: وهم الذين قال فيهم النبي ﷺ: (هم الذين على ما أنا عليه وأصحابي)، وهم أهل السنة والجماعة، من الفقهاء كالأئمة الأربعة، والمحدثين، والمتكلمين من الأشاعرة والماتريدية ومن تبعهم، لخلو مذاهبهم من البدعة^(٣).



خامساً: إن هؤلاء المؤلفين قد اجتهدوا في أن يجعلوا الفرق قد بلغت في عصورهم ثلاثاً وسبعين فرقة، مع أننا نجد فرقاً قد نشأت بعدهم، كالبابية والبهائية والدروز وغيرها. ومن ذلك يتضح أن تقسيم الفرق الذي ذكره غير صحيح، وإلا لزادت الفرق على ثلاث وسبعين. وعدم الصحة ناشئ إما من اختلاق فرق لم يكن لها وجود البتة، وإنما دعا إلى اختلاقها العصبية أو الكيد للخصوم كما مرّ البيان في الزرارية واليونسية والشيطانية وغيرها.

وإما من عدم الدقة في التقسيم، إذ جعلوا ما ليس بفرقة فرقة، كبعض أهل الآراء التي عدوها فرقاً مع أنه يظهر من كلامهم أن معتقدها رجل واحد أو رجال

(١) الموافق، ص ٤٢٨. وقال السفاريني في اللوامع ١ / ٣١٢: قيل: ومذهب الأشعري يقرب في هذه

المسألة من مذهب الجبرية الجهمية.

(٢) الموافق، ص ٤٢٩.

(٣) شرح الشفا ١ / ٦٧٩.

قلائل رأوا رأياً لم يتابعوا عليه، ثم ماتوا وبقي قولهم مذكوراً في بطون الكتب، فعُدَّ هؤلاء فرقة يستلزم أن تكون الأمة قد افتقرت إلى مئات الفرق، إذ ليس كل من رأى رأياً في الإمامة أو غيرها من أصول العقائد صار طائفة بنفسه، بل لا بد وأن يكون له أتباع هم من الكثرة بحيث يطلق عليهم عرفاً أنهم طائفة.

أو أن السبب في عدم دقة التقسيم أنهم داخلوا بين الفرق، فربما عدّوا الفرقة الواحدة فرقتين كما أوضحناه فيما سلف.

وبهذا البيان لا نرى لزماً علينا أن ننهي الفرق إلى ثلاث وسبعين فرقة بالتمام، إذ ربما ظهر في ما يأتي من الزمان فرق لم يكن لها وجود فيما مضى، بل علينا أن نعدّها ما ثبت لدينا أنه فرقة، ونترك ما لم يثبت.



سادساً: إن ما ذكره من معتقدات الفرق وآرائها قد كثر فيه الخلط والخبط والتحريف وعدم الضبط والأمانة في النقل، إذ لم يُنقل من كتب تلك الفرق ورجالها، بل أخذ من أقوال الخصوم أنفسهم، الذين لا ينقلون الآراء بأمانة ودقّة، بل تأخذ بهم الأهواء والعصبيات إلى هذا الجانب أو ذلك.

وخذ على ذلك مثالين فيهما غتّى عن غيرهما: -

١- قال عبد القاهر البغدادي: زعم هشام بن الحكم أن معبوده جسم ذو حدّ ونهاية، وأنه طويل عريض عميق، وأن طوله مثل عرضه، وعرضه مثل عمقه... وزعم أيضاً أنه نور ساطع يتلألأ كالسبيكة الصافية من الفضة، وكاللؤلؤة المستديرة من جميع جوانبها، وزعم أيضاً أنه ذو لون وطعم ورائحة ومجسّة...^(١)

وحكى بعضهم عن هشام أنه قال في معبوده: إنه سبعة أشبار بشبر نفسه، كأنه قاسه على الإنسان، لأن كل إنسان في الغالب من العادة سبعة أشبار بشبر نفسه.

(١) جس أي اختبر، والمجسّة: الموضع الذي يجسّه الطبيب.

وذكر أبو الهذيل في بعض كتبه أنه لقي هشام بن الحكم في مكة عند جبل أبي قبيس، فسأله: أيها أكبر، معبوده أم هذا الجبل؟ قال: فأشار إلى أن الجبل يوفي عليه تعالى، وأن الجبل أعظم منه.

وحكى ابن الراوندي في بعض كتبه عن هشام أنه قال: بين الله وبين الأجسام المحسوسة تشابه من بعض الوجوه، ولولا ذلك ما دلت عليه.

وذكر الجاحظ في بعض كتبه عن هشام أنه قال: إن الله عز وجل إنما يعلم ما تحت الثرى بالشعاع المتصل منه والذاهب في عمق الأرض. وقالوا [كذا]: لولا مماسة شعاعه لما وراء الأجسام الساترة لما رأى ما وراءها ولا علمها.

وذكر أبو عيسى الوراق في كتابه: أن بعض أصحاب هشام أجابه إلى أن الله عز وجل مماسٌ لعرشه، لا يفضل عن العرش، ولا يفضل العرش عنه.

وقد روي أن هشام - مع ضلالته في التوحيد - ضلّ في صفات الله أيضاً، فأحال القول بأن الله لم يزل عالماً بالأشياء...^(١).

وهذا الكلام وغيره نقله الأشعري في (مقالات الإسلاميين) مع بعض التصرف فيه^(٢)، ولكن الملاحظ فيه أنه نُقل تارةً من كلام خصوم هشام بن الحكم كأبي الهذيل العلاف والجاحظ وابن الراوندي وأبي عيسى الوراق وغيرهم، وتارةً أخرى نُقل كلامه بـ (حُكي) و (رُوي) وما أشبه ذلك.

وهذا المسلك لا يمكن أن يعوّل عليه في إثبات قول أو نفيه، بل لا بد من التعويل على ما ينقله الأثبات المعاصرون لهشام، الذين سمعوا هذه المقالات منه نفسه، إذ كيف يُركن إلى صحة ما نقل من العبائر وهؤلاء المذكورون - بالإضافة إلى كونهم خصوصاً - لا نعلم أنهم سمعوا ذلك من هشام نفسه أم من غيره، اللهم إلا ما حُكي عن أبي الهذيل العلاف، وهذا وغيره لو صحَّ لَحَقَّ لنا أن نعدّ هشاماً رجلاً مُهوَّساً، لا

(١) الفرق بين الفرق، ص ٦٥، وراجع الملل والنحل ١/ ١٨٤.

(٢) مقالات الإسلاميين، ص ٣١.

ينبغي أن تُذكر له في الكتب مقالة، أو يُدَوَّن له فيها رأي.

وإذا كان هشام (من كبار الرافضة ومشاهيرهم) كما يقول ابن حجر^(١)، (وصاحب غور في الأصول، لا يجوز أن يُغفل عن إزاماته على المعتزلة) كما يقول الشهرستاني^(٢)، وأنه (من متكلمي الشيعة، ممن فتق الكلام في الإمامة، وهذب المذهب والنظر، وكان حاذقاً بصناعة الكلام حاضر الجواب) كما يقول ابن النديم^(٣)، فمن المستبعد جداً أن تصدر منه أمثال هذه المقالات التي لا يقولها عاقل فضلاً عن فاضل.

هذا مع أن الشيعة لا يقولون بالتجسيم البتة، ولذلك نفوا رؤية الله جلّ وعلی مطلقاً، لما يستلزم ذلك من التجسيم وغيره، فلو كان هشام يقول بشيء من ذلك لنفوه عنهم وتبرأوا منه ولعنوه كما وقع لغيره.

والذي يقوى في النظر أن الرجل كان كثير المناظرة والجدل مع خصومه ولا سيما المعتزلة، ومنهم أبو الهذيل المذكور^(٤) وعمرو بن عبيد^(٥)، وكان كثير الإلزام لهم، فاختلقوا عليه من الأقوال السخيفة ما سمعت كيداً له، وتشنيعاً عليه، ودحضاً لمذهبه ومقالته، وما رَمَى النبي ٢ بالسحر والشعر والكهانة منك ببعيد، والله العالم بخفايا الصدور وحقائق الأمور.

٢- وقال عبد القاهر البغدادي أيضاً: ذُكر القطيعة منهم - أي من الشيعة - : هؤلاء ساقوا الإمامة من جعفر الصادق إلى ابنه موسى، وقطعوا بموت موسى، وزعموا أن الإمام بعده سبط محمد بن الحسن الذي هو سبط علي بن موسى الرضا، ويقال لهم (الاثنا عشرية) أيضاً، لدعواهم أن الإمام المنتظر هو الثاني عشر من نسبه إلى علي بن أبي طالب رضي الله عنه، واختلفوا في سن هذا الثاني عشر عند موته، فمنهم

(٣) لسان الميزان ٦/ ١٩٤.

(٢) الملل والنحل ١/ ١٨٥.

(٣) الفهرست، ص ٢٤٩.

(٤) الملل والنحل ١/ ١٨٥.

(٥) أمالي المرتضى ١/ ١٧٦.

من قال: كان ابن أربع سنين، ومنهم من قال: كان ابن ثمانين سنين... إلى آخر كلامه^(١). وهذا الكلام يعلم ببطلانه كل أحد، لأن مذهب (الاثني عشرية) في الإمامة أشهر من (فقا نَبَك)، فإن الاثني عشرية يسوقون الإمامة بعد موسى بن جعفر إلى ابنه علي بن موسى الرضا، ويعتقدون أن الإمام الثاني عشر هو الإمام المنتظر الذي يملأ الأرض قسطاً وعدلاً بعد ما مُلئت ظلماً وجوراً^(٢)، وأنه حيٌّ يُرزق لم يمّت، ولذلك شنع عليهم خصومهم وسخّفوا عقولهم، لاستبعادهم أن يُعمّر شخص هذا العمر الطويل عادة، ولهم على ذلك ردود، سيأتي بعض منها في الفصل الثامن إن شاء الله تعالى.

ولا أدري، هل خفي ذلك على البغدادي أم أخفاه؟!

وإذا كان قد وقع في هذا الخطأ الفاحش الذي لا ينبغي أن يكون خافياً عليه، فكيف نأمن حين نَقَلَ آراء الفرق الأخرى في كتابه أنه لم يقع في خطأ فاحش آخر أيضاً، فنصيب قوماً بجهالة، فنصبح على ما فعلنا نادمين؟

هذا مع أن عبد القاهر البغدادي وغيره من الذين كتبوا في آراء الفرق ومذاهبها لم يذكروا لنا المصادر التي اعتمدوا عليها، أو الكتب التي أخذوا منها، وإن كان بعضهم قد ادّعى أنه ينقل آراء الفرق من كتبها، ولكن يبقى هذا القول ادّعاءً لا يركن إليه، ولا يُعول عليه، إذ أكثر الفرق التي ذكروها لم تشتهر لها كتب صحّت نسبتها إليها.

فالواجب على كل باحث أو كاتب أن ينقل آراء الفرق من كتبها المعتمدة عندها، ويدع أقوال الخصوم جانباً، وأن يتحرّى الدقّة في فهم مراداتهم، وأن يلتزم الأمانة في النقل، وأن يراقب الله عزّ وجلّ فيما يكتب، لئلا يضيع الحق بين الأهواء والعصبيات، فتُظلم فئات من الأمّة وتضل أخرى بسبب ذلك.

(١) الفرق بين الفرق، ص ٦٤.

(٢) مقالات الإسلاميين، ص ١٧. الملل والنحل ١/ ١٦٩.

هذا وقد وجدنا في كلام بعض الأعلام أن أكثر من كتب في بيان آراء الطوائف لم يخلُ من التعصب على الخصوم والكيد لهم، ولم ينقل مذاهبهم بورع وأمانة، وإليك بعضها:

١- قال الأشعري: لا بد لمن أراد معرفة الديانات والتمييز بينها، من معرفة المذاهب والمقالات، ورأيت الناس في حكاية ما يحكون من ذكر المقالات، ويصنّفون في النحل والديانات، من بين مقصّر فيما يحكيه، وغالط فيما يذكره من قول مخالفه، ومن بين متعمد للكذب في الحكاية إرادة التشنيع على من يخالفه، ومن بين تارك للتقصّي في روايته لما يرويه من اختلاف المختلفين، ومن بين من يضيف إلى قول مخالفه ما يظن أن الحجة تلزمهم به، وليس هذا سبيل الربانيين، ولا سبيل الفُطناء المميّزين^(١).

٢- وقال ابن حزم: إن كثيراً من الناس كتبوا في افتراق الناس في دياناتهم ومقالاتهم كتباً كثيرة جداً، فبعض أطال وأسهب وأكثر وهجّر، واستعمل الأغاليط والشغب، فكان ذلك شاغلاً عن الفهم، وقاطعاً دون العلم، وبعض حذف وقصّر، وقلّل واختصر، وأضرب عن كثير من قوي معارضات أصحاب المقالات، فكان في ذلك غير منصف لنفسه في أن لا يرضى لها بالغين في الإبانة، وظالماً لخصمه في أن لم يوفه حق اعتراضه، وباخساً حق من قرأ كتابه، إذ لم يغنه عن غيره...^(٢).

٣- وقال فخر الدين الرازي بعد ذكره لكتاب الملل والنحل للشهرستاني: إنه كتاب حكى فيه مذاهب أهل العالم بزعمه، إلا أنه غير معتمد عليه، لأنه نقل المذاهب الإسلامية من الكتاب المسمّى بـ (الفرق بين الفرق) من تصانيف الأستاذ أبي منصور البغدادي، وهذا الأستاذ كان شديد التعصب على المخالفين، ولا يكاد ينقل مذهبهم على الوجه. ثم إن الشهرستاني نقل مذاهب الفرق الإسلامية من ذلك الكتاب، فلهذا السبب وقع الخلل في نقل المذاهب^(٣).

(١) مقدمة مقالات الإسلاميين، ص ١.

(٢) مقدمة الفصل في الملل والأهواء والنحل ١/٣٦.

(٣) مناظرات جرت في بلاد ما وراء النهر في الحكمة والخلاف وغيرهما، ص ٢٥. وراجع ما قاله الخوارزمي

٤ - وقال تقي الدين السبكي في تقييم كتاب الفصل في الملل والأهواء والنحل لابن حزم: كتابه هذا من شر الكتب، وما برح المحققون من أصحابنا يnehون عن النظر فيه، لما فيه من الإزراء بأهل السنّة، وقد أفرط فيه في التعصب على أبي الحسن الأشعري، حتى صرّح بنسبته إلى البدعة^(١).

٥ - وقال تاج الدين السبكي: مصنّف ابن حزم... مبدّد ليس له نظام، ثم فيه من الحط على أئمة السنّة ونسبة الأشاعرة إلى ما هم بريئون منه ما يكثّر تعداده، ثم ابن حزم نفسه لا يدري علم الكلام حق الدراية على طريق أهله^(٢).

ولأجل ما تقدم رأينا أن نعرض عن بيان الفرق والآراء والمذاهب، لأن ذلك أمر تاهت فيه العقول، وزلّت فيه أقدام الفحول، وهو مسلك وعر جداً، ولا فائدة مهمة فيه، فتركه أولى وأجود، والإعراض عنه أنفع وأحمد.

في الشهرستاني في مجمع البلدان ٥/٣١٥.

(١) عن كشف الظنون ٢/١٨٢٠.

(٢) طبقات الشافعية ٦/١٢٩.

الفصل الرابع

أسباب حدوث الفرقة

إن الأسباب التي نتج عنها اختلاف المسلمين وتفرُّقهم إلى مذاهب وطوائف كثيرة يصعب على الباحث جمعها واستقصاؤها كلها، بسبب البعد الزمني الكبير الفاصل بيننا وبين أحداث الصدر الأول، التي تمخَّض عنها كل خلاف وقع في هذه الأمة في الأزمنة اللاحقة، وكذلك بسبب كثرة ما اختلقت من الوقائع والأحداث وكثرة ما أخفي من الحقائق، وما حُرِّف من الوقائع والحوادث.

إلا أن تلك الأسباب لم تخفَ كلها علينا، فإن الآيات القرآنية والأحاديث النبوية قد أوضحت أسباباً مهمّة كان لها أعظم الأثر في إحداث هذه الفرقة، ونشوء تلك المذاهب.

وأهم ما وقفنا عليه من تلك الأسباب سنذكره بشيء من التفصيل، ولعل الباحث الخبير يقف على أسباب أخرى مهمة، لم نلتفت إليها، أو لم نرد إطالة البحث بها.

وأهم هذه الأسباب خمسة:

١- رزية يوم الخميس.

٢- ظهور المنافقين.

٣- الأئمة المضلّون.

٤- البغي.

٥- الأحاديث الموضوعية.

السبب الأول رزية يوم الخميس

السبب الأول الذي كان له بالغ الأثر في حدوث الفرقة والاختلاف بين المسلمين هو رزية يوم الخميس، التي ذُكرت في الأحاديث الصحيحة التي أخرجها البخاري ومسلم في الصحيحين، والإمام أحمد بن حنبل في المسند، وغيرهم.

طرق الحديث:

١- أخرج البخاري بسنده عن ابن عباس، قال: لما اشتد بالنبي ﷺ وجعه قال: اتنوني بكتاب أكتب لكم كتاباً لا تضلّوا بعده. قال عمر: إن النبي ﷺ غلبه الوجع، وعندنا كتاب الله حسبنا. فاختلفوا وكثر اللغط، قال: قوموا عني، ولا ينبغي عندي التنازع. فخرج ابن عباس يقول: إن الرزية كل الرزية ما حال بين رسول الله ﷺ وبين كتابه^(١).

٢- وأخرج فيه بسنده عن ابن عباس أيضاً، قال: قال ابن عباس: يوم الخميس، وما يوم الخميس!! اشتد برسول الله ﷺ وجعه، فقال: اتنوني أكتب لكم كتاباً لن تضلّوا بعده أبداً، فتنازعوا ولا ينبغي عند نبيّ تنازع، فقالوا: وما شأنه؟ أهجر؟

(١) صحيح البخاري ٣٨/١ كتاب العلم، باب كتابة العلم رقم ٣٩.

استفهموه. فذهبوا يردّون عليه، فقال: دعوني، فالذي أنا فيه خير مما تدعوني إليه. وأوصاهم بثلاث، قال: أخرجوا المشركين من جزيرة العرب، وأجيزوا الوفد بنحو ما كنت أجيزهم، وسكت عن الثالثة، أو قال: نسيتها^(١).

٣ - وأخرج عن ابن عباس أيضاً: لما حُضِرَ رسول الله ﷺ وفي البيت رجال فيهم عمر بن الخطاب، قال النبي ﷺ: هلمّ أكتب لكم كتاباً لا تضلّوا بعده. فقال عمر: إن النبي ﷺ قد غلب عليه الوجد، وعندكم القرآن، حسبنا كتاب الله. فاختلف أهل البيت فاختموا، منهم من يقول: قريوا يكتب لكم النبي ﷺ كتاباً لن تضلّوا بعده. ومنهم من يقول ما قال عمر، فلما أكثروا اللغو عند النبي ﷺ قال رسول الله ﷺ: قوموا... الحديث^(٢).

وأخرجه أيضاً في كتاب الاعتصام^(٣)، وكتاب الجزية^(٤)، وكتاب الجهاد^(٥)، بألفاظ متقاربة.

كما أخرج مسلم في الصحيح عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس، أنه قال: يوم الخميس! وما يوم الخميس! ثم جعل تسيل دموعه حتى رأيت على خديها كأنها نظام اللؤلؤ. قال: قال رسول الله ﷺ: اتئوني بالكف والدواة أو اللوح والدواة أكتب كتاباً لن تضلّوا بعده أبداً. فقالوا: إن رسول الله ﷺ يهجر^(٦).
وأخرجه أيضاً بألفاظ قريبة مما أخرجه البخاري.

كما أخرجه أحمد بن حنبل في المسند في مواضع متعددة^(٧)، والحاكم في

(١) المصدر السابق ٦/ ١١ كتاب المغازي، باب مرض النبي ﷺ ووفاته.

(٢) المصدر السابق ٧/ ١٥٥ كتاب الطب، باب قول المريض قوموا عني رقم ١٧.

(٣) المصدر السابق ٩/ ١٣٧ كتاب الاعتصام، باب كراهية الخلاف رقم ٢٦.

(٤) المصدر السابق ٤/ ١٢١ كتاب الجزية، باب إخراج اليهود من جزيرة العرب رقم ٦.

(٥) المصدر السابق ٤/ ٨٥ كتاب الجهاد، باب هل يستشفع إلى أهل الذمة ومعاملتهم رقم ١٧٦.

(٦) صحيح مسلم ٣/ ١٢٥٧-١٢٥٩، كتاب الوصية، باب ترك الوصية لمن ليس له شيء يوصي فيه.

(٧) مسند أحمد بن حنبل ١/ ٢٢٢، ٢٩٣، ٣٢٤، ٣٣٦، ٣٥٥.

المستدرک، والذهبي في تلخيصه وصحّحه^(١)، والهيثمي في مجمع الزوائد ووثق رجاله^(٢)، وغيرهم.

إذن فهذا الحديث متفق عليه في الاصطلاح، إذ أخرجه البخاري ومسلم في الصحيحين.

قال ابن أبي الحديد: هذا الحديث قد خرّجه الشيخان: محمد بن إسماعيل البخاري ومسلم بن الحجاج القشيري في صحيحيهما، وانفق المحدثون كافة على روايته^(٣).

تأملات في الحديث:

قوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ: (اتنوني بكتاب):

قال شهاب الدين القسطلاني: لم يكن الأمر في (اتنوني) للوجوب، وإنما هو من باب الإرشاد للأصلح، للقرينة الصارفة الأمر عن الإيجاب إلى الندب، وإلا فما كان يسوغ لعمر (رض) الاعتراض على أمر الرسول عليه الصلاة والسلام، على أن في تركه عليه الصلاة والسلام الإنكار على عمر (رض) دليلاً على استصوابه، فكان توقف عمر صواباً، لا سيما والقرآن فيه تبيان لكل شيء، ومن ثم قال عمر: حسبنا كتاب الله^(٤).

وقال ابن حجر العسقلاني: قال القرطبي وغيره: (اتنوني) أمر، وكان حق المأمور أن يبادر للامتثال، لكن ظهر لعمر (رض) مع طائفة أنه ليس للوجوب، وأنه من باب الإرشاد إلى الأصلح، فكرهوا أن يكلفوه من ذلك ما يشق عليه في تلك الحالة، مع استحضارهم قوله تعالى ﴿مَا فَرَطْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ﴾^(٥)، وقوله تعالى

(١) المستدرک ٣/ ٤٧٧.

(٢) مجمع الزوائد ٥/ ١٨١، ٤/ ٢١٤.

(٣) شرح نهج البلاغة ٢/ ٢٠.

(٤) إرشاد الساري ١/ ٢٠٧.

(٥) سورة الأنعام، الآية ٣٨.

﴿تبياناً لكل شيء﴾^(١)، ولهذا قال عمر: حسبنا كتاب الله...

إلى أن قال: ودلّ أمره لهم بالقيام على أن أمره الأول كان على الاختيار، ولهذا عاش النبي ﷺ بعد ذلك أياماً ولم يعاود أمرهم بذلك، ولو كان واجباً لم يتركه لاختلافهم، لأنه لم يترك التبليغ لمخالفة من خالف^(٢).

وقريب مما تقدم كلام النووي في شرح صحيح مسلم، فراجعه^(٣).

أقول: الظاهر من الحديث أن الأمر فيه لم يكن للإرشاد للصلح الذي يجوز تركه، وإنما هو دال على الوجوب. ويدل على ذلك:

أولاً: أن قوله ﷺ (لا تضلّوا) يدل على أن الكتاب عاصم للأمة من الوقوع في الضلال، ولا ريب في أن السعي فيما يوجب العصمة من الضلال واجب مع القدرة، فيكون السعي لتحصيل الكتاب واجباً عليهم، فيكون امتثالهم لأمر النبي ﷺ واجباً.

وثانياً: أن استياء النبي ﷺ من فعلهم، وأمره لهم بالقيام، مع سعة ذرعه وشدة تحمّله وعظيم خلقه، دليل على أنهم ارتكبوا أمراً عظيماً ما كان لهم أن يقترفوه، وإلا فما كان من خلقه ﷺ أن يظهر هذا الاستياء إذا فعلوا ما يجوز لهم فعله^(٤).

وثالثاً: أن أمر النبي ﷺ لهم بإحضار الدواة لكتابة الكتاب كان عند الاحتضار، والمحتضر يكون عادة مشغولاً بنفسه وبما يجلب خطره ويعظم شأنه عنده، ولا سيما مع العلم بالمشقة التي ستحصل له من كتابة الكتاب. فالمقام مقام الأوامر الإلزامية المهمة، لا مقام الأوامر الإرشادية.

ورابعاً: أن عدّ ابن عباس رحمه الله الحيلولة بين النبي ﷺ وبين كتابة الكتاب

(١) سورة النحل، الآية ٨٩.

(٢) فتح الباري ١/١٦٩.

(٣) شرح النووي ١١/٩٠.

(٤) استفدنا هذين الجوابين مما ذكره السيد شرف الدين أعلى الله مقامه في كتابه النص والاجتهاد، ص ١٧٤

مع توضيح وإضافة منا.

رزية عظيمة عبّر عنها بـ (الرزية كل الرزية)، وأن بكاءه بعد انقضاء الحادثة ومضي السنين العديدة عليها^(١)، حتى صارت دموعه تنحدر على خديه كاللؤلؤ، دليل على أن مخالفة أمر النبي ﷺ كان فعلاً محرّماً فظيماً، وإلا فمن المستبعد أن يعتبر ابن عباس مخالفة الأوامر الإرشادية رزية عظيمة يبكي لأجلها.

وأما استدلالهم على أن الأمر للإرشاد إلى الأصلح بترك النبي ﷺ كتابة الكتاب وأمره لهم بالقيام، ولو كان واجباً لم يتركه لاختلافهم، وباعتراض عمر على أمر النبي ﷺ، ولو كان واجباً لما ساع له ذلك، فليس بصحيح.

أما الاستدلال بالأول فغاية ما يفيد أن كتابة ذلك الكتاب غير واجبة على النبي ﷺ بعد لغوهم ولغظهم واختلافهم، لا أنه كان لا يجب عليهم امتثال أمره.

وترك معاودة أمرهم بذلك لا يدل على أن الأمر الأول كان إرشادياً، لأنه لا مانع من أن يكون إلزامياً، فلما اختلفوا نُسخ الحكم، لعدم الفائدة من الكتابة حينئذ، ولا سيما بعد قولهم: (إن النبي ليهجر) أو (قد غلب عليه الوجد)، فاتهموه بأنه لم يكن يعي ما يقول حين أمر بالدواة والكتف، فلو كتبه حينئذ لانفتح به باب من أبواب الخلاف بين المسلمين، ولم تتحقق الغاية المرجوة والمنفعة المقصودة الداعية إلى كتابته.

ويمكن استفادة هذا المعنى من كلام النووي في الشرح، إذ قال: وكان النبي ﷺ همّ بالكتاب حين ظهر له أنه مصلحة، أو أُوحي إليه بذلك، ثم ظهر أن المصلحة تركه، أو أُوحي له بذلك، ونُسخ ذلك الأمر الأول^(٢).

وأما استدلالهم باعتراض عمر فهو لا يصلح أن يكون قرينة على إرادة الإرشاد، لأن عمر كان كثيراً ما يعترض على رسول الله ﷺ في مواقف كثيرة

(١) قال ابن حجر في فتح الباري ١/١٦٩: لأن عبيد الله - أي راوي الحديث عن ابن عباس - تابعي من

الطبقة الثانية، لم يدرك القصة في وقتها، لأنه وُلد بعد النبي ﷺ بمدة طويلة، ثم سمعها من ابن عباس

بعد ذلك بمدة أخرى، والله أعلم.

(٢) صحيح مسلم بشرح النووي ١١ / ٩٠.

مشهورة هو مخطئ فيها بلا ريب .

منها ما ذكره البخاري فيما أخرجه عن المسور بن مخرمة ومروان في حديث طويل ساق فيه خبر صلح الحديبية، قال: فقال عمر بن الخطاب: فأتيت نبي الله ﷺ، فقلت: ألسنت نبي الله حقاً؟ قال: بلى. قلت: ألسنا على الحق وعدونا على الباطل؟ قال: بلى. قلت: فلم نعطي الدينية^(١) في ديننا إذا؟ قال: إني رسول الله، ولست أعصيه، وهو ناصري. قلت: أوليس كنت تحدثنا أننا سنأتي البيت فنطوف به؟ قال: بلى، فأخبرت أنك أنتا تأتيه العام؟ قلت: لا. قال: فإنك آتية ومطوف به. قال: فأتيت أبا بكر فقلت: يا أبا بكر، أليس هذا نبي الله حقاً؟ قال: بلى. قلت: ألسنا على الحق وعدونا على الباطل؟ قال: بلى. قلت: فلم نعطي الدينية في ديننا إذا؟ قال: أيها الرجل إنه رسول الله ﷺ وليس يعصي ربّه، وهو ناصره، فاستمسك بعزّزه^(٢)، فو الله إنه على الحق. قلت: أليس كان يحدثنا أننا سنأتي البيت ونطوف به؟ قال: بلى، فأخبرك أنك تأتيه العام؟ قلت: لا. قال: فإنك آتية ومطوف به. قال الزهري: قال عمر: فعملتُ لذلك أعمالاً... الحديث^(٣).

وفي رواية أخرى أخرجه البخاري أيضاً أنه قال: فرجع متغيظاً فلم يصبر حتى جاء أبا بكر...^(٤).

وفي رواية مسلم: فانطلق عمر فلم يصبر متغيظاً، فأتى أبا بكر...^(٥).

وأنت خير بأن عمر ما كان ينبغي له أن يجادل النبي ﷺ هذه المجادلة،

(٣) الدينية: أي الخصلة المذمومة.

(٢) العزّز: ركاب كور الجمل إذا كان من جلد أو خشب، والمعنى اعتلّق به واتبع قوله وفعله ولا تخالفه.

(٣) صحيح البخاري ٣/٢٥٦ كتاب الشروط، باب الشروط في الجهاد والمصالحة مع أهل الحرب... رقم ١٥، وفي ٤/١٢٥ كتاب الجزية، باب رقم ١٨.

(٤) المصدر السابق ٦/١٧٠ كتاب تفسير القرآن، تفسير سورة الفتح.

(٥) صحيح مسلم ٣/٢٤١١ كتاب الجهاد والسير، حديث رقم ٩٤٠. وراجع كذلك مسند أحمد بن حنبل

ويناقشه هذه المناقشة، وكان اللازم عليه أن يرضى بقول النبي ﷺ، وألا يرجع متغيظاً من قوله ويراجع في ذلك أبا بكر غير راضٍ بما سمعه من الرسول ﷺ الذي أخبره بأن ذلك كان بأمر الله عزّ وجلّ.

قال السهيلي: والذي يظهر أنه توقف منه - أي من عمر - ليقف على الحكمة في القصة، وتتكشف عنه الشبهة، ونظيره قصته في الصلاة على عبد الله بن أبي... إلى أن قال: فجميع ما صدر منه كان معذوراً فيه، بل هو مأجور، لأنه مجتهد فيه^(١).

ويردّه أنه لا يسوغ لعمر وغيره أن يجتهد في قضية قضى الله ورسوله فيها بالصلح، فإن الله سبحانه وتعالى يقول ﴿وما كان لمؤمن ولا مؤمنة إذا قضى الله ورسوله أمراً أن يكون لهم الخيرة من أمرهم، ومن يعص الله ورسوله فقد ضلّ ضلالاً مبيناً﴾^(٢).

كما أنه لا يجوز لعمر أن يجادل الرسول ﷺ (ليقف على الحكمة ولتتكشف عنه الشبهة)، فإذا أجابه النبي ﷺ بالحق رجع متغيظاً ولم يصبر، حتى جاء أبا بكر فسأله ما سأل النبي ﷺ بعينه؟! وقد قالوا في الاعتذار عن عمر مما وقع منه في بيت رسول الله ﷺ أقوالاً ضعيفة، ووجوهاً ساقطة ركيكة، منها:

١ - قولهم: (فكرهوا - أي عمر ومن وافقه - أن يكلفوه من ذلك ما يشق عليه في تلك الحالة).

ويردّه أن ما كلفوه به من ردّ أمره، وما أحدثوه من اللغط والاختلاف أشد عليه من مشقة كتابة ذلك الكتاب، وأمره لهم بالقيام أدل دليل على ذلك^(٣).

(١) فتح الباري ٥/ ٢٦٥.

(٢) سورة الأحزاب، الآية ٣٦.

(٣) النص والاجتهاد، ص ١٧٧.

هذا مضافاً إلى أن هداية الأمة إلى الحق لا تتأتى بغير كلفة، فمع تراحم هذين الأمرين فلا ريب في أن الهداية مقدّمة، ولولا ذلك لما قام للدين عمد، ولما رُفعت أعلامه، وبُيّنت شرائع الله وأحكامه.

هذا مع أن هذه الكلفة الناشئة من كتابة الكتاب - على فرض تسليمها - إنما هي بأمر الله جلّ شأنه العالم بمصالح عباده، الرؤوف الرحيم بخلقه وبنبيه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ، فلو لم يكن ذلك في وسع نبيه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ لما كلفه به، فالشفقة المدعاة ههنا غير مقبولة، ولا سيما في هذا الأمر الخطير الذي لو تمّ لسُدَّ به باب الخلاف والضلال عن الأمة جمعاء.

بل إن الكلفة المدعاة غير مسلمة، لأن غرض النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ هو النص على الخلفاء من بعده كما سيوضح قريباً، وهذا لا كلفة فيه.

٢- وأما قول الخطّابي: (إنما ذهب عمر إلى أنه لو نصّ بما يزيل الخلاف لبطلت فضيلة العلماء وعدم الاجتهاد) فقد ردّه ابن الجوزي بأنه لو نصّ على شيء أو أشياء لما بطل الاجتهاد، لأن الحوادث لا يمكن حصرها^(١).

ولا أدري لم تبطل فضيلة العلماء عندما ينص النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ على خلفائه، أو يبيّن مهيات أحكام الشرع؟ فإن فضيلة العلماء ليست منحصرة في الاجتهاد، وإلا فلا فضل للأنبياء الذين تلقوا علوم السماء بالوحي، ولا فضل لمن تلقى بعض تلك العلوم منهم عليهم السلام البتة، ولا فضل لأحد من علماء أهل السنة الذين تأخروا عن عصور الأئمة الأربعة، لأنهم كلهم مقلّدة لا مجتهدون.

ولو سلّمنا أن كتابة هذا الكتاب يُبطل فضيلة العلماء ويُعدم الاجتهاد فإن هذه المصلحة لا تعارض مصلحة سد باب الضلال والاختلاف الذي فيه هلاك اثنتين وسبعين فرقة من هذه الأمة.

٣- وأما قول ابن الجوزي: (إنما خاف عمر أن يكون ما يكتبه في حال غلبة

(١) فتح الباري ١/١٦٩.

المرض، فيجد بذلك المنافقون سبيلاً إلى الطعن في ذلك المكتوب^(١) فليس بسديد، لأن عمر بقوله: (قد غلبه الوجد) فتح لهم باب الطعن في الكتاب، فدّهم على أمرٍ ربما كانوا عنه غافلين^(٢).

ومع فرض خشية عمر من ذلك فإن عليه أن يمنع القوم من الطعن في الكتاب، لا أن يبادر هو بتحقيق مرادهم، فيكفيهم مؤونة الطعن فيه.

ومع تسليم أن ذلك يفتح لهم هذا الباب، فأى قيمة لطعن المنافقين في كتاب كتبه النبي ﷺ للمؤمنين المتبعين لقوله، والآخذين بهديه على كل حال، الذين لن يضرهم طعن المنافقين وإرجاف المرجفين؟!

ولقد كان المنافقون يطعنون في الدين، ويؤذون النبي ﷺ والمؤمنين، ولم يكن ذلك قط مانعاً له ﷺ من إرشاد الأمة إلى الخير وهدايتها إلى الصلاح. فتأمل فيما قلناه بعين الإنصاف يرحمك الله، ولا تكن من الجاهلین.

٤- وأما قول النووي: (وأما كلام عمر رضي الله عنه فقد اتفق العلماء المتكلمون في شرح الحديث على أنه من دلائل فقه عمر وفضائله ودقيق نظره، لأنه خشي أن يكتب ﷺ أموراً ربما عجزوا عنها واستحقوا العقوبة عليها، لأنها منصوصة، لا مجال للاجتهاد فيها، فقال عمر: حسبنا كتاب الله...)^(٣)، فمردود بأن قوله ﷺ (لا تضلوا بعده) دالٌّ على مصلحة عظيمة مقطوعة الحصول، وخشية عمر بحصول تلك المفسدة لا يوجب لنا القطع بحصولها، بل ولا الظن القوي بها، فكيف نرفع اليد عن المصلحة العظيمة المتيقنة، من أجل مفسدة لا يغلب على الظن حصولها؟

هذا مع أن عمر لم يفصح عن مكنون نفسه ويبين لنا خشيته تلك، حتى نقول بتعارض هذه المصلحة وتلك المفسدة عنده، بل هو أمر احتمله بعض العلماء لتصحيح

(١) فتح الباري ١/١٦٩.

(٢) النص والاجتهاد، ص ١٧٨. قال السيد شرف الدين قدس سره: قوله ﷺ: (لا تضلوا) نص بأن ذلك الكتاب سبب للأمن عليهم من الضلال، فكيف يمكن أن يكون سبباً للفتنة بقدرح المنافقين.

(٣) صحيح مسلم بشرح النووي ١١/٩٠.

فعل عمر، فلا تعارض معلوم في البين كما لا يخفى.

ولا ريب في أن النبي ﷺ أعرف منه بعواقب الأمور، وأكثر حيلة للدين، وشفقة على الأمة، ورأفة بالمؤمنين، ومع ذلك فالخوف من حصول ذلك ليس في محله، لأنه لا يجوز على الله تعالى أن يكلف الخلق بها لا يطيقون، والله سبحانه يقول ﴿يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر﴾^(١)، ﴿وما جعل عليكم في الدين من حرج﴾^(٢)، و﴿لا يكلف الله نفساً إلا وسعها﴾^(٣).

وعلى فرض حصول تلك المفسدة، فهي بلا ريب لا تقاوم مصلحة الأمن من الضلال، إذ أن مخالفة الأوامر المنصوصة للعجز عنها مغفورة للأمة، وعلى فرض حصول العقاب عليها فهو عقاب غير دائم، بخلاف الوقوع في الضلال فهو غير مغفور^(٤)، لقوله تعالى ﴿إن الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء، ومن يشرك بالله فقد ضل ضلالاً بعيداً﴾^(٥)، وقوله ﴿ومن يتبع غير الإسلام ديناً فلن يقبل منه وهو في الآخرة من الخاسرين﴾^(٦).

هذا بعض ما قيل في المقام، ولست أدري لم نتجشّم هذه التأويلات الباردة، ونتكلف هذه الوجوه الساقطة، ونركب كل صعب وذلول، لننفي عن عمر الخطأ، بما لا يقبله الذوق السليم والعقل المستقيم، مع أن عمر كان يقّر بأخطائه ويعترف بأغلاطه في وقائع كثيرة وحوادث عديدة، كقوله: (كل أحد أفاقه من عمر)^(٧)، واشتهر

(١) سورة البقرة، الآية ١٨٥.

(٢) سورة الحج، الآية ٧٨.

(٣) سورة البقرة، الآية ٢٨٦.

(٤) اللهم ﴿إلا المستضعفين من الرجال والنساء والولدان لا يستطيعون حيلة ولا يهتدون سبيلاً﴾ فأولئك

عسى الله أن يعفو عنهم وكان الله عفواً غفوراً ﴿ سورة النساء، الآيتان ٩٨، ٩٩.

(٥) سورة النساء، الآية ١١٦.

(٦) سورة آل عمران، الآية ٨٥.

(٧) أخرجه البيهقي في السنن الكبرى ٢٣٣/٧، والهيثمي في مجمع الزوائد ٢٨٣/٤. عن مسند أبي يعلى.

وفال الزركشي في التذكرة في الأحاديث المشتهرة، ص ١٩٥: سنه قوي. وقال السخاوي في المقاصد

واشتهر عنه الإقرار بالعجز في حلّ بعض المعضلات في أكثر من موضع وموضع، حتى صارت كلمته في المقام مثلاً، إذ قال: (لولا عليّ لهلك عمر) و (لا أبقاني الله لمعضلة ليس لها أبو الحسن)...

بل كان عمر كثير الإقدام في فتاواه من غيره رويّة.

قال ابن أبي الحديد المعتزلي: (وكان عمر يفتي كثيراً بالحكم ثم ينقضه ويفتي بضدّه وخلافه، قضى في الجد مع الأخوة قضايا كثيرة مختلفة، ثم خاف من الحكم في هذه المسألة فقال: من أراد أن يتحقّق جرائم جهنم فليقل في الجد برأيه. وقال مرة: لا يبلغني أن امرأة تجاوز صداقها صداق نساء النبي إلا ارتجعت ذلك منها. فقالت له امرأة: ما جعل الله لك ذلك، إنه تعالى قال ﴿وَأْتِمِمَّ كَفَرَاتٍ فَمَا تَأْخُذُوا مِنْهُ شَيْئاً، أَتَأْخُذُونَهُ بِهَتَاناً وَأُتْمًا مَبِيناً﴾ فقال: كل الناس أفقه من عمر حتى ربّات الحجال، ألا تعجبون من إمام أخطأ وامرأة أصابت، فاضلت إمامكم ففضلته... ومرّ يوماً بشاب من فتيان الأنصار وهو ضمّان، فاستسقاها فجدح له ماء بعسل فلم يشربه، وقال: إن الله تعالى يقول ﴿أَذْهَبْتُمْ طَيِّبَاتِكُمْ فِي حَيَاتِكُمُ الدُّنْيَا﴾، فقال له الفتى: يا أمير المؤمنين، إنها ليست لك ولا لأحد من أهل هذه القبلة، اقرأ ما قبلها ﴿وَيَوْمَ يَعْرِضُ الَّذِينَ كَفَرُوا عَلَى النَّارِ أَذْهَبْتُمْ طَيِّبَاتِكُمْ فِي حَيَاتِكُمُ الدُّنْيَا﴾. فقال عمر: كل الناس أفقه من عمر... إلى آخر كلامه^(١).

فَمَنْ كَانَ هَذَا دَابَهُ وَطَبَعَهُ فَكَيْفَ نَتَكَلَّفُ مِثْلَ هَذِهِ الْوُجُوهِ الْوَاهِيَةِ لِتَصْوِيْبِهِ، الَّتِي تَسْتَلْزِمُ تَغْلِيْطَ سَيِّدِ الْكَائِنَاتِ وَأَشْرَفِ الْمُرْسَلِيْنَ ﷺ، الَّذِي وَصَفَهُ الْمَوْلَى الْحَكِيمُ جَلَّ شَأْنُهُ فِي مُحْكَمِ كِتَابِهِ وَفَصَلَ خَطَابَهُ، بِأَجْلَى بَيَانٍ وَأَفْصَحَ لِسَانٍ، فَقَالَ ﴿وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ ۗ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ﴾^(٢).

مضافاً إلى أن كل ما ذكره من الوجوه مبني على الظن والتخمين اللذين لا

الحسنة، ص ٣٢١: سنه جيد قوي. وقال العجلوني في كشف الخفا ٢/١١٨: سنه جيد.

(١) شرح نهج البلاغة ١/٦١.

(٢) سورة النجم، الآيتان ٣ - ٤.

يغنيان من الحق شيئاً، إذ لم يوضح لنا عمر نفسه الدواعي التي دعت به إلى فعل ذلك في أثر أو خبر، ولو كان لتُقل إلينا، لتوفّر الدواعي الكثيرة إلى نقله.

فتبصّر أخي العزيز فيما قلت وقالوا، ولا تتبع إلا الحق، فإن الحق أحق أن يتبع. ولا تذهبن بك المذاهب فتظن أن غايتي من سوق كل ذلك هو الطعن في واحد ولمزه بما يشينه، فإن الغاية التي أوضحتها في مقدمة الكتاب لا تزال نصب عيني، ولكن البحث اقتضى الدخول في هذه القضية، فدخلت فيها كارهاً، متعوذاً بالله من سوء الظنون، ومعتضداً ببصيرة الفارئ الكريم وثقته وحسن ظنه، والحمد لله.



وقوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ: (أكتب لكم كتاباً لن تظلوا بعده أبداً) اختلف العلماء فيه، فقيل: أراد النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ أن يكتب لهم كتاباً يبين فيه أسماء الخلفاء من بعده. وقيل: يبين فيه مهمات الأحكام^(١).

والذي يقتضيه التدبر في الحديث هو اختيار الأول من القولين، وذلك للأسباب التالية:

١ - إن مهمات الأحكام مبيّنة وموضحة، وكان آخرها أحكام الحج الذي نزلت بعده آية إكمال الدين وإتمام النعمة على قول جمهور أهل السنة والجماعة.

قال ابن كثير: قال أسباط عن السدي: نزلت هذه الآية يوم عرفة، ولم ينزل بعدها حلال ولا حرام، ورجع رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ فمات^(٢).

وقال القرطبي: إن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ حين كان بمكة لم تكن إلا فريضة الصلاة وحدها، فلما قدم المدينة أنزل الله الحلال والحرام إلى أن حج، فلما حجّ وكمل الدين نزلت هذه الآية ﴿اليوم أكملت لكم دينكم﴾ الآية

(١) إرشاد الساري ١/٢٠٧، فتح الباري ٨/١٠٨.

(٢) تفسير القرآن العظيم ٢/١٢.

ثم قال: وقال الجمهور: معظم الفرائض والتحليل والتحریم. قالوا: وقد نزل بعد ذلك قرآن كثير، ونزلت آية الربا، ونزلت آية الكلاله، إلى غير ذلك، وإنما كمل معظم الدين وأمر الحج...^(١).

فكانت مهيات الأحكام مبيّنة وشرائع الدين موضّحة، والنص على مهيات الأحكام لا يرفع النزاع في غيرها، وأغلب الخلاف حصل بين الطوائف في ما عداها من أصول الاعتقادات وفروع الأحكام، فلا فائدة مهمة في كتابة كتاب مثل هذا مع ما يعاينه النبي ﷺ من شدة الوجد حينئذ.

٢- إن النص على مهيات الأحكام وإن سلّمنا بأهميته، إلا أن النص على الخلفاء أهم، ومراعاته أولى، ولهذا نجد أن الأحاديث الواردة في التحذير من أئمة الجور الذين يأتون بعد النبي ﷺ جاءت بصيغ الحصر، فجاء اللفظ تارة: (إنما أخاف على أمّتي الأئمة المضلين)، وتارة أخرى (إني لا أخاف على أمّتي إلا الأئمة المضلين)، وثالثة: (إن أخوف ما أخاف على أمّتي الأئمة المضلون)... إلى غير ذلك. وما ذلك إلا لأن كل كذب مفترى على رسول الله ﷺ، وكل تحريف في شريعة سيد المرسلين ﷺ، وكل ظلم وجور في هذه الأمة، إنما هو بسبب هؤلاء الأئمة المضلين، فكان النص عليه أولى وأهم من النص على سواه، ليندفع به كل تضليل واختلاف وبلاء، وسيأتي مزيد بيان في ذلك إن شاء الله تعالى.

٣ - إن الذي خفيت عليه مهيات الأحكام فخالفها من حيث لا يشعر لا يوصف بالضلال، بل إذا خالفها وهو بها عالم لا يكون ضالاً قطعاً، وإنما يوصف بالفسق ليس غير.

٤ - لو أراد النبي ﷺ أن يكتب لهم مهيات الأحكام لما حدث ما حدث من النزاع وكثرة اللغط، فإنه ﷺ أراد أن يثبت لهم من الأحكام ما يعلمون، فأبي موجب للاختلاف واللغط!؟

بل كانت المسألة عندهم أكبر من ذلك، وهي مسألة الخلافة، إذ فيها يكثر اللغظ وترتفع الأصوات، وهي منصب عظيم ومقام خطير يطمع فيه كل رجل من العرب. وهذا بالفعل ما قد حدث في يوم السقيفة، والنبى ﷺ لم يُفرغ من تجهيزه بعد.

بل إن رسول الله ﷺ لما بين أن الأئمة من قريش - وهي مسألة دون تلك - هاج الناس وكثر لغظهم، حتى خفي بعض ما قال على راوي الحديث، كما سيأتي مفصلاً.

٥ - إن الظرف التاريخي ينبغي ألا يُغفل في المقام، فإن النبي ﷺ أمرهم بكتابة ذلك الكتاب قبيل وفاته بأيام قليلة، مع شدة وجعه وانشغاله بنفسه، وهو وقت لا تناسبه كتابة مهمات الأحكام المعلومة عندهم بقدر ما كان الوقت مناسباً لتعيين الخليفة من بعده، ولذلك عني أبو بكر بكتابة عهده إلى عمر حين دنو أجله، وعهد عمر للسته أصحاب الشورى بعدما طعن وأدرك قرب موته، وهذه هي السيرة المعلومة للحكام والسلاطين على ممر العصور وتعاقب الدهور.

ومن كل ذلك يتضح أن النبي ﷺ خشي على الأمة من الضلال المحتمل من هذا الباب، فأراد أن يبين لهم الخلفاء من بعده، فعلم القوم بما أراد، فحال من حال بين النبي ﷺ وبين ذلك الكتاب، لثلا تنحصر الخلافة في رجال أو في بيت من قريش، فلا يكون لغيرهم فيها نصيب، والله أعلم بخفايا القلوب.



قوله: (وما ينبغي عند نبي تنازع): دال على أن التنازع عند النبي ﷺ قبيح مذموم منهى عنه في الدين، لأن الله جلّ وعلا أمر الناس بالرجوع فيما تنازعوا فيه إلى الله وإلى الرسول ﷺ وإن لم يكونوا في حضرته، فإذا كانوا عنده فرجوعهم إليه من باب أولى، بل إن الله سبحانه علّق الإيمان بالله واليوم الآخر على ذلك، فقال عزّ من قائل ﴿فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكّموك فيما شجر بينهم، ثم لا يجدوا في أنفسهم

حرجاً مما قضيت ويسلموا تسليماً^(١)، وقال سبحانه ﴿يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولي الأمر منكم فإن تنازعتم في شيء فردوه إلى الله والرسول إن كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر ذلك خير وأحسن تأويلاً^(٢)﴾.

هذا مع أن التنازع عنده صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ يستلزم ترك توقيره وإجلاله الواجب على الأمة، ويستلزم إيذاءه المحرّم بقوله جلّ شأنه ﴿والذين يؤذون رسول الله لهم عذاب أليم﴾^(٣)، وقوله ﴿إن الذين يؤذون الله ورسوله لعنهم الله في الدنيا والآخرة وأعدّ لهم عذاباً مهيناً﴾^(٤)، ويستلزم رفع الصوت عنده، والله جلّ وعلا يقول ﴿يا أيها الذين آمنوا لا ترفعوا أصواتكم فوق صوت النبي ولا تجهروا له بالقول كجهر بعضكم لبعض أن تحبط أعمالكم وأنتم لا تشعرون﴾^(٥) إن الذين يغضون أصواتهم عند رسول الله أولئك الذين امتحن الله قلوبهم للتقوى لهم مغفرة وأجر عظيم^(٥).

النتيجة:

ونخلص من جميع ما تقدّم إلى أن اختلاف من كان حاضراً في البيت في امتثال أمر النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ لم يكن فيه للمسلمين خير ولا فائدة، بل نتج عنه الحرمان العظيم من الخير الكثير والنفع الوفير.

وسواء قلنا أنهم أخطأوا أم لا، فلا ريب في أن امتثال أمر النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ إن لم يكن واجباً - تنزلاً - فلا أقل من كونه راجحاً، وهو ما لم ينفه أحد من شراح الحديث.

كما أنه لا شك في أن الكتاب سواء كان لبيان مهمات الأحكام، أم للنص على الخليفة من بعده صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ، فهو عاصم للأمة من الوقوع في ظلمات الزيغ والضلال كما نص الحديث، وحسبك هذا نفعاً عظيماً وخيراً كثيراً.

(١) سورة النساء، الآية ٦٥.

(٢) سورة النساء، الآية ٥٩.

(٣) سورة التوبة، الآية ٦١.

(٤) سورة الأحزاب، الآية ٥٧.

(٥) سورة الحجرات، الآيتان ٢ - ٣.

السبب الثاني

ظهور المنافقين

الكلام في هذا المقام يستدعي بيان أمور:

الأول: إن المنافقين في زمان رسول الله ﷺ كانوا متوافرين في المدينة وفي غيرها، وكانوا يترددون على مجالس النبي ﷺ، ويحضرون مشاهدته ويخاطبونه، وبذلك نطقت الآيات القرآنية الشريفة، والأحاديث النبوية المستفيضة، والآثار الكثيرة الثابتة.

فمن آيات الكتاب العزيز:

١- قوله جلّ شأنه ﴿وممن حولكم من الأعراب منافقون ومن أهل المدينة مردوا على النفاق لا تعلمهم نحن نعلمهم، سنعذبهم مرتين ثم يُردون إلى عذاب عظيم﴾^(١).

٢- وقوله سبحانه ﴿إذا جاءك المنافقون قالوا نشهد إنك لرسول الله، والله يعلم إنك لرسوله، والله يشهد إن المنافقين لكاذبون ﴿ اتخذوا أيمانهم جنة فصدوا عن سبيل الله، إنهم ساء ما كانوا يعملون ﴿ ذلك بأنهم آمنوا ثم كفروا فطبع على قلوبهم فهم لا يفقهون ﴿ وإذا رأيتهم تعجبك أجسامهم، وإن يقولوا تسمع لقولهم، كأنهم خشب مسندة، يحسبون كل صيحة عليهم، هم العدو فاحذرهم، قاتلهم الله أنى يؤفكون ﴿

(١) سورة التوبة، الآية ١٠١.

وإذا قيل لهم تعالوا يستغفر لكم رسول الله لَوْأَوْ رَوْوَسَهُمْ ورَأَيْتَهُمْ يَصُدُّونَ وَهُمْ مُسْتَكْبِرُونَ ﴿١﴾ سواء عليهم أَسْتَغْفَرْتَ لَهُمْ أَمْ لَمْ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ لَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُمْ، إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ ﴿٢﴾ هم الذين يقولون لا تنفقوا على من عند رسول الله حتى ينفضوا والله خزائن السماوات والأرض، ولكن المنافقين لا يفقهون، يقولون لئن رجعنا إلى المدينة لِيُخْرِجَنَّ الْأَعَزُّ مِنْهَا الْأَذْلَ، والله العزَّةُ ولرسوله وللمؤمنين، ولكن المنافقين لا يعلمون ﴿٣﴾.

٣- وقوله تعالى ﴿يَجْذُرُ الْمُنَافِقُونَ أَنْ تُنَزَّلَ عَلَيْهِمْ سُورَةٌ تُنَبِّئُهُمْ بِمَا فِي قُلُوبِهِمْ قُلِ اسْتَهْزِئُوا إِنَّ اللَّهَ مُخْرِجٌ مَا تَحْذَرُونَ ﴿١﴾ ولئن سألتهم ليقولنَّ إنما كنا نخوض ونلعب قل أبالله وآياته ورسوله كنتم تستهزئون ﴿٢﴾ لا تعتذروا قد كفرتم بعد إيمانكم إن نعفُ عن طائفة منكم نعذب طائفة بأنهم كانوا مجرمين ﴿٣﴾.

٤- وقوله جلَّ وعلا ﴿وَإِذْ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ مَا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ إِلَّا غُرُورًا ﴿١﴾ وَإِذْ قَالَتْ طَائِفَةٌ مِنْهُمْ يَا أَهْلَ يَثْرِبَ لَا مَقَامَ لَكُمْ فَارْجِعُوا وَيَسْتَأْذِنُ فَرِيقٌ مِنْهُمُ النَّبِيَّ يَقُولُونَ إِنَّ بُيُوتَنَا عَوْرَةٌ وَمَا هِيَ بِعَوْرَةٍ إِنْ يُرِيدُونَ إِلَّا فِرَارًا ﴿٢﴾.

٥- وقوله عز من قائل ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ نُهُوا عَنِ النَّجْوَى ثُمَّ يَعُودُونَ لِمَا نُهُوا عَنْهُ وَيَتَنَاجَوْنَ بِالْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَمَعْصِيَةِ الرَّسُولِ وَإِذَا جَاءُوكَ حَيَّوْكَ بِمَا لَمْ يَحْيِكْ بِهِ اللَّهُ وَيَقُولُونَ فِي أَنْفُسِهِمْ لَوْلَا يُعَذِّبُنَا اللَّهُ بِمَا نَقُولُ حَسْبَهُمْ جَهَنَّمُ يَصَلُونَهَا فَبئسَ الْمَصِيرُ ﴿٤﴾.

٦- وقوله تعالى ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ جَاهِدِ الْكُفْرَانَ وَالْمُنَافِقِينَ وَاغْلَظْ عَلَيْهِمْ وَمَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَبئسَ الْمَصِيرُ ﴿٥﴾.

(١) سورة المنافقون، الآيات ١ - ٨.

(٢) سورة التوبة، الآيات ٦٤ - ٦٦.

(٣) سورة الأحزاب، الآيات ١٢ - ١٣.

(٤) سورة المجادلة، الآية ٨.

(٥) سورة التوبة، الآية ٧٣.

إلى غير ذلك من الآيات الكثيرة.

وأما الأحاديث والآثار الدالة على أن في صحابة رسول الله ﷺ منافقين فكثيرة، منها:

١ - ما أخرجه البخاري في الصحيح في تفسير قوله تعالى ﴿فقاتلوا أئمة الكفر إنهم لا أيمان لهم﴾، عن زيد بن وهب قال: كنا عند حذيفة فقال: ما بقي من أصحاب هذه الآية إلا ثلاثة، ولا من المنافقين إلا أربعة^(١).

٢ - وما أخرجه فيه أيضاً عن أبي مسعود قال: لما أمرنا بالصدقة كنا نتحامل، فجاء أبو عقيل بنصف صاع، وجاء إنسان بأكثر منه، فقال المنافقون: إن الله لغني عن صدقة هذا، وما فعل هذا الآخر إلا رثاء، فنزلت ﴿الذين يلمزون المطوعين من المؤمنين في الصدقات والذين لا يجدون إلا جهدهم﴾^(٢).

٣ - وما أخرجه عن حذيفة بن اليمان قال: إن المنافقين اليوم شر منهم على عهد النبي ﷺ، كانوا يومئذ يسرون واليوم يجهرون^(٣).
وعنه أيضاً قال: إنها النفاق على عهد النبي ﷺ، فأما اليوم فإنما هو الكفر بعد الإيمان^(٤).

٤ - وما أخرجه مسلم في الصحيح عن قيس قال: قلت لعمار: أرايتم صنعكم هذا الذي صنعتم في أمر عليّ، أراياً رأيتموه أو شيئاً عهده إليكم رسول الله ﷺ؟ فقال: ما عهد إلينا رسول الله ﷺ شيئاً لم يعهده إلى الناس كافة، ولكن حذيفة أخبرني عن النبي ﷺ قال: قال النبي ﷺ: في أصحابي اثنا عشر منافقاً، فيهم ثمانية لا يدخلون الجنة حتى يلج الجمل في سمّ الخياط، ثمانية منهم تكفيكمهم الدبيلة^(٥)، وأربعة لم أحفظ ما

(١) صحيح البخاري ٦/ ٨٢ كتاب التفسير، تفسير سورة براءة.

(٢) المصدر السابق ٦/ ٨٤.

(٣) المصدر السابق ٩/ ٧٢ كتاب الفتن، باب إذا قال عند قوم شيئاً ثم خرج فقال بخلافه، رقم ٢١.

(٤) المصدر السابق نفسه.

(٥) الدبيلة: حُرَّاج ودَمَل كبير تظهر في الجوف، فتقتل صاحبها غالباً (لسان العرب ١١/ ٢٣٥)، وورد

قال شعبة فيهم^(١).

٥ - وما أخرجه الهيثمي عن أبي الطفيل، قال: خرج رسول الله ﷺ إلى غزوة تبوك، فانتهى إلى عقبة، فأمر مناديه فنادى: لا يأخذن العقبة أحد، فإن رسول الله ﷺ يسير يأخذها. وكان رسول الله ﷺ يسير، وحذيفة يقوده، وعمار بن ياسر يسوقه، فأقبل رهط متلثمين على الرواحل حتى غشوا النبي ﷺ، فرجع عمار فضرب وجوه الرواحل، فقال النبي ﷺ لحذيفة: (قَدْ قُدْ). فلحقه عمار فقال: (سُقْ سُقْ). حتى أناخ، فقال لعمار: هل تعرف القوم؟ فقال: لا، كانوا متلثمين وقد عرفت عامة الرواحل. قال: أتدري ما أرادوا برسول الله ﷺ؟ قلت: الله ورسوله أعلم. قال أرادوا أن ينفروا برسول الله ﷺ فيطرحوه من العقبة. فلما كان بعد ذلك نزع بين عمار وبين رجل منهم شيء مما يكون بين الناس، فقال: أنشدك بالله، كم أصحاب العقبة الذين أرادوا أن يمكروا برسول الله؟ قال: نرى أنهم أربعة عشر. قال: فإن كنت فيهم فكانوا خمسة عشر، ويشهد عمار أن اثني عشر حرب لله ورسوله في الحياة الدنيا ويوم يقوم الأشهاد. قال: رواه الطبراني في الكبير، ورجاله ثقات^(٢).

٦ - وأخرج مسلم في الصحيح عن أبي الطفيل، قال: كان بين رجل من أهل العقبة وبين حذيفة بعض ما يكون بين الناس. فقال: أنشدك الله، كم كان أصحاب العقبة؟ قال: فقال له القوم: أَخْبِرْهُ إِذْ سَأَلَكَ. قال: كنا نُخْبِرُ أَنَّهُمْ أَرْبَعَةٌ عَشْرًا، فَإِنْ كُنْتَ مِنْهُمْ فَقَدْ كَانَ الْقَوْمُ خَمْسَةَ عَشْرًا، وَأَشْهَدُ بِاللَّهِ أَنَّ اثْنِي عَشْرًا مِنْهُمْ حَرَبَ لِلَّهِ وَلِرَسُولِهِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ الْأَشْهَادُ. وَعَدَرَ ثَلَاثَةٌ قَالُوا: مَا سَمِعْنَا مَنَادِي رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَلَا عَلِمْنَا بِمَا أَرَادَ الْقَوْمُ، وَقَدْ كَانَ فِي حَرَّةٍ فَمَشَى، فَقَالَ: (إِنَّ الْمَاءَ قَلِيلٌ،

تفسيرها في بعض أحاديث الباب بأنها شهاب من نار يقع على نياط قلب أحدهم فيهلك (دلائل النبوة ٥/٢٦١، البداية والنهاية ١٩/٥).

(١) صحيح مسلم ٤/٢١٤٣ كتاب صفات المنافقين وأحكامهم، حديث ٩.

(٢) مجمع الزوائد ١/١١٠.

فلا يسبقني إليه أحد) فوجد قوماً قد سبقوه، فلعنهم يومئذ^(١).

٧ - وأخرج أيضاً عن زيد بن ثابت: أن النبي ﷺ خرج إلى أحد، فرجع ناس ممن كان معه، فكان أصحاب النبي ﷺ فيهم فرقتين، قال بعضهم: نقتلهم. وقال بعضهم: لا. فنزلت ﴿فما لكم من المنافقين فئتين﴾^(٢).

٨ - وأخرج أيضاً عن أبي سعيد الخدري: أن رجلاً من المنافقين في عهد رسول الله ﷺ، كانوا إذا خرج النبي ﷺ إلى الغزو تخلّفوا عنه، وفرحوا بمقعدهم خلاف رسول الله ﷺ، فإذا قدم النبي ﷺ اعتذروا إليه وحلفوا، وأحبوا أن يُحمّدوا بما لم يفعلوا. فنزلت ﴿لا تحسبنّ الذين يفرحون بما أتوا ويحبون أن يُحمّدوا بما لم يفعلوا فلا تحسبنّهم بمفازة من العذاب﴾^(٣).

إلى غير ذلك من الأحاديث الكثيرة والآثار المستفيضة.

الثاني: أن المنافقين الذين كانوا متوافرين في عصر الرسالة، وكانوا لا يألون جهداً في بث الفرقة وإيقاظ الفتنة، لم يسمع لهم بعد عصر الرسالة حسيس ولا ذكر، بل انقطعت أخبارهم، واضمحلت آثارهم، فصار كل من صحب النبي ﷺ أو رآه حائزاً على لقب الصحبة، الذي به تثبت له القداسة والوثاقة والعدالة.

فهل انقرض المنافقون في حياة النبي ﷺ؟ أو ماتوا بموته؟ أو آمنوا بعده فحسن إسلامهم؟

أما انقراضهم في حياة النبي ﷺ أو موتهم بموته، فلا يمكن الذهاب إليه، للاتفاق على فساده.

وأما إيمانهم بعده ﷺ فالأدلة تدل على خلافه، فإن حذيفة بن اليمان - وهو

(١) صحيح مسلم ٤/٢١٤٤.

(٢) المصدر السابق ٤/٢١٤٢.

(٣) المصدر نفسه.

صاحب سر رسول الله ﷺ الذي أخبره النبي بأسماء المنافقين^(١) - قال في حديث البخاري المتقدم في تفسير قوله تعالى ﴿فقاتلوا أئمة الكفر﴾: ما بقي من أصحاب هذه الآية إلا ثلاثة، ولا من المنافقين إلا أربعة.

وقد سأل عمر بن الخطاب حذيفة بن اليمان هل دُكر في المنافقين أم لا؟^(٢)

وهذا يدل على أن بقاء النفاق بعد رسول الله ﷺ كان مرتكزاً في الأذهان لا يُختلف فيه، ولهذا كان عمر لا يصلي على ميت حتى يصلي عليه حذيفة خشية أن يكون من المنافقين^(٣).

إذن فيم نفسّر هذه الظاهرة التي يوحى للمرء بأن النفاق قد تلاشى وذهب إلى غير رجعة؟

لقد وجدت كلاماً حسناً لابن أبي الحديد المعتزلي يعلل هذه الظاهرة حيث قال: قد كان في أيام الرسول ﷺ منافقون، وبقوا بعده، وليس يمكن أن يقال: إن النفاق مات بموته. والسبب في استتار حالهم بعده أنه ﷺ كان لا يزال يذكرهم بما ينزل عليه من القرآن، فإنه مشحون بذكرهم. ألا ترى أن أكثر ما نزل بالمدينة من القرآن، مملوء بذكر المنافقين؟ فكان السبب في انتشار ذكرهم وأحوالهم وحركاتهم هو القرآن، فلما انقطع الوحي بموته ﷺ لم يبق من ينعى عليهم سقطاتهم، ويوبّخهم على أعمالهم، ويأمر بالحذر منهم، ويجاهرهم تارة، ويعاملهم تارة، وصار المتولي للأمر بعده يحمل الناس كلهم على كاهل المجاملة، ويعاملهم بالظاهر، وهو الواجب في حكم

(١) نص على ذلك الذهبي في سير أعلام النبلاء ٢/ ٣٦١، وابن العماد الحنبلي في شذرات الذهب ١/ ٤٤، والمزي في تهذيب الكمال ٥/ ٤٩٦، وابن حجر في فتح الباري ٧/ ٧٤، والإصابة ١/ ٣١٨، وتهذيب التهذيب ٢/ ١٩٣، والقسطلاني في إرشاد الساري ٦/ ١٣١، والعجلي في الثقات، ص ١١١، وابن الأثير في أسد الغابة ١/ ٣٩١، والنووي في تهذيب الأسماء واللغات ١/ ١٥٤، وابن عبد البر في الاستيعاب ١/ ٢٧٧ وغيرهم. وروى ذلك البخاري في الصحيح ٥/ ٣١، وأحمد في المسند ٦/ ٤٤٩.

(٢) سيأتي ذكر مصادره في الفصل العاشر إن شاء الله تعالى.

(٣) ذكر ذلك ابن العماد الحنبلي في شذرات الذهب ١/ ٤٤، والقسطلاني في إرشاد الساري ٦/ ١٣١، وابن الأثير في أسد الغابة ١/ ٣٩١، وابن عبد البر في الاستيعاب ١/ ٢٧٨، والطبري في جامع البيان ١١/ ٩.

الشرع والسياسة الدنيوية، بخلاف حال الرسول ﷺ، فإنه كان تكليفه معهم غير هذا التكليف، ألا ترى أنه قيل له ﴿وَلَا تُصَلِّ عَلَى أَحَدٍ مِنْهُمْ مَاتَ أَبَدًا﴾، فهذا يدل على أنه كان يعرفهم بأعيانهم، وإلا كان النهي له عن الصلاة عليهم تكليف ما لا يطاق، والولي بعده لا يعرفهم بأعيانهم، فليس مخاطباً بما خوطب به ﷺ في أمرهم. ولسكوت الخلفاء عنهم بعده خمل ذكرهم، فكان قصارى أمر المنافق أن يسرَّ ما في قلبه، ويعامل المسلمين بظاهره، ويعاملونه بحسب ذلك، ثم فُتحت عليهم البلاد، وكثرت الغنائم، فاشتغلوا بها عن الحركات التي كانوا يعتمدونها أيام رسول الله، وبعثهم الخلفاء مع الأمراء إلى بلاد فارس والروم، فأهتَم الدنيا عن الأمور التي كانت تنقم منهم في حياة رسول الله ﷺ ...

وبالجملة، لما تُركوا تركوا، وحيث سُكت عنهم سكتوا عن الإسلام وأهله، إلا في دسيئة خفية يعملونها نحو الكذب... فإنه خالط الحديث كذب كثير صدر عن قوم غير صحيحي العقيدة، قصدوا به الإضلال وتخبيط العقائد، وقصد به بعضهم التنويه بذكر قوم كان لهم في التنويه بذكرهم غرض دنيوي^(١).

الثالث: لقد عني القرآن الكريم بأمر المنافقين، فنزلت الآيات الكثيرة التي تتوعدهم، وتذمهم، وتحذر منهم، ويأمر الله تعالى فيها نبيّه بمجاهدتهم والغلظة عليهم.

وهذا يعني أنهم كانوا أولي بأس وقوة وخطر ونفوذ، وأنهم كانوا كثيرين، ولم يكونوا قلةً مستضعفين، وأن ضررهم على الدين وأهله كان أو سيكون عظيماً، لأنهم كانوا لا يألون جهداً في بث الفرقة، وإحداث الفتنة بين المسلمين.

وبعد انتقال النبي ﷺ إلى الرفيق الأعلى ازدادوا قوّة ونفوذاً، فجهروا بمكائدهم ضد الإسلام، وحاربوا الدين وخُلصّ المؤمنين، كم مرّ في حديث البخاري عن حذيفة.

وأخرج الهيثمي عن سعد بن حذيفة، قال: قال عمار بن ياسر يوم صفين وذكر أمرهم وأمر الصلح، فقال: والله ما أسلموا، ولكن استسلموا وأسروا الكفر، فلما رأوا عليه أعواناً أظهروه^(١).

لكن الأمر الذي يدعو إلى التساؤل هو أن النبي ﷺ ترك المنافقين في المدينة، فلم يقتلهم ويستأصل شأفتهم، ليقتلع النفاق من جذوره، ويقضي عليه في مهده. وجواب ذلك:

أن النبي ﷺ كان يعامل الناس بظاهر أحوالهم لا ببواطنها، ويكتفي منهم بالشهادتين، ليرتب عليهم أحكام الإسلام، وكان يتألف الكفار والمنافقين وضعفاء الإيمان بالمال والجاه والمصاهرة وغيرها، ليرغبوا في الإسلام.

قال ابن أبي الحديد: ومنهم - يعني المنافقين - من استقام اعتقاده وخلصت نيته لما رأوا الفتوح، وإلقاء الدنيا أفلاذ كبدها من الأموال العظيمة والكنوز الجلييلة إليهم، فقالوا: لو لم يكن هذا الدين حقاً لما وصلنا إلى ما وصلنا إليه^(٢).

هذا مضافاً إلى أن مكائد المنافقين كانت في زمان النبي ﷺ مكشوفة، ودسائسهم كانت مفضوحة، فلم يكن لهم ذلك الشأن المهم إلا بعد عصر الرسالة لما تقربوا إلى الخلفاء وصاروا حكماً وأمرأ.

وسياًتي إن شاء الله في الفصل الثامن ذكر أحاديث الأئمة الاثني عشر، الذين لا يكون الإسلام عزيزاً ولا منيعاً ولا قائماً إلا بهم، ولا يكون أمر الناس ماضياً ولا صالحاً بغيرهم. فإذا تولى الأمر غيرهم فقد الإسلام منعته وعزته بمكائد المنافقين ودسائسهم التي ما كانت تجدها إلى الإسلام سبيلاً.

هذا مع أن النبي ﷺ - كما دلّت بعض الأخبار - خشي لو قتلهم أن تقول

(١) مجمع الزوائد ١/١١٣.

(٢) شرح نهج البلاغة ٣/١٤.

العرب: إن محمداً ﷺ قاتل بقوم، حتى إذا أظهره الله بهم أقبل عليهم يقتلهم^(١).
فتركه ﷺ لهم كان من باب دفع الأفسد بالفاسد، وذلك لئلا يتحامى الناس
عن الدخول في الإسلام خشية أن يعمد النبي ﷺ إلى قتلهم بتهمة النفاق، فيلحق
بالدين من الضرر ما لا يحيط به إلا الله.

الرابع: أن الله جلّ شأنه وصف المنافقين بأنهم مردوا على النفاق، أي صارت
لهم فيه دربة، حتى خفي حالهم على رسول الله ﷺ، مع كمال عقله وشدة فطنته،
وقوة ذكائه، وصفاء نفسه، وبراعة حدسه.

قال الطبري في تفسير قوله سبحانه ﴿ومن حولكم من الأعراب منافقون ومن
أهل المدينة مردوا على النفاق لا تعلمهم نحن نعلمهم﴾ الآية: يقول تعالى ذكره: ومن
القوم الذين حول مدينتكم من الأعراب منافقون، ومن أهل مدينتكم أيضاً أمثالهم
منافقون. وقوله ﴿مردوا على النفاق﴾ يقول: مرنوا عليه ودرّبوا فيه^(٢).

وقال ابن كثير: أي مرنوا واستمروا عليه^(٣).

وقال الفخر الرازي: إنهم تمردوا في حرفة النفاق، فصاروا فيها أستاذين^(٤).

(١) أخرجه البيهقي في دلائل النبوة ٥/٢٦٠ عن حذيفة بن اليمان (رض)، قال: كنت آخذ بخطام ناقة
رسول الله ﷺ أقود به وعمار يسوق الناقة، أو أنا أسوقه وعمار يقوده، حتى إذا كنا بالعقبة إذا بانني
عشر ركباً قد اعترضوه فيها، قال: فأنبئت رسول الله ﷺ بهم، فصرخ بهم، فولّوا مدبرين. فقال لنا
رسول الله: هل عرفتم القوم؟ قلنا: لا يا رسول الله، قد كانوا متلثمين، ولكننا عرفنا الركاب. قال: هؤلاء
المنافقون إلى يوم القيامة، هل تدرون ما أرادوا؟ قلنا: لا. قال: أرادوا أن يزاخوا رسول الله ﷺ في
العقبة، فيلقوه منها. قلنا: يا رسول الله، أفلا نبعث إلى عشائهم حتى يبعث إليك كل قوم برأس
صاحبهم؟ قال: لا، أكره أن تتحدث العرب بينها أن محمداً قاتل بقوم، حتى إذا أظهره الله بهم أقبل
عليهم يقتلهم... (راجع تفسير القرآن العظيم ٢/٣٧٢، والدر المثور ٤/٢٤٤، والبداية والنهاية
٥/١٨، والجامع لأحكام القرآن ٨/٢٠٧).

(٢) جامع البيان ٩/١١.

(٣) تفسير القرآن العظيم ٢/٣٨٤.

(٤) التفسير الكبير ١٦/١٧٣.

وقال الزمخشري: ودلّ على مرانتهم عليه ومهارتهم فيه بقوله ﴿لا تعلمهم﴾ أي يخفون عليك مع فطنتك وشهامتك وصدق فراستك، لفرط تنوقهم في تحامي ما يشكك في أمرهم. ثم قال ﴿نحن نعلمهم﴾ أي لا يعلمهم إلا الله، ولا يطلع على سرهم غيره، لأنهم يطنون الكفر في سويداوات قلوبهم إبطاناً، ويبرزون لك ظاهراً كظاهر المخلصين من المؤمنين، لا تشك معه في إيمانهم^(١).

ومن البيّن أن آيات الكتاب العزيز مع أنها فضحت المنافقين جملة، وكشفت مكائدهم ودسائسهم ومكرهم، إلا أنها لم تعتن ببيان أشخاصهم. وكذا الأحاديث النبوية التي دلّت على أن النبي ﷺ عرفه الله بهم، وأخبر حذيفة بن اليمان ببعضهم، هي أيضاً أغفلت ذكر أسماء المنافقين.

ولهذا بقي من لم يُعلم حاله من المنافقين مجهولاً بستار نفاقه، ومن علم حاله كُتم اسمه، وبذلك خفيت علينا أشخاصهم، وجُهلّت أسماؤهم.

والذي يظهر أن بيان المنافقين بأسمائهم - مع أهميته - لا يحقق الفائدة المرجوة، وذلك لأن سرد أسمائهم في كتاب الله العزيز لا يليق بمكانة القرآن وقداسته، وذكرهم على لسان النبي ﷺ يتنافى مع ترغيبهم في الإسلام وتأليف قلوبهم.

وعلى كل حال، فما دام هذا الفعل قد علم صدوره من النبي ﷺ فلا مجال للشك في أنه كان لمصالح لا يهمننا كثيراً أن نبحث فيها أو نبرهن عليها.

نعم، لقد أوضح النبي ﷺ لأُمَّته علامات يُعرف بها المنافقون، فقال: آية المنافق ثلاث: إذا حدّث كذب، وإذا ائتمن خان، وإذا وعد أخلف^(٢).

وقال لعليّ عليه السلام: لا يحبك إلا مؤمن، ولا يبغضك إلا منافق^(٣).

(١) الكشاف ١٦٩/٢.

(٢) صحيح البخاري ٣/٢٣٦ كتاب الشهادات، باب ٢٨. صحيح مسلم ١/٧٨ كتاب الإيمان، باب خصال المنافق. سنن الترمذي ٥/١٩ كتاب الإيمان، باب ١٤.

(٣) سيأتي ذكر مصادره في الفصل الثامن إن شاء الله تعالى.

وهذه العلامات كافية في تعرية كثير من المنافقين، وكشف الحجاب عنهم. وهذا البيان يتضح أن القول بعدالة كل الصحابة مجازفة واضحة وجرأة ظاهرة في رد آيات الكتاب العزيز والأحاديث الصحيحة والآثار الثابتة، ولا سيما إذا تساهلنا في إطلاق الصحبة على كل من لقي النبي ﷺ مؤمناً به وإن لم يخالطه أو يرو عنه، بل حتى لو حصرنا إطلاق الصحابي في من كان يخالط النبي ﷺ ويخالسه ويصاحبه في حلّه وترحاله، وفي حروبه ومغازيه، فإن المنافقين كانوا مع رسول الله ﷺ في تلك الأحوال كلها.

ولهذا قال ابن كثير: وقد كان [النبي ﷺ] يعلم أن في بعض من يخالطه من أهل المدينة نفاقاً وإن كان يراه صباحاً ومساءً^(١).

وعليه فلا بد من تسليط الضوء على رواية الأحاديث من الصحابة، وإعادة النظر في سيرهم وأخبارهم، وعرضها على الموازين الشرعية، لتمييز الثقة العدل من غيره، حتى نعتبر الحديث السليم، ونرد الخبر السقيم.

وبهذا تتمكن من تنقيح كتب الأحاديث المعروفة المتداولة بين المسلمين، بطرح ما اشتملت عليه من زيف وكذب وافتراء.

بقي علينا أن نختم الكلام بمسألة الشورى في اختيار الخلفاء بعد رسول الله ﷺ، لعلاقتها بالنتائج التي توصلنا إليها في هذا البحث، فنقول:

إن فكرة اختيار الخلفاء بعد النبي ﷺ بالشورى فيها من المفاصد أكثر مما فيها من المصالح والفوائد، مع أنه لم يقم دليل صالح على اعتبارها، ولا حجة صحيحة على اعتمادها.

فمن أهم المفاصد المترتبة عليها:

١ - عدم الأمن من اختيار أهل الشقاق والنفاق خلفاء على المسلمين، وأولياء على المؤمنين، فيحرفون الكتاب، ويبدلون السنّة، ويمرّمون الحلال، ويحلّلون الحرام،

(١) تفسير القرآن العظيم ٢/ ٣٨٤.

ويتخذون عباد الله حِوَلًا، ومال المسلمين دِوَلًا.

٢ - إن منصب الخلافة الكبرى والإمامة العظمى من المناصب العظيمة الخطر، لتي تترتب عليها أعظم المصالح وأشد المفاسد، فلا يمكن إيكالها إلى الناس الذين لا يعلمون بخفايا النفوس ولا خبايا القلوب، والذين لو علموا بها لاتبعوا أهواءهم، وسعوا وراء شهواتهم ومنافعهم، فيختارون من يحبونه ومن ينتفعون به.

قال تعالى ﴿وإن تطع أكثر من في الأرض يضلوك عن سبيل الله إن يتبعون إلا الظن وإن هم إلا يخرصون﴾^(١).

٣ - إن الشورى في اختيار الخلفاء سبب قوي من أسباب الاختلاف والتنازع بين الناس، لأن الخلافة من المناصب العظيمة التي يُرغب فيها ويُسعى إليها، ويود كل واحد من أصحاب الشأن والخطر أن يستأثر بها ويستحوذ عليها.

والشارع المقدس قد أغلق كل باب يؤدي إلى النزاع، وسدّ كل ثغرة تؤدي إلى الخلاف، فهل يفتح للأمة باباً للفرقة لا يُغلق، مع إمكان النص على الخليفة الذي تجتمع عليه الأمة وتتحد به الكلمة؟!!

وأما ما تمسك به القوم في تصحيح الشورى فغير متين.

وأهم ما اعتمدوا عليه آيتا الشورى، وهما قوله سبحانه ﴿وشاورهم في الأمر﴾^(٢)، وقوله ﴿وأمرهم شورى بينهم﴾^(٣)، وهما غير ناظرتين إلى الشورى في الخلافة.

ويدلّك على ذلك أمور:

١ - إن كلمة ﴿الأمر﴾ في قوله تعالى ﴿وشاورهم في الأمر﴾ لا يراد منها الخلافة، وإلا لوجب على النبي ﷺ امتثال الأمر المتوجه إليه، ومشاورة أصحابه في الخليفة الذي يلي الأمر بعده، مع أنه ﷺ لم يفعل ذلك بالاتفاق.

(١) سورة الأنعام، الآية ١١٦.

(٢) سورة آل عمران، الآية ١٥٩.

(٣) سورة الشورى، الآية ٣٨.

٢ - إن النبي ﷺ كان يشاور أصحابه فيما يتعلق بمصالح الحروب ونحوها، كما حدث في بدر وأحد والخندق، ولم يكن يشاورهم في الأحكام، ولا في أمراء البعوث وقادة السرايا والغزوات، مع أن الأخير أقل شأنًا من الخلافة التي تتوقف عليها أعظم المصالح.

قال ابن كثير: كان ﷺ يشاورهم في الحروب ونحوها^(١).

وقال الفخر الرازي: قال الكلبي وكثير من العلماء: هذا الأمر - أي في ﴿وشاورهم﴾ - مخصوص بالمشاورة في الحروب^(٢).

وقال القرطبي: وقد كان ﷺ يشاور أصحابه في الآراء المتعلقة بمصالح الحروب، وذلك في الآراء كثير^(٣).

٣ - لو كانت الشورى في الخلافة من شرائع الإسلام لبينت أحكامها وحدودها، لأنها من أهم الأمور وأولاها، ولما وقع النزاع بين العلماء فيمن يدخل في الشورى، هل هم الصحابة، أو أهل المدينة، أو أهل الحل والعقد، أو عموم المسلمين.

وهذا هو أهم أحكامها الذي عليه ارتكازها ولم يُعلم، فكيف بسائر الأحكام!؟

٤ - إن اختيار الخلفاء بعد النبي ﷺ لم يتم بالشورى بمعناها المعروف، لأن اختيار أبي بكر حدث في سقيفة بني ساعدة، وعامة المهاجرين لم يكونوا حاضرين فيها، ولهذا قال عمر (إن بيعة أبي بكر كانت فلتة، ولكن الله وقى شرّها)^(٤)، أي تمت بلا مشورة من عامة المسلمين كما سيأتي.

وأما اختيار عمر فكان بنص أبي بكر لا بالشورى، وأما عثمان فكان اختياره حاصلًا من اثنين من ستة نفر حصر عمر الشورى فيهم، مع أن الشورى التي نحن

(١) تفسير القرآن، العظيم ١/٤٢٠.

(٢) التفسير الكبير ٩/٦٧.

(٣) الجامع لأحكام القرآن ١٦/٣٧.

(٤) صحيح البخاري ٨/٢١٠ كتاب المحاربين من أهل الردة والكفر، باب رجم الجلي من الزنا إذا أحصنت.

بصدها للمسلمين عامة، لا لهؤلاء النفر خاصة.

٥ - قال القرطبي: وقد جعل عمر رضي الله عنه الخلافة - وهي أعظم النوازل - شورى^(١).

وهذا يدل على أن جعل الخلافة شورى لم يكن بنص معتبر، وإنما هو رأي رأى عمر المصلحة فيه في ذلك الوقت.

السبب الثالث الأئمة المظلون

ورد ذكر الأئمة المظلّين في آيات الكتاب العزيز، وفي أحاديث كثيرة مروية عن النبي ﷺ، فمن ذلك:

١ - قوله جلّ وعلا ﴿اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أرباباً من دون الله والمسيح ابن مريم وما أمروا إلا ليعبدوا إلهاً واحداً لا إله إلا هو سبحانه عما يشركون﴾^(١).

قال فخر الدين الرازي: الأكثرون من المفسّرين^(٢) قالوا: ليس المراد من الأرباب أنهم اعتقدوا فيهم أنهم آلهة العالم، بل المراد أنهم أطاعوهم في أوامرهم ونواهيهم. نُقِلَ أن عدي بن حاتم كان نصرانياً، فانتهى إلى رسول الله ﷺ وهو يقرأ سورة براءة، فوصل إلى هذه الآية، قال: فقلت: لسنا نعبدهم. فقال: أليس يجرّمون ما أحلّ الله

(١) سورة التوبة، الآية ٣١.

(٢) ذكر هذا المعنى للآية ابن كثير في تفسيره ٢/٣٤٨، ٣٤٩، والقرطبي في الجامع لأحكام القرآن ٨/١٢٠، والطبري في جامع البيان ١٠/٨٠، والزنجشيري في الكشف ٢/١٨٥، والسيوطي في الدر المنثور ٤/١٧٤، وغيرهم.

فتحرّمونه، ويحلّون ما حرّم الله فتستحلّونه؟! فقلت: بلى. قال: فتلك عبادتهم^(١). وقال الربيع: قلت لأبي العالية: كيف كانت تلك الربوبية في بني إسرائيل؟ فقال: إنهم ربها وجدوا في كتاب الله ما يخالف أقوال الأحرار والرهبان، فكانوا يأخذون بأقوالهم وما كانوا يقبلون حكم كتاب الله. قال شيخنا ومولانا خاتمة المحققين والمجتهدين (رض): قد شاهدت جماعة من مقلّدة الفقهاء، قرأت عليهم آيات كثيرة من كتاب الله تعالى في بعض المسائل، وكانت مذاهبهم بخلاف تلك الآيات فلم يقبلوا تلك الآيات ولم يلتفتوا إليها، وبَقُوا ينظرون إلَيَّ كالمتعجب، يعني كيف يمكن العمل بظواهر هذه الآيات مع أن الرواية عن سلفنا وردت على خلافها، ولو تأملت حق التأمل وجدت هذا الداء سارياً في عروق الأكثرين من أهل الدنيا^(٢).

وقال أيضاً: إن تلك الربوبية يحتمل أن يكون المراد منها أنهم أطاعوهم فيما كانوا مخالفين فيه لحكم الله، وأن يكون المراد منها أنهم قبلوا الكفر، فكفروا بالله، فصار ذلك جارياً مجرى أنهم اتخذوهم أرباباً من دون الله، ويحتمل أنهم أثبتوا في حقهم الحلول والاتحاد. وكل هذه الوجوه الأربعة مشاهد وواقع في هذه الأمة^(٣).



٢ - ومنه قوله عزّ من قائل ﴿يا أيها الذين آمنوا إن كثيراً من الأحبار والرهبان ليأكلون أموال الناس بالباطل ويصدّون عن سبيل الله﴾^(٤).

قال فخر الدين الرازي: إنه قال: ﴿ليأكلون أموال الناس بالباطل﴾، وقد اختلفوا في تفسير هذا الباطل على وجوه، الأول: أنهم كانوا يأخذون الرشا في تخفيف الأحكام والمساحة في الشرائع. والثاني: إنهم كانوا يدعون عند الحشرات والعوام منهم

(١) أخرجه ابن سعد وعبد بن حميد والترمذي وحسنه، وابن المنذر وابن أبي حاتم والطبراني وأبو الشيخ وابن مردويه، والبيهقي في سننه، على ما ذكره السيوطي في الدر المنثور ٤/ ١٧٤.

(٢) التفسير الكبير ١٦/ ٣٧.

(٣) المصدر السابق ١٦/ ٣٨.

(٤) سورة التوبة، الآية ٣٤.

أنه لا سبيل لأحد إلى الفوز بمرضاة الله تعالى إلا بخدمتهم وطاعتهم وبذل الأموال في طلب مرضاتهم، والعوام كانوا يعترّون بتلك الأكاذيب. الثالث: التوراة كانت مشتملة على آيات دالة على مبعث محمد ﷺ، فأولئك الأبحار والرهبان كانوا يذكرون في تأويلها وجوهاً فاسدة، ويحملونها على محامل باطلة، وكانوا يطيبون قلوب عوامهم بهذا السبب، ويأخذون الرشوة. والرابع: أنهم كانوا يقرّرون عند عوامهم أنّ الدين الحق هو الذي هم عليه، فإذا قرّروا ذلك قالوا: وتقوية الدين الحق واجب. ثم قالوا: ولا طريق إلى تقويته إلا إذا كان أولئك الفقهاء أقواماً عظاماً، أصحاب الأموال الكثيرة والجمع العظيم، فبهذا الطريق يحملون عوامهم على أن يبذلوا في خدمتهم نفوسهم وأموالهم، فهذا هو الباطل الذي كانوا به يأكلون أموال الناس، وهي بأسرها حاضرة في زماننا، وهو الطريق لأكثر الجهّال والمزورين إلى أخذ أموال العوام والحمقى من الخلق^(١).

وقال ابن كثير: وقوله تعالى ﴿وَيَصِدُّونَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ﴾ أي: وهم مع أكلهم الحرام يصدّون الناس عن اتباع الحق، ويلبسون الحق بالباطل، ويظهرون لمن اتّبعهم من الجهلة أنهم يدعون إلى الخير، وليسوا كما يزعمون، بل هم دعاة إلى النار، ويوم القيامة لا يُنصرون^(٢).

٣ - ومنه قوله سبحانه ﴿وجعلناهم أئمة يدعون إلى النار ويوم القيامة لا يُنصرون﴾^(٣).

قال القرطبي: أي جعلناهم زعماء يُتبعون على الكفر، فيكون عليهم وزرهم ووزر من اتّبعهم، حتى يكون عقابهم أكثر^(٤).

وقال فخر الدين الرازي: ومعنى دعوتهم إلى النار دعوتهم إلى موجباتها من

(١) التفسير الكبير ١٦ / ٤٢.

(٢) تفسير القرآن العظيم ٢ / ٣٥٠.

(٣) سورة القصص، الآية ٤١.

(٤) الجامع لأحكام القرآن ١٣ / ٢٨٩.

الكفر والمعاصي، فإنَّ أحداً لا يدعو إلى النار البتة، وإنما جعلهم الله تعالى أئمة في هذا الباب لأنهم بلَّغوا في هذا الباب أقصى النهايات، ومن كان كذلك استحق أن يكون إماماً يُقتدى به في ذلك الباب^(١).



وأما الأحاديث المحذرة من أئمة الضلال فهي كثيرة، وإليك بعضاً منها:

١ - أخرج الترمذي في السنن عن ثوبان، قال: قال رسول الله ﷺ: إنما أخاف على أمتي الأئمة المضلين...

قال الترمذي: وهذا حديث حسن صحيح^(٢).

٢ - وأخرجه الحاكم النيسابوري في حديث طويل وقال: هذا صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه بهذه السياقة. ووافقه على ذلك الذهبي^(٣).

٣ - وأخرجه أيضاً أبو داود^(٤) وابن ماجة^(٥) والدرامي^(٦) في السنن، وأحمد بن حنبل في المسند عن عمر وأبي ذر وثوبان وأبي الدرداء^(٧).

٤ - وأخرجه السيوطي في الجامع الصغير في موضعين: ضعّفه في موضع، وحسنه في موضع آخر^(٨).

٥ - وأخرج الهيثمي في مجمع الزوائد عن عمير بن سعد - وكان عمر ولاه حمص

(١) التفسير الكبير ٢٤ / ٢٥٤.

(٢) سنن الترمذي ٤ / ٥٠٤ كتاب الفتن، باب ما جاء في الأئمة المضلين.

(٣) المستدرک علی الصحیحین ٤ / ٤٤٩.

(٤) سنن أبي داود ٤ / ٩٧ كتاب الفتن، باب رقم ١، صحيح سنن أبي داود ٣ / ٨٠١.

(٥) سنن ابن ماجة ٢ / ١٣٠٤ كتاب الفتن، باب رقم ٩، صحيح سنن ابن ماجة ٢ / ٣٥٢.

(٦) سنن الدرّامي ١ / ٧٠ المقدمة، باب في كراهية أخذ الرأي، ٢ / ٣١١ كتاب الرقائق، باب في الأئمة المضلين.

(٧) مسند أحمد بن حنبل ١ / ٤٢، ٥ / ١٤٥، ٢٧٨، ٢٨٤، ٦ / ٤٤١.

(٨) الجامع الصغير ١ / ٣٣٤ حديث ٢١٩٠، ص ٥٦٣ حديث ٢٥٦٣.

- قال: قال عمر لكعب: إني سائلك عن أمر فلا تكتمني. قال: والله لا أكتمك شيئاً أعلمه. قال: ما أخوف ما تخاف على أمة محمد ﷺ؟ قال: أئمة مضلين. قال عمر: صدقت، قد أسرَّ إليَّ وعلمني رسول الله ﷺ.
قال: رواه أحمد، ورجاله ثقات.

وقال: وعن شداد بن أوس قال: قال رسول الله ﷺ: إني لا أخاف على أمّتي إلا الأئمة المضلين، وإذا وضع السيف في أمّتي لا يُرفع عنهم إلى يوم القيامة.
قال: رواه أحمد، ورجاله رجال صحيح.

وقال: وعن ثوبان... وساق الحديث المتقدم، وقال: رواه أحمد، ورجاله ثقات^(١).

٦- وأخرجه ابن حبان في صحيحه^(٢) والتبريزي في مشكاة المصابيح^(٣)، والطيالسي في مسنده^(٤)، ومحمد ناصر الدين الألباني في سلسلة الأحاديث الصحيحة^(٥)، وصحيح الجامع الصغير^(٦)، وصححه فيهما وفي حاشيته على مشكاة المصابيح^(٧).

معنى الحديث:

قال المناوي في شرح الحديث: يعني: إذا استقصيت الأشياء المخوفة لم يوجد أخوف منه. قال في المطامح: كان رسول الله ﷺ حريصاً على إصلاح أمته رغباً في دوام خيرتها، فخاف عليهم فساد الأئمة، لأن بفسادهم يفسد النظام، لكونهم قادة

(١) مجمع الزوائد ٥/ ٢٣٩.

(٢) عن الإحسان بترتيب صحيح ابن حبان ٧/ ٤٨.

(٣) مشكاة المصابيح ٣/ ١٤٨٤، حديث ٥٣٩٤.

(٤) مسند أبي داود الطيالسي، ص ١٣١.

(٥) سلسلة الأحاديث الصحيحة ٤/ ١٠٩.

(٦) صحيح الجامع الصغير ١/ ٣٢٢ برقم ١٥٥١، ص ٤٥٩ برقم ٢٣١٦.

(٧) مشكاة المصابيح ٣/ ١٤٨٤.

الأنام، فإذا فسدوا فسدت الرعية، وكذا العلماء إذا فسدوا فسد الجمهور، من حيث أنهم مصابيح الظلام. انتهى. وساق العلائي بسنده إلى ابن عمر، أنه قيل له: ما يهدم الإسلام؟ قال: زلة عالم، وجدال منافق، وحكم الأئمة المضلين. ومن هذا الجنس ما في الكشّاف عن الحجّاج أنه قيل له: إنك حسود. فقال: أحسد مني مَنْ قال ﴿وَهَبْ لِي مُلْكًا لَا يَنْبَغِي لِأَحَدٍ مِنْ بَعْدِي﴾. وهذا من جرّأته على الله وشيظنته. كما حُكي أنه قال: طاعتنا أوجب من طاعة الله، لأنه شَرَطَ في طاعته فقال ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ﴾، وأطلق طاعتنا فقال ﴿وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ﴾. ومن ضلالهم وضلالاتهم ما نُقِلَ عن بعض خلفاء بني مروان أنه قال لابن عبد العزيز أو الزهري: بَلَّغْنَا أَنَّ الْخَلِيفَةَ لَا يَجْرِي عَلَيْهِ الْقَلَمُ، وَلَا تُكْتَبُ عَلَيْهِ الْمَعْصِيَةُ. فقال: يا أمير المؤمنين، الخلفاء أفضل أو الأنبياء؟ قال تعالى ﴿يَا دَاوُدَ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ فَاحْكُم بَيْنَ النَّاسِ بِالْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ الْهَوَى فَيُضِلَّكَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ﴾. ولما مات ابن عبد العزيز أراد القائم من بعده أن يمشي على نمطه حتى شهد له أربعون شيخاً بأن الخليفة لا حساب عليه ولا عقاب^(١).

وقال في موضع آخر: يحتمل أنه [عليه وآله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ] يريد أنه يخاف على عوام أمته جور جميع أئمة الضلال: أئمة العِلْمِ والسلطان، فالسلطان إذا ضلَّ عن العدل وباينَ الحق تبعه كافة العوام خوفاً من سلطانه وطمعاً في جاهه، والإمام في العِلْمِ قد يقع في شبهة ويعتريه زلّة، فيضل بهوى أو بدعة، فيتبعه عوام المسلمين تقليداً، ويتسامح بمتابعة هوى، أو يتهافت على حطام الدنيا من أموال السلطان، أو يرتكب معصية، فيغتر به العوام.

وفائدة الحديث تحذير الإمام من الإمامة على ضلالة، وتخويف الرعية من متابعتها على الاغترار بإمامته^(٢).



(١) فيض القدير ٢/٤١٩.

(٢) المصدر السابق ٢/٥٦٣.

أقول: إن التعبير بـ (إنما أخاف) و (لا أخاف... إلا) الدال على الحصر، فيه دلالة واضحة على أن الأئمة المضلّين هم أقوى الأسباب المؤدية إلى الضلال، وإلا لو كان ثمة سبب للضلال هو أبلغ تأثيراً لكان الخوف منه أولى، وهو بالحصر أجدر.

وأيضاً دَلَّ الخوف من الأئمة المضلّين بهذا القدر على أن هؤلاء الأئمة - سواء كانوا علماء أم ملوكاً - سيفشو أمرهم، وتقوى شوكتهم، ويعظم في الناس أثرهم، ويضل بهم فئات كثيرة من الناس، وإلا لو كان أثرهم في الأمة ضعيفاً، وأمرهم في الناس سهلاً، لكان الحصر في الحديث مستهجنًا، لا يمكن صدوره من النبي ﷺ.

كما أن وصفهم بـ (الأئمة) دال على أن الناس سيكونون لهم تبعاً، يأخذون بأقوالهم، ويقتدون بأفعالهم، ويستنون بسنتهم، ويحتجون بسيرتهم.

ووصفه ﷺ لهم بـ (المضلّين) يدل على أنهم أرادوا إضلال عوام الناس، وقصدوه وسعوا إليه، بكتان ما علموا من الحق، أو باللباس الحق بالباطل، أو بغير ذلك.

وظاهر الأحاديث التي تحدّثت حول أئمة الضلال يدل على أن هؤلاء الأئمة سيظهرون بعد موته ﷺ بوقت قريب، لأن التعبير فيها بكلمة (بعدي) يشعر بذلك.

فقد أخرج مسلم في الصحيح عن حذيفة بن البيان، قال: قلت: يا رسول الله، إنّنا كنا بَشَرًا، فجاء الله بخير فنحن فيه، فهل من وراء هذا الخير شر؟ قال: نعم. قلت: هل من وراء ذلك الشر خير؟ قال: نعم. قلت: فهل من وراء ذلك الخير شر؟ قال: نعم. قلت: كيف؟ قال: يكون بعدي أئمة لا يهتدون بهدائي، ولا يستنون بسنتي، وسيقوم فيهم رجال قلوبهم قلوب الشياطين في جثمان إنس...^(١).

وأخرجه الحاكم في المستدرک بألفاظ قريبة مما مرّ، وقال: هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه. ووافقه الذهبي^(٢).

(١) صحيح مسلم ٣/١٤٧٦ كتاب الإمارة، باب وجوب ملازمة جماعة المسلمين عند ظهور الفتن...

(٢) المستدرک على الصحيحين ٤/٥٠٢.

وأخرج فيه أيضاً عن عبد الله بن الحارث بن جزء رضي الله عنه، قال: سمعت النبي ﷺ يقول: سيكون بعدي سلاطين الفتن، على أبوابهم كمبارك الإبل، لا يعطون أحداً شيئاً إلا أخذوا من دينه مثله^(١).

وأخرجه السيوطي في الجامع الصغير، ورمز له بالصحة^(٢).

وأخرج الحاكم أيضاً عن عبيد بن رافعة: أن عبادة بن الصامت قام قائماً في وسط دار أمير المؤمنين عثمان بن عفان رضي الله عنه، فقال: إني سمعت رسول الله ﷺ محمداً أبا القاسم يقول: سيأتي أموركم من بعدي رجال يعرفونكم ما تنكرون، وينكرون عليكم ما تعرفون، فلا طاعة لمن عصى الله، فلا تعتبوا أنفسكم. فوالذي نفسي بيده إن معاوية من أولئك. فما راجعه عثمان حرفاً.

وقال: وقد روي هذا الحديث بإسناد صحيح على شرط الشيخين في ورود عبادة بن الصامت على عثمان بن عفان متظلماً بمتن مختصر، حدّثناه أبو العباس محمد بن يعقوب... عن أزهر بن عبد الله، قال: أقبل عبادة بن الصامت حاجاً من الشام، فحجّ ثم قدم المدينة، فأتى عثمان بن عفان متظلماً... وذكر الحديث. ووافقه الذهبي^(٣).

وأخرج السيوطي متن الحديث في الجامع الصغير، ورمز له بالصحة أيضاً^(٤).

وأخرج الحاكم أيضاً عن سماك بن حرب: أن عبد الله بن خباب أخبرهم، قال: أخبرني أبي أنه كان قاعداً على باب النبي ﷺ، قال: فخرج ونحن قعود، فقال: اسمعوا. قلنا: سمعنا يا رسول الله. قال: إنه سيكون أمراء من بعدي، فلا تصدّقوهم بكذبهم، ولا تعينوهم على ظلمهم، فإنه من صدّقهم بكذبهم وأعانهم على ظلمهم فلن

(١) المصدر السابق ٣/ ٦٣٣.

(٢) الجامع الصغير

(٣) المستدرک علی الصحیحین ٣/ ٣٥٧. وصحّحه الألبانی فی سلسلته الصحیحة ٢/ ١٣٨.

(٤) الجامع الصغير ٢/ ٦٤، صحيح الجامع الصغير ١/ ٦٨٤.

يرد عليّ الحوض.

قال الحاكم: هذا حديث صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه ووافقه الذهبي^(١).

وأخرجه ابن حبان في صحيحه، وأخرج غيره مما تقدم^(٢).

وأخرج ابن ماجة في السنن عن عبد الله بن مسعود: أن النبي ﷺ قال: سيلي أموركم بعدي رجال يطفئون السنّة ويعملون بالبدعة، ويؤخرون الصلاة عن مواقيتها...^(٣)

وأخرج الهيثمي في مجمع الزوائد عن كعب بن عجرة، قال: خرج علينا رسول الله ﷺ فقال: إنها ستكون عليكم أمراء من بعدي، يعظون بالحكمة على منابر، فإذا نزلوا اختلست منهم وقلوبهم أنتن من الجيف...

وقال: رواه الطبراني، ورجاله ثقات^(٤).

فهذه الأحاديث وغيرها تدلّ على ما قلناه.

وقوله ﷺ: (سيلي أموركم... و (ستكون عليكم أمراء) دال على أن من الموصوفين بأنهم يطفئون السنّة ويعملون بالبدعة رجال من صحابة النبي ﷺ، ممن تولّوا الولايات واتبعهم الناس، فصاروا لهم قدوة، ولهم فيهم أسوة، وهو ما كشفته بعض الأحاديث الأخر.

فقد أخرج البخاري بسنده عن عبد الله، عن النبي ﷺ أنه قال: أنا فرطكم على

(١) المستدرک ١/ ٧٨.

(٢) عن الإحسان بترتيب صحيح ابن حبان ١/ ٢٠١، ٢٤٨، ٢٥٠، ٢٥١، ٢٥٢.

(٣) سنن ابن ماجة ٢/ ٩٥٦ كتاب الجهاد، باب لا طاعة في معصية الله، رقم ٤٠، حديث ٢٨٦٥. وصحّحه الألباني في صحيح سنن ابن ماجة ٢/ ١٤٢، وصحيح سنن أبي داود رقم ٤٥٨، وسلسلة الأحاديث الصحيحة ٢/ ١٣٩.

(٤) مجمع الزوائد ٥/ ٢٣٨. راجع الأحاديث المذكورة قبله في ص ٢٣٥ في باب أئمة الظلم والجور وأئمة الضلالة.

الحوض^(١)، وكَيْرَفَعَنَّ رجال منكم، ثم لِيَخْتَلِجَنَّ دوني^(٢)، فأقول: يا ربِّ، أصحابي. فيقال: إنك لا تدري ما أحدثوا بعدك^(٣).

وفي رواية: فيقال: إنك لا تدري ما بدَّلوا بعدك، فأقول: سحقاً سحقاً لمن بدَّل بعدي^(٤).

إلا أنه ليس من المهم أن نكشف النقاب عن أئمة الضلال، فنشير إليهم بأعيانهم، أو نعرِّفهم بأسمائهم، بل المهم هو معرفة أئمة الهدى الذين تلزم طاعتهم، ويجب اتباعهم.

وبالجملة، فالمتعين هو اتباع الأئمة الذين اتفقت الأمة على صلاحهم، وأجمعت على نجاتهم، لأن ذلك هو السبيل السالك إلى النجاة، وهو المخلص من الوقوع في الهلكات، وهذا ما سنرفع عنه الحجاب فيما يأتي من فصول هذا الكتاب.

(١) فرطكم: أي متقدِّمكم وسابقكم.

(٢) يُخْتَلِجَنَّ دوني: أي يُسْتَرْعُونَ ويُجَذَّبُونَ ويُعَدُّون.

(٣) صحيح البخاري ٨/١٤٨، ١٥١.

(٤) المصدر السابق ٩/٥٨. وسيأتي مزيد من أخبار هذا الباب في الفصل السادس إن شاء الله تعالى.

السبب الرابع

البغي

البغي: هو أن يتجاوز المرء حدّه، فيستعلي على غيره، أو يتقدم عليه حرصاً على الدنيا، أو طلباً للملك والرئاسة والمهابة في الناس.

وهو سبب من أسباب الاختلاف الذي وقع في الأمم السالفة والعصور الحالية، بل ظاهر الآيات الشريفة أن سبب الاختلاف كان منحصرّاً فيه ومقصوراً عليه.

قال جل وعلا ﴿كان الناس أمة واحدة فبعث الله النبيين مبشرين ومنذرين وأنزل معهم الكتاب بالحق ليحكم بين الناس فيما اختلفوا فيه وما اختلف فيه إلا الذين أوتوه من بعد ما جاءتهم البينات بغياً بينهم فهدى الله الذين آمنوا لما اختلفوا فيه من الحق بإذنه والله يهدي من يشاء إلى صراط مستقيم﴾^(١).

وقال عز من قائل ﴿إن الدين عند الله الإسلام وما اختلف الذين أوتوا الكتاب

(١) سورة البقرة، الآية ٢١٣.

إلا من بعد ما جاءهم العلم بغياً بينهم ومن يكفر بآيات الله فإن الله سريع الحساب ﴿١﴾

وقال تعالى ﴿شرع لكم من الدين ما وصى به نوحاً والذي أوحينا إليك وما وصينا به إبراهيم وموسى وعيسى أن أقيموا الدين ولا تتفرقوا فيه كبر على المشركين ما تدعوهم إليه الله يحبب إليه من يشاء ويهدي إليه من ينيب ﴿١﴾ وما تفرقوا إلا من بعد ما جاءهم العلم بغياً بينهم ولولا كلمة سبقت من ربك إلى أجل مسمى لقضى بينهم وإن الذين أورثوا الكتاب من بعدهم لفي شك منه مريب ﴿٢﴾.

وقال سبحانه ﴿ولقد آتينا بني إسرائيل الكتاب والحكم والنبوة ورزقناهم من الطيبات وفضلناهم على العالمين ﴿٣﴾ وآتيناهم بينات من الأمر فما اختلفوا إلا من بعد ما جاءهم العلم بغياً بينهم إن ربك يقضي بينهم يوم القيامة فيما كانوا فيه يختلفون ﴿٤﴾.

قال محمد بن جرير الطبري في تفسيره: معنى قوله جل ثناؤه ﴿وما اختلف فيه إلا الذين أوتوه من بعد ما جاءتهم البينات بغياً بينهم﴾: لم يكن اختلاف هؤلاء المختلفين من اليهود من بني إسرائيل في كتابي الذي أنزلته مع نبيي عن جهل منهم به، بل كان اختلافهم فيهم وخلاف حكمه من بعد ما ثبتت حجته عليهم ﴿بغياً بينهم﴾: طلب الرئاسة من بعضهم على بعض، واستذلالاً من بعضهم لبعض...

وقال في قوله ﴿وما اختلف فيه إلا الذين أوتوه﴾: أي إلا الذين أوتوا الكتاب والعلم، ﴿من بعد ما جاءتهم البينات بغياً بينهم﴾ أي بغياً على الدنيا وطلب ملكها وزخرفها وزينتها أيهم يكون له الملك والمهابة في الناس، فبغى بعضهم على بعض، وضرب بعضهم رقاب بعض ﴿٤﴾.

(١) سورة آل عمران، الآية ١٩.

(٢) سورة الشورى، الآيتان ١٣ - ١٤.

(٣) سورة الجاثية، الآيتان ١٦ - ١٧.

(٤) جامع البيان في تفسير القرآن ١٩٦/٢.

وقال الفخر الرازي: وأما قوله تعالى ﴿بغياً بينهم﴾ فالمعنى: إن الدلائل إما سمعية وإما عقلية، أما السمعية فقد حصلت بإيتاء الكتاب، وأما العقلية فقد حصلت بالبيِّنات المتقدمة على إيتاء الكتاب، فعند ذلك قد تمَّت البيِّنات، ولم يبق في العدول عذر ولا علة، فلو حصل الإعراض والعدول لم يكن ذلك إلا بحسب الحسد والبغي والحرص على طلب الدنيا. ونظير هذه الآية قوله تعالى ﴿وما اختلف الذين أُوتوا الكتاب إلا من بعد ما جاءتهم البيِّنات﴾^(١).

وقال القرطبي في تفسير قوله تعالى ﴿وما اختلف الذين أُوتوا الكتاب إلا من بعد ما جاءهم العلم بغياً بينهم﴾: أخبر تعالى عن اختلاف أهل الكتاب أنه كان على علم منهم بالحقائق، وأنه كان بغياً وطلباً للدنيا. قاله ابن عمر وغيره^(٢).

وقال ابن كثير في تفسيره هذه الآية: أي بغى بعضهم على بعض، فاختلفوا في الحق لتحاسدهم وتباغضهم وتدابرههم، فحمل بعضهم بغض البعض الآخر على مخالفته في جميع أقواله وأفعاله وإن كانت حقاً^(٣).

وقال القرطبي أيضاً: يعني بذلك جلّ ثناؤه: وما اختلف الذين أُوتوا الإنجيل - وهو الكتاب الذي ذكره الله في هذه الآية - في أمر عيسى وافترائهم على الله فيما قالوه في الأقوال التي كثر بها اختلافهم بينهم، وتشتت بها كلمتهم، وبأين بها بعضهم بعضاً، حتى استحلت بها بعضهم دماء بعض، ﴿إلا من بعد ما جاءهم العلم بغياً بينهم﴾ يعني: إلا من بعد ما علموا الحق فيما اختلفوا فيه من أمره، وأيقنوا أنهم فيما يقولون فيه من عظيم الفرية مبطلون، فأخبر الله عباده أنهم أتوا ما أتوا من الباطل، وقالوا ما قالوا من القول الذي هو كفر بالله على علم منهم بخطأ ما قالوه، وأنهم لم يقولوا ذلك جهلاً منهم بخطئه، ولكنهم قالوه واختلفوا فيه الاختلاف الذي هم عليه تعدياً من بعضهم على بعض، وطلب الرئاسات والملك والسلطان.

(١) التفسير الكبير ١٦/٦.

(٢) الجامع لأحكام القرآن ٤/٤٤.

(٣) تفسير القرآن العظيم ١/٣٥٤.

وأخرج بسنده عن الربيع في قوله ﴿وما اختلف الذين أوتوا الكتاب إلا من بعد ما جاءهم العلم بغياً بينهم﴾ قال: قال أبو العالية: إلا من بعد ما جاءهم الكتاب والعلم ﴿بغياً بينهم﴾ أي: بغياً على الدنيا وطلب ملكها وسلطانها، فقتل بعضهم بعضاً على الدنيا من بعد ما كانوا علماء الناس^(١).



أقول: إن ما حدث في الأمم السالفة قد حدث مثله في هذه الأمة حذو النعل بالنعل والقذة بالقذة. فقد وقع الاختلاف بين صحابة النبي ﷺ من أول يوم بعد وفاته في سقيفة بني ساعدة.

ولم يكن هذا الاختلاف وليد صدفة غير متوقعة، بل كان معلوم الوقوع، لأن النبي ﷺ أخبر أصحابه بأنهم سيحرصون على الإمارة، ويتنافسون على الدنيا.

١ - فقد أخرج البخاري عن أبي هريرة، عن النبي ﷺ قال: إنكم ستحرصون على الإمارة، وستكون ندامة يوم القيامة، فنعم المرصعة، وبئست الفاطمة^(٢).

وهذا الحديث أخرجه النسائي في سننه^(٣)، وأحمد في مسنده^(٤)، وابن حبان في صحيحه^(٥)، والبيهقي في السنن الكبرى^(٦)، والمنذري في الترغيب والترهيب^(٧)، والتبريزي في مشكاة المصابيح^(٨)، وأبو نعيم في حلية الأولياء^(٩)، والبغوي في شرح

(١) جامع البيان في تفسير القرآن ٣/١٤٢.

(٢) صحيح البخاري ٧٩/٩ كتاب الأحكام، باب ما يكره من الحرص على الإمارة، رقم ٧.

(٣) سنن النسائي ٨/٢٢٥ كتاب آداب القضاة، باب رقم ٧، ٧/١٦٢ كتاب البيعة، باب ما يكره من الحرص على الإمارة، رقم ٣٩.

(٤) مسند أحمد بن حنبل ٢/٤٤٨، ٤٧٦.

(٥) عن الإحسان بترتيب صحيح ابن حبان ٧/٨.

(٦) السنن الكبرى ٣/١٢٩، ١٠/٩٥.

(٧) الترغيب والترهيب ٣/٩٨.

(٨) مشكاة المصابيح ٢/١٠٨٩.

السنة وصحَّحه^(٢)، والسيوطي في الجامع الصغير، ورمز له بالصحة^(٣)، وتابعه الألباني في صحيح الجامع الصغير^(٤)، وصحَّحه في سلسلته الصحيحة وصحيح سنن النسائي^(٥).

قال الشوكاني في شرح الحديث: يدخل في لفظ (الإمارة) الإمارة العظمى وهي الخلافة، والصغرى وهي الولاية على بعض البلاد، وهذا إخبار منه ﷺ بالشيء قبل وقوعه، فوقوعه كما أخبر^(٦).

وهذه هي عبارة ابن حجر في فتح الباري بعينها^(٧).

٢ - وأخرج البخاري أيضاً عن عقبة بن عامر، أن رسول الله ﷺ خرج يوماً فصلَّى على أهل أحد صلواته على الميت، ثم انصرف إلى المنبر فقال: إني فرط لكم، وأنا شهيد عليكم، وإني لأنظر إلى حوضي الآن، وإني أعطيت مفاتيح خزائن الأرض، أو مفاتيح الأرض، وإني والله ما أخاف أن تُشركوا بعدي، ولكن أخاف عليكم أن تنافسوا فيها^(٨).

وفي رواية أخرى قال: وإني لستُ أخشى عليكم أن تشركوا، ولكني أخشى عليكم الدنيا أن تنافسوها^(٩).

(١) حلية الأولياء ٧/٩٣.

(٢) شرح السنة ١/٥٧، ١٤/٥٨.

(٣) الجامع الصغير ١/٣٨٨ رقم ٢٥٣٨.

(٤) صحيح الجامع الصغير ١/٣٨٨ رقم ٢٣٠٤.

(٥) صحيح سنن النسائي ٢/٤٥٧، ١٠٩٠، سلسلة الأحاديث الصحيحة رقم ٢٥٣٠ (عن المصدر السابق).

(٦) نيل الأوطار ٨/٢٥٨.

(٧) فتح الباري ١٣/١٠٧.

(٨) صحيح البخاري ٢/١١٤ كتاب الجنائز، باب الصلاة على الشهيد، ٤/٢٤٠ كتاب المناقب، باب علامات النبوة في الإسلام، ٨/١٥١ كتاب الرقاق، باب في الحوض.

(٩) المصدر السابق ٥/١٢٠ كتاب المغازي، باب غزوة أحد.

وأخرج مسلم هذا الحديث باختلاف يسير جداً^(١).

وفي رواية أخرى، قال: ولكنني أخشى عليكم الدنيا أن تنافسوا فيها، وتقتتلوا فتهلكوا كما هلك من كان قبلكم^(٢).

قال ابن كثير: في هذا الحديث مما نحن بصدده أشياء: منها أنه أخبر الحاضرين أنه فرطهم - أي المتقدم عليهم في الموت - وهكذا وقع، فإن هذا كان في مرض موته ﷺ. ثم أخبر أنه شهيد عليهم وإن تقدم وفاته عليهم، وأخبر أنه أعطي مفاتيح خزائن الأرض... وأخبر أن أصحابه لا يشركون بعده، وهكذا وقع والله الحمد والمئة، ولكن خاف عليهم أن يتنافسوا في الدنيا، وقد وقع هذا في زمان علي ومعاوية رضي الله عنهما، ثم من بعدهما، وهلمَّ جرًّا إلى وقتنا هذا^(٣).

أقول: بل وقع التنافس على الدنيا من أول يوم بعد وفاة النبي ﷺ، واستمر إلى يومنا هذا، والأحداث الواقعة بعد زمان رسول الله ﷺ تدل على ذلك بوضوح. ولنأخذ مثالين اثنين فيها غنى وكفاية عن غيرهما.

١. حادثة السقيفة:

أخرج البخاري عن عمر بن الخطاب - في حديث طويل - قال: وإنه قد كان من خبرنا حين توفي الله نبيّه ﷺ إلا أن الأنصار خالفونا، واجتمعوا بأسرهم في سقيفة بني ساعدة، وخالف عنا عليٌّ والزبير ومن معها، واجتمع المهاجرون إلى أبي بكر، فقلت لأبي بكر: انطلق بنا إلى إخواننا هؤلاء من الأنصار. فانطلقنا نريدهم، فلما دنونا منهم لقينا رجلاً صالحاً، فذكر ما تمّ^(٤) عليه القوم، فقال: أين تريدون يا معشر المهاجرين؟ فقلنا: نريد إخواننا هؤلاء من الأنصار. فقال: لا عليكم أن لا تقرّبوهم،

(١) صحيح مسلم ٤/ ١٧٩٥ كتاب الفضائل، باب إثبات حوض نبينا ﷺ وصفاته.

(٢) المصدر السابق ٤/ ١٧٩٦.

(٣) البداية والنهاية ٦/ ١٩٧.

(٤) تمّالا - بالهمز والقصر -: أي اتفق.

اقضوا أمركم. فقلت: والله لنأتينهم. فانطلقنا حتى أتيناهم في سقيفة بني ساعدة، فإذا رجل مزمل بين ظهرانيهم، فقلت: مَنْ هذا؟ فقالوا: هذا سعد بن عبادة. فقلت ما له؟ قالوا: يُوعك. فلما جلسنا قليلاً تشهّد خطيبهم، فأثنى على الله بما هو أهله، ثم قال: (أما بعد، فنحن أنصار الله وكتيبة الإسلام، وأنتم معشر المهاجرين رهط، وقد دفتّ دافّة^(١) من قومكم...)، فإذا هم يريدون أن يختزلونا^(٢) من أصلنا، وأن يحضوننا^(٣) من الأمر...

إلى أن قال: فقال قائل من الأنصار^(٤): أنا جُدَيْلُهَا المحكّك، وعُدَيْقُهَا المرَجَّب^(٥)، منا أمير ومنكم أمير يا معشر قريش. فكثرت اللغظ، وارتفعت الأصوات حتى فرقت^(٦) من الاختلاف...

إلى أن قال: وإنا والله ما وجدنا فيمن حضرنا من أمر أقوى من مبايعة أبي بكر، خشينا إن فارقتنا القوم ولم تكن بيعة أن يبايعوا رجلاً منهم بعدنا، فإما بايعناهم على ما لا نرضى، وإما نخالفهم فيكون فساد...^(٧)



(١) أي سارت فرقة قليلة من المهاجرين إلى المدينة.

(٢) أي يقطعوننا عن الأمر وينفردوا به دوننا.

(٣) أي يخرجونا منه.

(٤) قيل: هو الحباب بن المنذر، عن سعيد بن المسيب وغيره. ذكره في فتح الباري ١٢/١٢٨.

(٥) جدَيْلُهَا المحكّك: هو الأصل من الشجرة تحتك به الإبل الجرباء تشفى به، أي: قد جربتني الأمور، ولي رأي وعلم يُشْتَفَى بهما كما تشفى هذه الإبل الجربى بهذا الجدّل. وصغره على جهة المدح (لسان العرب ١١/١٠٧). وعُدَيْقُهَا المرَجَّب: العُدَيْق تصغير العَدْق - بالفتح - وهي النخلة، وهو تصغير تعظيم، والترجيب: أن تعمد النخلة الكريمة ببناء من حجارة أو خشب إذا خيف عليها لطولها وكثرة حملها أن تقع: أي إن لي عشيرة تعصّدي وتمنعني وترفدني (لسان العرب ١/٤١٢)، النهاية في غريب الحديث ٢/١٩٧).

(٦) أي خفت.

(٧) صحيح البخاري ٨/٢١٠ كتاب المحاربين من أهل الردة والكفر، باب رجم الجبلى من الزنا إذا أُحصنت.

أقول: إن اجتماع الأنصار في سقيفة بني ساعدة دون المهاجرين لاختيار الخليفة بعد رسول الله ﷺ لا يخلو الأمر فيه من وجهين:

إما أن يكون النبي ﷺ قد نصَّ على الخليفة من بعده كما يقول الشيعة في النص على عليٍّ عليه السلام، وبعض أهل السنة في النص على أبي بكر تصريحاً أو تلويحاً، فحينئذ لا يكون ثمة داع لاجتماع الأنصار في السقيفة مع علمهم بالنص إلا الطمع في الإمرة التي لا تحل لهم مع وجود صاحبها المنصوص عليه.

وإما أن النبي ﷺ لم ينص على الخليفة من بعده، بل جعل الأمر شورى بين المسلمين، يختارون للخلافة من شاءوا كما يقول جمهور أهل السنة. وعليه نتساءل: لماذا اجتمعوا لاختيار الخليفة مع أنه لم يحضر أحد من المهاجرين الذين لهم السبق في الإسلام والفضل في الدين؟!!

وبيان آخر نقول: إن اجتماع الأنصار وحدهم في السقيفة لا يصح على الفرضين اللذين لا ثالث لهما: على القول بالنص، فاجتماعهم مخالفة له، وعلى القول بالشورى، فلا بد حينئذ من اجتماع أهل الحل والعقد، وعمدتهم المهاجرون، فمع تخلفهم لا تتحقق شورى ولا تصح بيعة...

ونتساءل أيضاً: كيف حقَّق للأنصار أن يتداولوا الأمر بينهم، وقد تواتر عن النبي ﷺ قوله: (الأئمة من قريش)^(١)، حتى انعقد إجماع المسلمين على أن الذي يتولَّى الخلافة العظمى لا بد أن يكون قرشياً!^(٢)

(١) أخرجه الحاكم في المستدرک ٥١٠/٤ وصحَّحه ووافقه الذهبي. وأخرجه أبو نعیم في الحلیة ٣/١٧١ وقال: هذا حدیث مشهور ثابت من حدیث أنس. وحسنه السيوطي في الجامع الصغير ١/٤٨٠، وابن حجر في تلخیص الحبر ٤/٤٢. ونص على تواتره السيوطي في قطف الأزهار المتناثرة، ص ٢٤٨، والكتاني في نظم المتناثر، ص ١٧٠، وقال: وعدّه ابن حجر في فتح الباري من المتواتر أيضاً، وأقرّه السخاوي في فتح المغیث.

(٢) قال القاضي عياض: اشترط كون الإمام قرشياً مذهب العلماء كافة، وقد عدّوها في مسائل الإجماع، ولم يُنقل عن أحد من السلف فيها خلاف، وكذلك من بعدهم في جميع الأمصار، ولا اعتداد بقول الخوارج

وكيف ساغ لسعد بن عباد وللحباب بن المنذر أن يأخذوا لأنفسهما البيعة مع
أنهما غير قرشيين، وليسوا أفضل صحابة رسول الله ﷺ وأكثرهم جهاداً في الإسلام
وسابقة؟!!

ولا بأس أن نلقي الضوء على بعض ما ورد في الحديث فنقول:

إن قول عمر: (خشينا إن فارقنا القوم ولم تكن بيعة أن يبايعوا رجلاً منهم، فإما
بايعناهم على ما لا نرضى، وإما نخالفهم فيكون فساد...) يدل على أن المسلمين ربما
بايعوا من شاءوا لو لم يحضر أبو بكر في السقيفة. وهذا احتمال قوي يحتمله عمر كما
يدل عليه ظاهر عبارته، فلهذا رأى مبايعة أبي بكر في ذلك الظرف متعينة دفعاً للفساد
المحتمل، بغض النظر عن كونه أفضل صحابة رسول الله ﷺ أم لا. ويدل على ذلك
أن أبا بكر حث أهل السقيفة على مبايعة عمر أو أبي عبيدة^(١) مع الاتفاق على أنها لم
يكونا أفضل المسلمين بل الحاضرين، ولكن رأى أبو بكر أن بيعة أحد هذين الرجلين
أولى من بيعة رجل من الأنصار.

وقوله: (واجتمع المهاجرون إلى أبي بكر) وإن كان ظاهره اجتماع المهاجرين
كلهم أو أكثرهم، إلا أن المراد بذلك هو بعضهم، وذلك لما نص عليه غير واحد من أن
الذين توجهوا إلى السقيفة من المهاجرين هم أبو بكر وعمر وأبو عبيدة فقط.

فقد أخرج البخاري عن عائشة في حديث طويل، قالت: واجتمعت الأنصار
إلى سعد بن عباد في سقيفة بني ساعدة، فقالوا: منّا أمير ومنكم أمير. فذهب إليهم أبو
بكر وعمر وأبو عبيدة بن الجراح، فذهب عمر يتكلم فأسكته أبو بكر...^(٢).

ونص على ذلك ابن الأثير في الكامل^(٣)، والطبري وابن خلدون في تاريخيهما^(١)،

ومن وافقهم من المعتزلة، لما فيه من مخالفة المسلمين. راجع فتح الباري ١٣/١٠٢.

(١) راجع صحيح البخاري ٨/٥ كتاب فضائل أصحاب النبي ﷺ، باب فضائل أبي بكر، الكامل في

التاريخ ٢/٣٢٥، تاريخ الطبري ٢/٤٥٨، تاريخ ابن خلدون، ص ٦٤ من تنمة الجزء الثاني.

(٢) صحيح البخاري ٨/٥.

(٣) الكامل في التاريخ ٢/٣٢٥، ٣٢٩.

وهو ظاهر عبارة ابن حجر العسقلاني حيث قال ردّاً على الداودي الذي أطلق أنه لم يكن في السقيفة حين بيعة أبي بكر من المهاجرين إلا عمر وأبو عبيدة: وكأنه استصحب الحال المنقولة في توجّههم، ولكن ظهر من قول عمر: (وبايعة المهاجرين) بعد قوله: (بايعته) أنه حضر معهم جمع من المهاجرين، فكأنهم تلاحقوا بهم لما بلغهم أنهم توجّهوا إلى الأنصار^(٢).

وما ظنّه ابن حجر - على فرض صحته - لا يُثبت حضور الكثير منهم فضلاً عن الأكثر، وعبارة عمر تصدق على الجمع القليل كما هو ظاهر.

والذي نقطع به هو أن الذين حضروا السقيفة كانوا قلة من الصحابة، لأن الصحابة كانوا يُعدّون بالمدينة ثلاثين ألفاً أو أكثر^(٣)، فمن البعيد جداً أن تكون سقيفة بني ساعدة تسع هذه الألوف الكثيرة، إذ لم يذكر المؤرخون - فيما نعلم - أنها كانت متناهية في السعة...

كما أنه من المستبعد جداً أن يحضر هذا العدد الضخم من الناس في السقيفة من غير سابق إشعار في هذا الوقت القصير - وهو وقت اجتماع الأنصار في السقيفة - مع اضطراب حالهم وتشتت بالهم بفقد النبي ﷺ.

فعلى هذا يتضح أن بيعة أبي بكر لم تكن بالشورى بالمعنى المعروف كما مر^(٤). ولهذا قال عمر: (إن بيعة أبي بكر كانت فلتةً، ولكن الله وقى شرّها)^(٥)، لأنها لم تكن

(١) تاريخ الطبري ٤٥٦/٢، تاريخ ابن خلدون ٦٤/٢.

(٢) فتح الباري ١٢/١٢٩.

(٣) قال السيوطي في تدريب الراوي ٢/٢٢١: قال العراقي: وروى الساجي في المناقب بسند جيد عن

الرافعي، قال: قبض الرسول ﷺ والمسلمون ستون ألفاً، ثلاثون ألفاً بالمدينة، وثلاثون ألفاً في القبائل العرب.

(٤) في الفصل الرابع في حديثنا حول المناقير.

(٥) صحيح البخاري ٨/٢١٠.

بمشورة جميع من كان ينبغي أن يشاور^(١)، بل تمت في جماعة قليلة من المسلمين، ثم بايعه الناس في اليوم التالي في مسجد رسول الله ﷺ بيعة عامة^(٢). وقال أيضاً: (فمن بايع رجلاً على غير مشورة من المسلمين فلا يتابع هو ولا الذي بايعه تغرة أن يقتلا)^(٣) خشية أن يتكرر ما حدث في السقيفة، فتقع الفتنة والاختلاف بين المسلمين.

وزبدة المخض: أن ما حدث في يوم السقيفة تجلّى فيه حب الإمرة من الكثير من الصحابة، فوقع ما أخبر به الصادق الأمين ﷺ في الأحاديث المتقدمة.

٢. علي عليه السلام وخصومه:

خصوم علي عليه السلام الذين حاربوه ثلاث فئات:

١ - أصحاب الجمل، وهم عائشة وطلحة والزبير وأتباعهم.

٢ - الخوارج.

٣ - معاوية وعمرو بن العاص وأتباعهما.

والذي يهمنا بيانه هو أمر أصحاب الجمل ومعاوية.

أما أصحاب الجمل فمنهم عائشة التي خرجت من بيتها إلى البصرة مع أن الله تعالى يقول ﴿يا نساء النبي لستن كأحد من النساء إن اتقين فلا تخضعن بالقول فيطمع الذي في قلبه مرض وقلن قولاً معروفاً﴾ وقرن في بيوتكن ولا تبرجن تبرج الجاهلية الأولى وأقمن الصلاة وآتين الزكاة وأطعن الله ورسوله^(٤).

هذا مع نهي النبي ﷺ لها عن الخروج وتحذيرها منه، فيما أخرجه الحاكم وغيره عن قيس بن أبي حازم، قال: لما بلغت عائشة (رض) بعض ديار بني عامر

(١) قال ابن حبان: إنها كانت فلتة لأن ابتداءها كان من غير ملاء كثير (عن إرشاد الساري ١٠/٢٢، فتح الباري ١٢/١٢٥). وقال القسطلاني في إرشاد الساري ١٠/٢٢: أي فجأة من غير مشورة مع جميع من كان ينبغي أن يشاور. وكذلك قال الداوديني. راجع فتح الباري ١٢/١٢٥.

(٢) صحيح البخاري ٩/١٠٠ كتاب الأحكام، باب الاستخلاف.

(٣) المصدر السابق ٨/٢١٠.

(٤) سورة الأحزاب، الآيات ٣٢-٣٣.

نبحت عليها الكلاب، فقالت: أي ماء هذا؟ قالوا: الحوآب. قالت: ما أظنني إلا راجعة. فقال الزبير: لا بعد تقدّمي ويراك الناس، ويصلح الله ذات بينهم. قالت: ما أظنني إلا راجعة، سمعت رسول الله ﷺ يقول: كيف بإحداكن إذا نبحتها كلاب الحوآب^(١).

وفي رواية: أتيكن صاحبة الجمل الأدب، تخرج فينبحها كلاب الحوآب، يُقتل عن يمينها ويسارها قتلى كثير، ثم تنجو بعدما كادت^(٢).

وكان خروجها للطلب بدم عثمان^(٣) مع أنها كانت تؤلّب عليه، وكانت من أشد الناس عليه.

قال ابن أبي الحديد: قال كل من صنّف في السّير والأخبار: إن عائشة كانت من أشد الناس على عثمان، حتى أنها أخرجت ثوباً من ثياب رسول الله ﷺ فنصبته في منزلها، وكانت تقول للداخلين إليها: هذا ثوب رسول الله ﷺ لم يبلّ وعثمان قد أبلّ سنّته. قالوا: أول من سمّى عثمان نعثلاً عائشة، وكانت تقول: اقتلوا نعثلاً، قتل الله نعثلاً^(٤).

(١) المستدرک ٣/ ١٢٠، مسند أحمد ٦/ ٥٢، ٩٧، صحيح ابن حبان (عن الإحسان بترتيب صحيح ابن حبان ٨/ ٢٥٨)، مجمع الزوائد ٧/ ٢٣٤، وصحّحه الألباني في سلسلة الأحاديث الصحيحة ١/ ٧٦٧، ونقل تصحيحه عن الحاكم والذهبي وابن حبان وابن كثير وابن حجر العسقلاني، وقال: وعلى هذا فالحديث من أصح الأحاديث، ولذلك تتابع الأئمة على تصحيحه قديماً وحديثاً.
ونقله أصحاب التواريخ كالطبري في تاريخه ٣/ ٤٧٥، وابن الأثير في الكامل ٣/ ٢١٠، وابن خلدون في تاريخه ٢/ ١٥٥، وابن كثير في البداية والنهاية ٧/ ٢٤٢ وغيرهم.

(٢) مجمع الزوائد ٧/ ٢٣٤ وقال: رواه البزار، ورجاله ثقات. وكذا قال ابن حجر في فتح الباري ١٣/ ٤٥.

(٣) قال الذهبي في تاريخ الإسلام ٣/ ٤٨٣: إن طلحة بن عبيد الله والزبير بن العوام وأم المؤمنين عائشة ومن تبعهم رأوا أنهم لا يخلّصهم مما وقعوا فيه من توائهم في نصرة عثمان إلا أن يقوموا في الطلب بدمه، والأخذ بثأره ممن قتله، فساروا من المدينة بغير مشورة من أمير المؤمنين علي، وطلبوا البصرة. راجع طبقات ابن سعد ٣/ ٣١، البداية والنهاية ٧/ ٢٤١-٢٤٢.

(٤) شرح نهج البلاغة ٢/ ٧٧.

ولهذا قال لها ابن أم كلاب:

منكِ البداء ومنكِ الغيرُ ومنكِ الرياح ومنكِ المطرُ
وأنتِ أمرتِ بقتل الإمام وقلت لنا: إنه قد كفر
فهبنا أطعناك في قتله وقاتله عندنا من أمر^(١)

ومنهم الزبير الذي بايع علياً عليه السلام ثم نكث بيعته، وهو الذي قال له رسول الله صلى الله عليه وآله: لتقاتلن علياً وأنت له ظالم^(٢).

ومنهم طلحة الذي كان أول من بايع علياً عليه السلام بالخلافة^(٣)، ثم نكث البيعة، وكان أشد الصحابة على عثمان^(٤)، ولذا رماه مروان يوم الجمل بسهم وقال: هذا ممن أعان على عثمان^(٥). والتفت إلى أبان بن عثمان وقال: قد كفينك بعض قتلة أبيك^(٦). وقال: والله لا أطلب قاتل عثمان بعدك أبداً^(٧).

وواقع الأحداث يدل على أن عائشة وطلحة والزبير لم يكن طلبهم بدم عثمان صادقاً، وذلك لأنهم توانوا في نصرته حياً، وكانت عائشة وطلحة من أشد الناس عليه كما مرّ، وإنما صار الطلب بدمه ذريعة للخروج على علي عليه السلام، الذي كانت عائشة تجد

(١) تاريخ الطبري ٣/ ٤٧٧، الكامل في التاريخ ٣/ ٢٠٦.

(٢) عن أبي حرب بن أبي الأسود: شهدت الزبير خرج يريد علياً، فقال له علي: أنشدك الله، هل سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول: تقاتله وأنت له ظالم؟ فقال: لم أذكر. ثم مضى الزبير منصرفاً. أخرجه الحاكم في المستدرک ٣/ ٣٦٦ بعدة طرق، صححها ووافقه الذهبي. راجع تاريخ الإسلام ٣/ ٤٨٨ - ٤٨٩، البداية والنهاية ٧/ ٢٥٢، الكامل ٣/ ٢٤٠، تاريخ الطبري ٣/ ٥١٤، ٥١٩، مروج الذهب ٢/ ٣٦٣، المطالب العالیه ٤/ ٣٠١، ٣٠٣، الإصابة ١/ ٥٤٦، شرح نهج البلاغة ١/ ٧٨، ١٧٠.

(٣) البداية والنهاية ٧/ ٢٣٧، ٢٣٨. تاريخ ابن خلدون، ص ١٥٠ من تنمة ج ٢.

(٤) عن عوف قال: كان أشد الصحابة على عثمان طلحة بن عبيد الله (تاريخ المدينة المنورة ٤/ ١١٦٩)، ولهذا قال طلحة يوم الجمل: اللهم خذ لعثمان مني حتى ترضى، إنا داهنًا في أمر عثمان... كان مني في أمر عثمان ما لا أرى كفارته إلا بسفك دمي، وبطلب دمه (تاريخ الإسلام ٣/ ٤٨٦، الطبقات الكبرى ٣/ ٢٢٢).

(٥) تاريخ الإسلام ٣/ ٤٨٦.

(٦) تاريخ الإسلام ٣/ ٤٨٧، تاريخ خليفة، ص ١٨٥، أنساب الأشراف، ص ٢٤٦.

(٧) الطبقات الكبرى ٣/ ٢٢٣.

عليه، وكان طلحة والزبير قد سألاه أن يولي أحدهما الكوفة والآخر البصرة فأبى^(١). وقد ثبت أنهما كانا يحببان الإمرة ويطمعان فيها^(٢)، ولهذا اتفقا على أنهما إن ظفرا جعلوا الأمر لأحدهما، أيهما يختاره الناس^(٣).

وأما معاوية بن أبي سفيان فأمره أوضح من أن نبيته، وأجلى من أن نتكلم فيه، فإنه رأى في قتل عثمان فرصة مواتية لنيل الملك والإمرة^(٤)، فاتهم علياً عليه السلام بأنه شَرَك

(١) البداية والنهاية ٢٣٩/٧، الكامل ١٩٦/٣، شرح نهج البلاغة ٧٧/١، تاريخ الطبري ٤٥١/٣.
 (٢) عن جونة بن قتادة قال: كنت مع الزبير يوم الجمل، فكانوا يسلّمون عليه بالإمرة. (تاريخ الإسلام ٥٠٥/٣). وقال المسعودي في مروج الذهب ٣٥٨/٢: وتشاحّ طلحة والزبير في الصلاة بالناس، ثم اتفقوا على أن يصلي بالناس عبد الله بن الزبير يوماً ومحمد بن طلحة يوماً، في خطب طويل كان بين طلحة والزبير إلى أن اتفقا على ما وصفنا.

(٣) جاء سعيد بن العاص إلى طلحة والزبير فقال: لمن تعلان الأمر إن ظفرتما؟ قالوا: لأحدنا الذي يختاره الناس. فقال: بل اجعلوه لولد عثمان، لأنكم خرجتم تطلبون بدمه. فقالوا: وكيف ندع شيوخ المهاجرين ونجعلها لأبنائهم؟! (تاريخ ابن خلدون ١٥٥/٢، تاريخ الطبري ٤٧٢/٣، الكامل ٢٠٩/٣).

(٤) عن سعيد بن سويد قال: صلى بنا معاوية بالبخيلة - يعني خارج الكوفة - الجمعة في الضحى، ثم خطبنا فقال: ما قاتلتكم تصوموا ولا لتصلوا ولا لتحجّوا ولا لتزكّوا قد عرفت أنكم تفعلون ذلك، ولكن إنما قاتلتكم لأنّ امرّ عليكم وقد أعطاني الله ذلك وأنتم كارهون. (البداية والنهاية ١٣٤/٨). وكتب معاوية لعلي عليه السلام كتاباً يطلب فيه ولاية الشام ومصر، وأن لا يكون لأحد بعده عليه بيعة، فإن أعطاه ذلك بايعه، وإلا فلا. فأبى علي عليه السلام ذلك، فقال عقبه بن أبي معيط يؤنب معاوية:

معاويَ إن الشامَ شامك فاعتصم	بشامك لا تُدخِلْ عليك الأفاعيا
فإن علياً ناظرٌ ما تحييه	فأهد له حرباً يشيبُ النواصيا
وحام عليها بالقتال وبالقنا	ولا تكُ محشوش الذراعين وانبا
وإلا فسلم إن في الأمن راحة	لمن لا يريدُ الحربَ فاختر معاويا
وإن كتاباً يا ابن حربٍ كتبتّه	على طمع جانٍ عليك الدواھيا
سألت علياً فيه ما لا تنأله	ولو نلته لم يبق إلا لياليا
إلى أن ترى منه الذي ليس بعدها	بقاءً فلا تُكثّر عليك الأمانيا
ومثل علي تغترره بخدعة	وقد كان ما خرّبت من قبل بانبا
ولو نشبت أظفاره فيك مرّة	فراك ابن هندٍ بعدما كنت فاريا

في قتل عثمان أو آوى إليه قتلته، مع أنه يعلم أن علياً عليه السلام هو أبرأ الناس من دم عثمان^(١)، لأنه كان أنصح الناس إليه، وأدفعهم عنه.

وطالب معاوية بدم عثمان فيمن طالب، وخاض حرباً ضروساً ذهب ضحية فيها سبعون ألفاً من المسلمين^(٢)، مع أن عثمان لم يكن بالذي يستحق عند معاوية أن يستमित من أجله، فيخوض هذه الحرب التي أوشك هو فيها على العطب، وأوشك فيها جيشه على الهلاك، لأنه مع ما عنده من جيش لم ينصر عثمان في أيام محنته بما يدفع عنه أيدي المعتدين عليه، الذين يرومون قتله أو خلعه^(٣).

(البداية والنهاية ٨ / ١٣١).

(١) عن ابن سيرين قال: لقد قُتل عثمان وما أعلم أحداً يتهم علياً في قتله (ترجمة عثمان بن عفان من تاريخ ابن عساکر، ص ٣٩٥).

(٢) قُتل من الفريقين سبعون ألفاً، خمسة وأربعون ألفاً من أهل الشام، وخمسة وعشرون ألفاً من أهل العراق (البداية والنهاية ٧ / ٢٨٥).

(٣) بعث عثمان بن عفان المسور بن مخرمة إلى معاوية يعلمه أنه محصور، ويأمره أن يبعث إليه جيشاً سريعاً يمنعونه، فلما قدم على معاوية وأبلغه ذلك ركب معاوية نجائبه ومعه معاوية بن حُديج ومسلم بن عقبة... فدخل المدينة نصف الليل... فقال عثمان: فأين الجيش؟ فقال معاوية: لا والله ما جئتك إلا في ثلاثة رهط. فقال عثمان: لا وصل الله رحمك، ولا أعز نصرك، ولا جزاك عني خيراً، فوالله ما أقتل إلا فيك، ولا يُنقم عليّ إلا من أجلك. فقال معاوية: بأبي أنت وأمي إني لو بعثت إليك جيشاً فسمعوا به عاجلوك فقتلوك قبل أن يبلغ الجيش إليك... فاخرج معي، فوالله ما هي إلا ثلاث حتى نرى معالم الشام... فقال عثمان: بئساً أشرت به. وأبى أن يجيبه، فخرج معاوية إلى الشام راجعاً، فقدم المسور على عثمان وهو ذام لمعاوية غير عاذر له.

فلما كان في حصره الآخر بعث المسور أيضاً إلى معاوية، فأغذ السير حتى قدم عليه، فقال: إن عثمان بعثني إليك لتبعث إليه بالرجال والخيول، وتنصره بالحق، وتمنعه من الظلم. فقال: إن عثمان أحسن فأحسن الله به، ثم غيرَ فغيرَ الله به. فشددت عليه فقال: يا مسور تركتم عثمان حتى إذا كانت نفسه في حنجرته قلتم: اذهب فادفع عنه الموت، وليس ذلك بيدي. ثم أنزلني في مشربة (أي غرفة) على رأسه، فما دخل عليّ داخل حتى قتل عثمان.

وقال: قال لي معاوية: يا مسور، أنت ممن قتل عثمان؟ فقال المسور: أنا والله يا معاوية نصحتته واعتزلته، وأنت والله غششته وخذلتته، فإن شئت أحرثُ القوم خبرك وخبري حين قدمت عليك الشام. فقال معاوية: لا يا أبا عبد الرحمن. (ترجمة عثمان بن عفان من تاريخ ابن عساکر، ص ٣٧٩-٣٨٠ باختصار يسير).

هذا مع أن معاوية لم يكن ولي الدم، وإنما أولياء دم عثمان هم أبناؤه دون غيرهم، ولو كان ولي دمه لكان حقه أن يحاكم قتلة عثمان إلى إمام المسلمين الذي يحكم فيهم بحكمه، ويُنفذ فيهم أمره، لا أن يشق عصا الطاعة، ويفرّق الجامعة، ويثير حرباً تأكل البريء والمسيء، وتأتي على من شرك في قتل عثمان أو مالأ عليه وغيرهم.

هذا مع أنبيعة أمير المؤمنين عليه السلام لظمت معاوية وهو بالشام، إذ بايع علياً عليه السلام من بايع أبا بكر وعمر وعثمان على ما بايعوهم عليه، فليس للغائب أن يختار بغيته، أو يردّ بيعته.

مضافاً إلى أن معاوية كان يعلم أن فتنه فتنة باغية، فقد قتلوا عماراً الذي أخبر النبي صلى الله عليه وآله بأنه تقتله الفئة الباغية^(١)، إلا أنه أول الحديث تأويلاً لا يخفى فساده^(٢)، وأصرّ على القتال، حتى نال مراده وحقّق بغيته.

(١) أخرجه البخاري في صحيحه ١١٥/١، ومسلم في صحيحه ٤/٢٢٣٥-٢٢٣٦، والترمذي في سننه ٦٦٩/٥، والحاكم في المستدرک ١٤٩/٢، ١٥٥، ٣٨٦/٣، ٣٩١، ٣٩٧ وغيرهم. ونصّ على تواتره السيوطي في كطف الأزهار المتناثرة، ص ١٠٤، والخصائص الكبرى ١٤٠/٢، والكتاني في نظم المتناثر، ص ٢٠٨، والزبيدي في لقط اللآلئ المتناثرة، ص ٢٢٢، وقال ابن حجر في تلخيص الحبير ٤/٤٣: قال ابن عبد البر: تواترت الأخبار بذلك، وهو من أصح الحديث. وقال ابن دحية: لا مطعن في صحته، ولو كان غير صحيح لردّه معاوية وأنكره. وقال ابن عبد البر في الاستيعاب ٢/٤٨١: وتواترت الآثار عن النبي صلى الله عليه وآله أنه قال: تقتل عماراً الفئة الباغية. وهذا من إخباره بالغيب وأعلام نبوته صلى الله عليه وآله، وهو من أصح الأحاديث.

(٢) أخرج الحاكم النيسابوري في المستدرک ٢/١٥٥ بسنده عن أبي بكر بن محمد بن عمرو بن حزم عن أبيه، قال: لما قُتل عمار بن ياسر رضي الله عنه دخل عمرو بن حزم على عمرو بن العاص، فقال: قُتل عمار وقد قال رسول الله صلى الله عليه وآله: (تقتله الفئة الباغية) فقام عمرو بن العاص فرعاً حتى دخل على معاوية، فقال له معاوية: ما شأنك؟! قال: قُتل عمار. فقال معاوية: فماذا؟! فقال عمرو: سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول: تقتله الفئة الباغية. فقال له معاوية: دحضت في بولك، أو نحن قتلناه؟! إنما قتله علي وأصحابه، جاءوا به حتى ألقوه بين رماحنا، أو قال: بين سيوفنا. قال الحاكم: هذا حديث صحيح على شرط الشيخين، ولم يخرجاه بهذه السياقة. ووافقه الذهبي. وأخرجه كذلك في ٣/٣٨٦. وأخرجه الهيثمي في مجمع الزوائد ٧/٢٤١، ٩/٢٩٦، ٢٩٧ ووثق رجاله.

وانصرافه عن تعقب قتلة عثمان بعد أن تم له الأمر^(١) يدل على ما في دخيلة نفسه، التي واجهه بها غير واحد.

قال له شيب بن رباعي: والله لا يخفى علينا ما تغزو وما تطلب، إنك لم تجد شيئاً تستغوي به الناس، وتستميل به أهواءهم، وتستخلص به طاعتهم، إلا قولك: (قتل إمامكم مظلوماً، فنحن نطلب بدمه)، فاستجاب لك سفهاء طغام، وقد علمنا أن قد أبطأت عنه بالنصر، وأحببت له القتل، لهذه المنزلة التي أصبحت تطلب... فاتق الله يا معاوية، ودع ما أنت عليه، ولا تنازع الأمر أهله^(٢).

وورد شيء من ذلك في بعض كتب علي عليه السلام إلى معاوية:

فمن كتاب له عليه السلام إليه، قال: فأما إكثارك الحجاج في عثمان وقتلته، فإنك إنما نصرت عثمان حيث كان النصر لك، وخذلته حيث كان النصر له^(٣).

وفي كتاب آخر: ثم ذكرت ما كان من أمري وأمر عثمان، فلك أن تُجَاب عن هذه لرحمك منه، فأئنا كان أعدى له، وأهدى إلى مقاتله؟!^(٤) أمّن بذل له نصرته فاستقعده واستكفّه^(٥)، أمّن استنصره فتراخى عنه، وبثّ المنون إليه، حتى أتى قدره

(١) قال ابن كثير في البداية والنهاية ٨ / ١٣٥: إن معاوية قدم المدينة أول حجة حجّها بعد اجتماع الناس عليه... فتوجّه إلى دار عثمان بن عفان، فلما دنا إلى باب الدار صاحت عائشة بنت عثمان وندبت أباهما، فقال معاوية لمن معه: انصرفوا إلى منازلكم، فإن لي حاجة في هذه الدار. فانصرفوا ودخل فسكن عائشة بنت عثمان، وأمرها بالكف، وقال لها: يا بنت أخي، إن الناس أعطونا سلطاننا، فأظهرنا لهم حلاً تحتته غضب، وأظهروا لنا طاعة تحتها حقد، فبعناهم هذا بهذا، فإن أعطيناهم غير ما اشتروا منا شحوا علينا بحقنا، وغمطناهم بحقهم، ومع كل إنسان منهم شيعته، وهو يرى مكان شيعته، فإن نكثناهم نكثوا بنا، ثم لا ندرى أتكون لنا الدائرة أم علينا. وأن تكوني ابنة عثمان أمير المؤمنين أحب إليّ أن تكوني أمة من إماء المسلمين، ونعم الخلف أنا لك بعد أبيك.

(٢) تاريخ الطبري ٣ / ٥٧٠.

(٣) قال الشيخ محمد عبده في شرح نهج البلاغة، ص ٣٢١: حيث كان الانتصار له فائدة لك، تتخذ ذريعة لجمع الناس إلى غرضك، أما وهو حي وكان النصر يفيد فقد خذلته وأبطأت عنه.

(٤) أعدى له: أي أشد عدواناً عليه. ومقاتله: أي وجوه قتله.

(٥) قال الشيخ محمد عبده في شرح ذلك، ص ٣٠٥: من بذل النصرة [لعثمان] هو الإمام، واستقعده عثمان:

عليه؟! (١)

وفي كتاب آخر، قال: أما بعد، فإن بيعتي بالمدينة لزمك وأنت بالشام، لأنه بايعني القوم الذين بايعوا أبا بكر وعمر وعثمان على ما بايعوا عليه، فلم يكن للشاهد أن يختار، ولا للغائب أن يرد، وإنما الشورى للمهاجرين والأنصار...

إلى أن قال: وقد أكثرت في قتل عثمان، فادخل فيما دخل فيه الناس، ثم حاكم القوم إلي، أحملك وإياهم على كتاب الله، فأما تلك التي تريدها فخدعة الصبي عن اللبن، ولعمري لئن نظرت بعقلك دون هواك لتجدني أبرأ قريش من دم عثمان، واعلم أنك من الطلقاء الذين لا تحل لهم الخلافة، ولا تعرض فيهم الشورى (٢).

وفي كتاب آخر قال: وبعد، فما أنت وعثمان؟! إنما أنت رجل من بني أمية، وبنو عثمان أولى بمطالبة دمه، فإن زعمت أنك أقوى على ذلك فادخل فيما دخل فيه المسلمون، ثم حاكم القوم إلي (٣).

والحاصل أن الطلب بدم عثمان صار ذريعة لكل طامع بالملك راغب في الخلافة.

ومن نظر إلى كل ما ابتلي به المسلمون من فتن وفرقة واختلاف يجد أن الطمع في الملك وراءه، والرغبة في السلطان أمامه.

أي طلب قعوده، ولم يقبل نصره.

(١) قال الشيخ محمد عبده: استنصر بعشيرته من بني أمية كعماوية فخذلوه، وخلوا بينه وبين الموت، فكأنها بثوا المنون، أي أفضوا بها إليه.

(٢) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ١/٢٤٨.

(٣) المصدر السابق ١/٢٥٢.

السبب الخامس الأحاديث الموضوعية

بعدهما بُليت الأُمَّة بأكبر المصائب وأعظم الرزايا، وهي فقد النبي صلى الله عليه وآله، اختلف المسلمون في سقيفة بني ساعدة، واختلفوا بعد ذلك في زمن عثمان وعلي عليه السلام، فشُهرت بينهم السيوف، واستحلَّ بعضهم دم بعض، وانشعبت الأُمَّة إلى طوائف وفرق، وكثرت الفتن، واستشرت المحن، فعمد أهل الباطل إلى اختلاق الأحاديث الكثيرة، لإنعاش باطلهم، ودحض حُجَج غيرهم، وتشديد عروش الظالمين، فمألأوا الطوامير، وسوّدوا الصحف من الأحاديث المكذوبة والآثار الموضوعية، فالتبس الحق بالباطل والصدق بالكذب، فلا يُعرف مُحقٌّ، ولا يميِّز مبطل.

وهذا ازدادت الفرقة، واتّسعت الشقة، فعَمَّت البلية، وعظمت الرزية.

والظاهر من الأخبار والآثار أن بداية اختلاق الأحاديث حصلت في زمن النبي

كما سيأتي قريباً، إلا أن استفحال ذلك كان في زمن بني أمية. صلى الله عليه وآله

فقد أخرج مسلم في الصحيح عن مجاهد، قال: جاء بُشير العدوي إلى ابن

عباس، فجعل يحدث ويقول: قال رسول الله، قال رسول الله، فجعل ابن عباس لا

يأذن لحديثه^(١)، ولا ينظر إليه. فقال: يا ابن عباس، ما لي لا أراك تسمع لحديثي؟ أحدثك عن رسول الله ﷺ ولا تسمع؟! فقال ابن عباس: إننا كنا مرة إذا سمعنا رجلاً يقول: (قال رسول الله ﷺ) ابتدرته أبصارنا، وأصغينا إليه بأذاننا، فلما ركب الناس الصعب والذلول، لم نأخذ من الناس إلا ما نعرف^(٢).

وفي حديث آخر، قال: إننا كنا نحدث عن رسول الله ﷺ إذ لم يكن يكذب عليه، فلما ركب الناس الصعب والذلول، تركنا الحديث عنه^(٣).

فإذا كان الكذب على النبي ﷺ قد كثر وفشا في حياة ابن عباس رضي الله عنه، الذي توفي سنة ٦٨ هـ، فما هو الحال فيما بعد ذلك لما ازدادت الفتن، وكثرت المذاهب والآراء!؟

قال ابن أبي الحديد المعتزلي: روى أبو الحسن علي بن محمد بن أبي سيف المدائني في كتاب الأحداث، قال: كتب معاوية نسخة واحدة إلى عماله بعد عام الجماعة: (أن برئت الذمة ممن روى شيئاً من فضل أبي تراب وأهل بيته). فقامت الخطباء في كل كورة وعلى كل منبر يلعنون علياً، ويرأون منه، ويقعون فيه وفي أهل بيته، وكان أشد الناس بلائاً حينئذ أهل الكوفة لكثرة ما بها من شيعة علي عليه السلام، فاستعمل عليهم زياد بن سميّة، وضم إليه البصرة، فكان يتتبع الشيعة وهو بهم عارف، لأنه كان منهم أيام علي عليه السلام، فقتلهم تحت كل حجر ومدبر وأخافهم، وقطع الأيدي والأرجل، وسمل العيون وصلبهم على جذوع النخل، وطردهم وشردهم عن العراق، فلم يبق بها معروف منهم. وكتب معاوية إلى عماله في جميع الآفاق: ألا يجيزوا لأحد من شيعة علي وأهل بيته شهادة. وكتب إليهم: (أن انظروا من قبلكم من شيعة عثمان ومحبيه وأهل ولايته والذين يروون فضائله ومناقبه، فأدنوا مجالسهم وقربوهم، واكتبوا لي بكل ما يروي كل رجل منهم، واسمه واسم أبيه وعشيرته).

(١) أي لا يستمع له.

(٢) صحيح مسلم ١/١٣، باب النهي عن الرواية عن الضعفاء... رقم ٤.

(٣) نفس المصدر ١/١٢.

ففعّلوا ذلك حتى أكثروا في فضائل عثمان ومناقبه، لما كان يبعثه إليهم معاوية من الصّلات والكساء والحِباء والقطائع، ويفيضة في العرب منهم والموالي، فكثرت ذلك في كل مصر، وتنافسوا في المنازل والدنيا، فليس يجيء أحد مردود من الناس عاملاً من عمّال معاوية، فيروي في عثمان فضيلة أو منقبة إلا كتب اسمه وقربه وشفّعه. فلبثوا بذلك حيناً، ثم كتب إلى عمّاله: (إن الحديث في عثمان قد كثر وفشا في كل مصر وفي كل وجه وناحية، فإذا جاءكم كتابي هذا فادعوا الناس إلى الرواية في فضائل الصحابة والخلفاء الأوّلين، ولا تتركوا خبراً يرويه أحد من المسلمين في أبي تراب، إلا وتأتوني بمناقض له في الصحابة، فإن هذا أحب إليّ وأقرّ لعيني، وأدحض لحجة أبي تراب وشيعته، وأشدّ إليهم من مناقب عثمان وفضله). فقرأت كتبه على الناس، فرُويت أخبار كثيرة في مناقب الصحابة مفتعلة لا حقيقة لها، وجدّ الناس في رواية ما يجري هذا المجرى حتى أشادوا بذكر ذلك على المنابر، وأُلقي إلى معلّمي الكتاتيب، فعلموا صبيانهم وغلّمانهم من ذلك الكثير الواسع، حتى روه وتعلموه كما يتعلمون القرآن، وحتى علّموه بناتهم ونساءهم وخدمهم وحشمهم، فلبثوا بذلك ما شاء الله...

إلى أن قال: فظهر حديث كثير موضوع وبهتان منتشر، ومضى على ذلك الفقهاء والقضاة والولاة، وكان أعظم الناس في ذلك بليّة القراء المراءون والمستضعفون الذين يُظهرون الخشوع والنُّسك، فيفتعلون الأحاديث ليحفظوا بذلك عند ولايتهم، ويقربوا مجالسهم، ويصيبوا الأموال والضياع والمنازل، حتى انتقلت تلك الأخبار والأحاديث إلى أيدي الديّانين الذين لا يستحلّون الكذب والبهتان، فقبلوها ورووها وهم يظنون أنها حق، ولو علموا أنها باطلة لما روهها ولا تدبّروها...

إلى أن قال: وقد روى ابن عرفة المعروف بنفطويه - وهو من أكابر محدّثين وأعلامهم - في تاريخه ما يناسب هذا الخبر، قال: إن أكثر الأحاديث الموضوعة في فضائل الصحابة افتُعلت في أيام بني أمية، تقرّباً إليهم بما يظنون أنهم يُرغمون به أنوف

بني هاشم^(١).

وحكى ابن أبي الحديد عن شيخه أبي جعفر الإسكافي أنه قال: إن معاوية وضع قوماً من الصحابة وقوماً من التابعين على رواية أخبار قبيحة في علي صلى الله عليه وآله تقتضي الطعن فيه والبراءة منه، وجعل لهم على ذلك جعلاً يُرغب في مثله، فاختلفوا ما أرضاه، منهم أبو هريرة وعمرو بن العاص والمغيرة بن شعبة، ومن التابعين عروة بن الزبير. روى الزهري أن عروة بن الزبير حدثه، قال: حدثتني عائشة قالت: كنت عند رسول الله، إذ أقبل العباس وعلي، فقال: يا عائشة، إن هذين يموتان على غير ملّتي، أو قال: ديني... إلى آخر كلامه، فراجعه^(٢).



وقد سُئل علي صلى الله عليه وآله عن أحاديث البدع، وعمّا في أيدي الناس من اختلاف الخبر، فقال صلى الله عليه وآله:

إن في أيدي الناس حقاً وباطلاً، وصدقاً وكذباً، وناسخاً ومنسوخاً، وعماماً وخاصاً، ومُحكماً ومتشابهاً، وحفظاً ووهماً، وقد كُذِبَ على رسول الله صلى الله عليه وآله على عهده، حتى قام خطيباً، فقال: (مَنْ كَذَبَ عَلَيَّ متعمداً فليتبوأ مقعده من النار)، وإنما أتاك بالحديث أربعة رجال، ليس لهم خامس:

رجل منافق مظهر للإيمان، متصنّع بالإسلام، لا يتأثم ولا يتحرّج، يكذب على رسول الله صلى الله عليه وآله متعمداً، فلو علم الناس أنه منافق كاذب لم يقبلوا منه، ولم يصدّقوا قوله، ولكنهم قالوا: صاحب رسول الله صلى الله عليه وآله، رآه وسمع منه، ولَقَفَ عنه، فيأخذون بقوله، وقد أخبرك الله عن المنافقين بما أخبرك، ووصفهم بما وصفهم به لك، ثم بقوا بعده، فتقرّبوا إلى أئمة الضلال والدعاة إلى النار بالزور والبهتان، فولّوهم الأعمال، وجعلوهم حكّاماً على رقاب الناس، فأكلوا بهم الدنيا، وإنما الناس مع الملوك والدنيا،

(١) شرح نهج البلاغة ٣/ ١٥، الطبعة المحققة ١١/ ٤٤.

(٢) نفس المصدر السابق ١/ ٣٥٨، الطبعة المحققة ٤/ ٦٣.

إلا مَنْ عصم الله. فهذا أحد الأربعة.

ورجل سمع من رسول الله شيئاً لم يحفظه على وجهه، فوهم فيه، ولم يتعمد كذباً، فهو في يديه، ويرويه ويعمل به، ويقول: أنا سمعته من رسول الله ﷺ، فلو علم المسلمون أنه وَهَمَ فيه لم يقبلوه منه، ولو علم هو أنه كذلك لَرَفَضَهُ^(١).

ورجل ثالث سمع من رسول الله ﷺ يأمر به، ثم أنه نهى عنه وهو لا يعلم، أو سمعه ينهى عن شيء، ثم أمر به وهو لا يعلم، فحفظ المنسوخ ولم يحفظ الناسخ، فلو علم أنه منسوخ لَرَفَضَهُ، ولو علم المسلمون إذ سمعوه منه أنه منسوخ لرفضوه.

وآخر رابع لم يكذب على الله ولا على رسوله، مبغض للكذب خوفاً من الله، وتعظيماً لرسول الله ﷺ، لم يَهْمْ، بل حفظ ما سمع على وجهه، فجاء به على ما سمعه، لم يزد فيه ولم ينقص منه، فهو حفظ الناسخ فعمل به، وحفظ المنسوخ فجنب عنه،

(١) لعل من ذلك ما أخرجه البخاري ١٠٠/٢ في كتاب الجنائز، باب قول النبي ﷺ: يعذب الميت ببعض بكاء أهله عليه. وما أخرجه مسلم ٦٤٣/٢ في كتاب الجنائز، باب يعذب ببكاء أهله عليه، قال: عن هشام بن عروة، عن أبيه، قال: ذُكر عند عائشة قول ابن عمر: (الميت يعذب ببكاء أهله عليه)، فقالت: رحم الله أبا عبد الرحمن، سمع شيئاً فلم يحفظه، إنما مرّت على رسول الله ﷺ جنازة يهودي، وهم سيكون عليه، فقال: (أنتم تبكون، وإنه ليعذب). وفي رواية قبلها في الصفحة نفسها أن ابن عباس حكى ذلك عن عمر، ثم قال: فلما مات عمر ذكرت ذلك لعائشة، فقالت: يرحم الله عمر، لا والله ما حدث رسول الله ﷺ: (إن الله يعذب المؤمن ببكاء أحد)، ولكن قال: (إن الله يزيد الكافر عذاباً ببكاء أهله عليه)، قال: وقالت عائشة: حسبكم القرآن ﴿ولا تزر وازرة وزر أخرى﴾...

ومنه ما أخرجه مسلم في صحيحه ٥٧١/١ في كتاب صلاة المسافرين... باب لا تتحرّوا بصلاتكم طلوع الشمس ولا غروبها، عن عائشة، أنها قالت: وَهَمَ عمر، إنما نهى رسول الله ﷺ أن يُتحرّى طلوع الشمس وغروبها.

وتشير بذلك إلى ما هو معلوم من ضرب عمر الناس لصرفهم عن صلاة التطوع بعد العصر، كما أخرجه مسلم في صحيحه ٥٧٣/١ عن مختار بن فلفل، قال: سألت أنس بن مالك عن التطوع بعد العصر، فقال: كان عمر يضرب الأيدي على صلاة بعد العصر... وفي رواية أخرى ٥٧١/١ قال ابن عباس حينما سُئِلَ عن الركعتين بعد العصر: وكنت أضرب مع عمر بن الخطاب الناس عليها...

وعرف الخاص والعام والمحكم والمتشابه، فوضع كل شيء موضعه، وقد كان يكون من رسول الله ﷺ الكلام له وجهان، فكلام خاص وكلام عام، فيسمعه من لا يعرف ما عنى الله سبحانه به، ولا ما عنى رسول الله ﷺ، فيحملة السامع ويوجّهه على غير معرفة بمعناه وما قصد به وما خرج من أجله، وليس كل أصحاب رسول الله ﷺ من كان يسأله ويستفهمه، حتى إن كانوا ليحبّون لأن يجيء الأعرابي والطارئ فيسأله البلاء حتى يسمعوا، وكان لا يمرُّ بي من ذلك شيء إلا سألته عنه وحفظته. فهذه وجوه ما عليه الناس في اختلافهم وعملهم في رواياتهم^(١).

وقال المناوي: وغالب الكذّابين على النبي ﷺ زنادقة أرادوا تبديل الدين، قال حماد: وضعت الزنادقة أربعة عشر ألف حديث...

وقال أيضاً: قال البيضاوي: ليس كل ما يُنسب إلى الرسول ﷺ صدقاً والاستدلال فيه جائزاً، فإنه روي عن شعبة وأحمد والبخاري ومسلم: أن نصف الحديث كذب^(٢).

ولا شك أن من الأسباب التي وسّعت شقّة الخلاف بين المسلمين هو كثرة ما اختلقت من الأحاديث الموضوعة المكذوبة على النبي ﷺ التي اختلط بسببها الباطل بالحق، والكذب بالصدق، وهي أحاديث كثيرة كما مرّ آنفاً.

ولهذا نجد أن الخلاف بين الشيعة وأهل السنّة - على سبيل المثال - واسع جداً، فإنهم اختلفوا في مسائل كثيرة جداً من مسائل الأصول الاعتقادية والفروع الفقهية، وصارت كل طائفة تحتج على ما ذهب إليه بأحاديث ترويه عن النبي ﷺ معتقدة بحجيتها، ومسلّمة بصحّتها.

بل لقد تجاوز الخلاف ذلك إلى المسائل التي كان النبي ﷺ يكرّرها أمام الناس في اليوم الواحد مرّات ومرّات، كالوضوء والصلاة وغيرهما.

(١) شرح نهج البلاغة ٣/١٣، الطبعة المحققة ١١/٣٨.

(٢) فيض القدير ٦/٢١٦.

بل إن فقهاء أهل السنة أنفسهم - ولا سيما أصحاب المذاهب - اختلفوا فيما بينهم اختلافاً كثيراً في أبواب الفقه كلها، وذلك راجع - من بين أسباب أخرى - إلى اختلاف الأنظار في تصحيح الأحاديث الموجودة في الكتب المعروفة، فقد قيل: إن أبا حنيفة لم يصح عنده إلا سبعة عشر حديثاً أو نحوها، وصحَّ عند مالك بن أنس ما في الموطأ فقط، وغايتها ثلاثمائة حديث أو نحوها^(١).

والحاصل أن من أعظم ما ابتلي به المسلمون هو هذه الأحاديث المكذوبة على النبي ﷺ، التي أصبحت شجىً في حلق الأمة، وقذى في عينها، لا يقدر أحد على طرحها من كتب المسلمين، لأن فئات من هذه الأمة تقدَّسها، وتعبَّد بها، وتستنبط منها معتقداتها وأحكامها، فإنَّا لله وإنا إليه راجعون.

(١) مقدمة ابن خلدون، ص ٤٤٤.

الفصل الخامس

فرقة على الحق

لقد دلّت آيات الكتاب العزيز على أن الحق واحد، لا يتعدّد ولا يختلف، وهو هدى الله الذي لا هدى غيره، ولا حق سواه.
وأما سُبُل الباطل وطُرُقه فكثيرة متعدّدة.

قال عزّ من قائل ﴿وأن هذا صراطي مستقيماً فاتبعوه ولا تتبعوا السُّبُل فتفرق بكم عن سبيله ذلكم وصّاكم به لعلكم تتقون﴾^(١)، وقال ﴿فذلّكم الله ربكم الحق فماذا بعد الحق إلا الضلال فأنّي تُصِرّفون﴾^(٢)، وقال ﴿ولن ترضى عنك اليهود ولا النصارى حتى تتبع ملتهم قل إن هدى الله هو الهدى ولئن اتبعت أهواءهم بعد الذي جاءك من العلم ما لك من الله من وليّ ولا نصير﴾^(٣)، وقال ﴿قل إن الهدى هدى الله﴾^(٤)، وقال ﴿واعتصموا بحبل الله جميعاً ولا تفرقوا﴾^(٥)، وقال ﴿إن الدين عند الله الإسلام﴾^(٦)، وقال ﴿ومن يبتغ غير الإسلام ديناً فلن يُقبل منه وهو في الآخرة من الخاسرين﴾^(٧)، وقال ﴿اهدنا الصراط المستقيم ﴿ صراط الذين أنعمت عليهم غير المغضوب عليهم ولا الضالين﴾^(٨).

ولهذا تتابع العلماء قديماً وحديثاً في بيان هذه الحقيقة وتقريرها:

(١) سورة الأنعام، الآية ١٥٣.

(٢) سورة يونس، الآية ٣٢.

(٣) سورة البقرة، الآية ١٢٠.

(٤) سورة آل عمران، الآية ٧٣.

(٥) سورة آل عمران، الآية ١٠٣.

(٦) سورة آل عمران، الآية ١٩.

(٧) سورة آل عمران، الآية ٨٥.

(٨) سورة الفاتحة، الآيتان ٦-٧.

قال الفخر الرازي: إنه نهى عن الاختلاف في الدين، وذلك لأن الحق لا يكون إلا واحداً، وما عداه يكون جهلاً وضلالاً...

وقال أيضاً: إن النهي عن الاختلاف والأمر بالاتفاق يدل على أن الحق لا يكون إلا واحداً، وإذا كان كذلك كان الناجي واحداً^(١).

وقال في موضع آخر: هذه الآية [يعني آية الأنعام المتقدمة] تدل على أن كل ما كان حقاً فهو واحداً... فإذا كان الحق واحداً كان كل ما سواه باطلاً، وما سوى الحق أشياء كثيرة، فيجب الحكم بأن كل كثير باطل...^(٢).

وقال في تفسير قوله سبحانه ﴿فذلكم الله ربكم الحق﴾: [أي] الثابت ربوبيته ثباتاً لا ريب فيه، وإذا ثبت أن هذا هو الحق، وجب أن يكون ما سواه ضلالاً، لأن النقيضين يمتنع أن يكونا حقيين وأن يكونا باطلين، فإذا كان أحدهما حقاً وجب أن يكون ما سواه باطلاً^(٣).

وقد دلت الآيات القرآنية أيضاً على أن الأرض لا تخلو من قائم بالحق عامل به إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها.

قال تعالى ﴿وَمَنْ خَلَقْنَا أُمَّةً يَهْدُونَ بِالْحَقِّ وَبِهِ يَعْدِلُونَ﴾^(٤).

قال القرطبي: دلت الآية على أن الله عز وجل لا يُجلي الدنيا في وقت من الأوقات من داع يدعو إلى الحق^(٥).

وقال فخر الدين الرازي: قال الجبائي: هذه الآية تدل على أنه لا يخلو زمان البتة عمّن يقوم بالحق ويعمل به ويهدي إليه، وأنهم لا يجتمعون في شيء من الأزمنة على

(١) التفسير الكبير ٨/١٦٣.

(٢) المصدر السابق ٣/١٤.

(٣) المصدر السابق ١٧/٨٧.

(٤) سورة الأعراف، الآية ١٨١.

(٥) الجامع لأحكام القرآن ٧/٣٢٩.

الباطل...^(١).

وقال المناوي: إن هذه الأمة آخر الأمم، وإنه لا بد أن يبقى منها من يقوم بأوامر الله، حتى يأتي أمر الله^(٢).



هذا مضافاً إلى أن الأخبار النبوية قد دلت على ذلك، وأوضحت أن الحق لا يخرج عن هذه الأمة، فلا بد من وجود طائفة متمسكة بالحق عاملة به.

وقد تقدم في أحاديث افتراق الأمة ما يدل على ذلك، وإليك المزيد:

١ - أخرج البخاري عن قيس، قال: سمعت المغيرة بن شعبة، عن النبي ﷺ، قال: لا يزال ناس من أمتي ظاهرين، حتى يأتيهم أمر الله وهم ظاهرون^(٣).

وأخرج أيضاً عن عمير بن هانئ، أنه سمع معاوية بن أبي سفيان يقول: سمعت النبي ﷺ يقول: لا يزال من أمتي أمة قائمة بأمر الله، لا يضرهم من خذلهم ولا من خالفهم، حتى يأتيهم أمر الله وهم على ذلك^(٤).

٢ - وأخرج مسلم في صحيحه عن أبي الزبير، أنه سمع جابر بن عبد الله يقول: سمعت النبي ﷺ يقول: لا تزال طائفة من أمتي يقاتلون على الحق ظاهرين إلى يوم القيامة. قال: فينزل عيسى بن مريم ﷺ، فيقول أميرهم: تعال صل لنا. فيقول: لا، إن بعضكم على بعض أمراء، تكرمة الله هذه الأمة^(٥).

وأخرج أيضاً عن جابر بن سمرة، عن النبي ﷺ أنه قال: لن يبرح هذا الدين

(١) التفسير الكبير ٧٢/١٥.

(٢) فيض القدير ٣٩٦/٦.

(٣) صحيح البخاري ٢٥٣/٤ كتاب المناقب، باب رقم ٢٨. وكذلك ١٢٥/٩ كتاب الاعتصام، باب قول النبي ﷺ لا تزال طائفة من أمتي... الخ.

(٤) المصدر السابق ٢٥٣/٤. وكذلك ١٦٧/٩ كتاب التوحيد، باب قوله تعالى ﴿إنا قولنا لشيء﴾.

(٥) صحيح مسلم ١٣٧/١ كتاب الإيمان، باب نزول عيسى بن مريم... الخ، رقم ٧١ حديث ٢٤٧.

قائماً، يقاتل عليه عصابة من المسلمين حتى تقوم الساعة^(١).

وأخرجه أيضاً عن معاوية وثوبان والمغيرة بن شعبة بنحو ما مرّ، وكذلك أخرجه عن عبد الله بن عمرو وعقبة بن عامر وسعد بن أبي وقاص باختلاف يسير، إلا أنه قال في رواية عقبة: ... قاهرين لعدوهم، لا يضرّهم من خالفهم... الخ^(٢).

٣ - ٤: وأخرجه أبو داود في السنن عن عمران بن حصين^(٣)، وابن ماجه عن معاوية بن أبي سفيان، وعن معاوية بن قره عن أبيه، وعن أبي عنبه الخولاني، وعن ثوبان، بألفاظ قريبة مما مرّ^(٤).

٥ - وأخرج الترمذي في سننه عن معاوية بن قره عن أبيه، قال: قال رسول الله ﷺ: إذا فسد أهل الشام فلا خير فيكم، لا تزال طائفة من أمتي منصورين، لا يضرّهم من خذلهم حتى تقوم الساعة. قال محمد بن إسماعيل: قال علي بن المديني: هم أصحاب الحديث.

قال الترمذي: وهذا حديث حسن صحيح.

وكذلك أخرجه عن ثوبان بنحو ما تقدم من حديث جابر، وقال: حسن صحيح^(٥).

٦ - وأخرج النسائي في السنن عن سلمة بن نفيل الكندي - في حديث طويل - قال: ولا يزال من أمتي أمة يقاتلون على الحق، ويزيغ الله لهم قلوب أقوام ويزرقهم منهم، حتى تقوم الساعة، وحتى يأتي وعد الله...^(٦).

(١) المصدر السابق ٣/ ١٥٢٤ كتاب الإمارة، باب قوله ﷺ: لا تزال طائفة من أمتي... الخ.

(٢) المصدر نفسه.

(٣) سنن أبي داود ٣/ ٤ كتاب الجهاد، باب دوام الجهاد. صحيح سنن أبي داود ٢/ ٤٧١.

(٤) سنن ابن ماجه ١/ ٤ المقدمة، باب اتباع سنة رسول الله ﷺ. صحيح سنن ابن ماجه ١/ ٦-٧.

(٥) سنن الترمذي ٤/ ٤٨٥ كتاب الفتن، باب ما جاء في الشام. وكذلك ص ٥٠٤، باب ما جاء في الأئمة المضلين.

(٦) سنن النسائي ٦/ ٢١٤ كتاب الخيل، حديث رقم ١. صحيح النسائي ٢/ ٧٥٦. سلسلة الأحاديث

٧ - وأخرجه أحمد بن حنبل في المسند عن معاوية بن أبي سفيان، ومسلمة بن نفيل، والمغيرة، وعمران بن الحصين، وجابر، وأبي أمامة وثوبان، وزيد بن أرقم، ومعاوية بن قرة، وجابر بن سمرة، وأبي هريرة^(١).

٨ - وأخرجه الحاكم النيسابوري في المستدرک عن جابر بن سمرة، وعمر بن الخطاب وثوبان، وعمران بن الحصين، وصحَّحها كلها، ووافقه الذهبي^(٢).

٩ - وأخرجه الهيثمي في مجمع الزوائد بطرق كثيرة، ووثَّق رجالها^(٣).

١ - وأخرجه السيوطي في الجامع الصغير بعدة طرق وصحَّحها^(٤)، وتبعه الألباني في صحيح الجامع الصغير وغيره^(٥).

وأخرجه أبو يعلى والبزار والطبراني وغيرهم^(٦).

ونص على تواتره جمع من الأعلام، كابن تيمية^(٧)، والسيوطي^(٨)، والكتاني^(٩)، والزبيدي^(١٠) وغيرهم.

الصحيحة ٤/ ٥٧١.

(١) مسند أحمد بن حنبل ٢/ ٣٢١، ٣٤٠، ٣٧٩، ٣٤٥/٣، ٣٨٤، ٤/ ٩٣، ٩٧، ٩٩، ١٠١، ١٠٤، ٢٤٤، ٢٤٨، ٢٥٢، ٣٦٩، ٤٢٩، ٤٣٤، ٤٣٧، ٥/ ٣٤، ٣٥، ٩٢، ٩٤، ٩٨، ١٠٣، ١٠٥، ١٠٦، ١٠٨، ٢٦٩، ٢٧٨، ٢٧٩.

(٢) المستدرک على الصحيحين ٤/ ٤٤٩.

(٣) مجمع الزوائد ٧/ ٢٨٧.

(٤) الجامع الصغير ٢/ ٧٣٣، حديث رقم ٩٧٧٠، ٩٧٧٣، ٩٧٧٤.

(٥) صحيح الجامع الصغير ٢/ ١٢١٩، رقم ٧٢٨٧-٧٢٩٦. سلسلة الأحاديث الصحيحة رقم ٢٧٠، ١١٠٨، ١٩٥٥، ١٩٥٦، ١٩٥٧، ١٩٥٩، ١٩٦٠، ١٩٦٢.

(٦) راجع بقية مصادر هذا الحديث في حاشية قطف الأزهار المتناثرة، ص ٢١٦.

(٧) اقتضاء الصراط المستقيم، ص ٦.

(٨) قطف الأزهار المتناثرة، ص ٢١٦.

(٩) نظم المتناثر، ص ١٥١.

(١٠) لقط اللآلئ المتناثرة، ص ٦٨.

تأملات في الحديث:

١ - قوله صلى الله عليه وآله: (على الحق ظاهرين) معناه: أنهم ظاهرون على غيرهم بالحجة والبرهان وإن لم يظهروا بالسيف والسنان.

وهذه هي السمة المميّزة لأهل الحق دائماً أن حجّتهم غالبية.

وأما الغلبة بالقوة فهي راجعة إلى أسبابها الطبيعية من كثرة الرجال، ووفرة السلاح والمال، وغير ذلك من الأسباب المعروفة، ولهذا غلب أهل الباطل أهل الحق على ممر الدهور لما توافرت لهم أسباب الغلبة والظهور.

وسبب ظهور هؤلاء المحقّين هو أنهم لما تمسّكوا بالحق واحتجوا به، وأتبع غيرهم الباطل واعتضدوا به غلبت حجّتهم حجة غيرهم، إذ استطاعوا أن يُبطلوا كل الآراء الفاسدة، ويفنّدوا كل المقالات الكاسدة، فظهروا بأنهم على الحق لكل باحث عنه طالب له من أولي العلم وذوي الفهم، الذين نظروا بعين الإنصاف، واطلعوا على المذاهب والآراء، فميّزوا صحيحها من سقيمها، وغنّها من سمينها.

٢ - وقوله صلى الله عليه وآله: (يقاتلون) صُبطت فيما بيدي من النسخ (يقاتلون) بالبناء للفاعل، فيكون المعنى: إن هذه الفرقة تقاتل من ناوأها وهم مع الحق.

والظاهر أنها (يقاتلون) بالبناء للمفعول، لأننا لا نجد فرقة تقاتل غيرها من الصدر الأول إلى الآن، بل ثمة من يقاتل ويُضطهد. اللهم إلا إذا أريد من قتلهم غيرهم هو قدحهم في المذاهب العاطلة، ونقدهم للآراء الباطلة. وعليه يُحمل قول ابن المديني في أن المراد بهم أهل الحديث.

وعلى كل حال فغايتهم من قتال غيرهم بالحجة والبرهان هو تشييد الحق وتزييف الباطل، وغاية غيرهم من قتلهم هو زحزحتهم عن الهدى، وإمالتهم إلى الضلال.

وذكر خذلان غيرهم لهم لبيان أن الناس انقسموا حيالهم ما بين محارب لهم وخاذل، إلا أن ذلك لم يزل لهم عن حقهم إلى باطل غيرهم.

٣ - وقوله ﷺ: (لا يضرهم من خذلهم أو خالفهم) ظاهر في شدة تمسكهم بحقهم، وصلابتهم في دينهم.

ومن المعتاد أن يكون مخالفوهم قد أكثروا الفرية عليهم، والتشنيع على مذهبهم، لأننا علمنا أنهم على الحق، ومناوأة الحق لا تكون بحق مثله، وإنما تكون بالكذب والفرية والتهمة بما ليس فيهم، حتى ينفر الناس منهم ومما يعتقدونه من الحق، بسبب ما ألصق بهم من الباطل المعلوم فساد له لكل أحد.

وهذا مسلك في محاربة الحق معلوم منذ القَدَم، حورب به الأنبياء والمرسلون والمصلحون على عمر العصور، والقرآن الكريم مليء بالآيات التي تحكي ذلك:

قال عزّ من قائل ﴿وكذلك ما أتى الذين من قبلهم من رسول إلا قالوا ساحر أو مجنون﴾^(١).

وقال سبحانه ﴿فلما جاءهم آياتنا مبصرة قالوا هذا سحر مبين﴾^(٢).

وقال تعالى ﴿فلما جاءهم الحق قالوا إن هذا لسحر مبين﴾^(٣).

وقال ﴿فلما جاءهم موسى بآياتنا بينات قالوا ما هذا إلا سحر مفترى﴾^(٤).

وقال ﴿ويقولون أئنا لتاركو آهتنا لشاعر مجنون﴾^(٥).

وقال ﴿ثم تولوا عنه وقالوا معلم مجنون﴾^(٦).

وقال ﴿وقال الذين كفروا هل ندلكم على رجل ينبئكم إذا مضتكم كل ممزق إنكم لفي خلق جديد ﴿ أفترى على الله كذباً أم به جنة﴾^(٧).

(١) سورة الذاريات، الآية ٥٢.

(٢) سورة النمل، الآية ١٣.

(٣) سورة يونس، الآية ٧٦.

(٤) سورة القصص، الآية ٣٦.

(٥) سورة الصافات، الآية ٣٦.

(٦) سورة الدخان، الآية ١٤.

(٧) سورة سبأ، الآيتان ٨٧-٨٨.

كما أن ذلك يدل على أن مخالفي الفرقة المحقة أولو بأس وكثرة ونفوذ، وإلا لما حسن مدح أهل الحق بأنهم لا يضرهم من خذلهم أو خالفهم إذا كان أعداؤهم ومخالفوهم قلة ضعفاء مستضعفين، لا حول لهم ولا طول.

وقوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ في حديث النسائي المتقدم: (ولا يزال من أمتي أمة يقاتلون على الحق، ويزيغ الله لهم قلوب أقوام ويرزقهم منهم حتى تقوم الساعة) دال على ضعف أهل الحق وقلة حيلتهم، لأنهم لو كانوا أولي شوكة ومنعة لرزق الله غيرهم بهم، ولم يرزقهم بغيرهم ممن أمال الله قلوبهم لهم.

٥ - وقوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ في حديث جابر المتقدم: (يقول أميرهم) فيه إشارة للمهدي عَلَيْهِ السَّلَامُ، وفيه دلالة واضحة على أن الذين يرون إمامة المهدي عَلَيْهِ السَّلَامُ وإمرته هم أهل الحق دون غيرهم، ولهذا نسبه إليهم دون سواهم.

الفصل السادس

الفرقة الناجية

عندما ننظر في المذاهب والفرق ونأمل ما كتبه أصحابها في إثبات صحّتها، نجد أن كل فرقة تدّعي أن الحق معها، وأنها هي الفرقة الناجية من دون سائر الناس، مع أن أكثر ما قالوه إمّا دعاوى مجرّدة، أو أدلّة ملّفة.

وخذ على ذلك مثالين:

١ - قال المناوي: فإن قيل: ما وثوقك بأن تلك الفرقة الناجية هي أهل السنة والجماعة، مع أن كل واحد من الفرق يزعم أنه هي دون غيره؟

قلنا: ليس ذلك بالادّعاء والتشبيث باستعمال الوهم القاصر والقول الزاعم، بل بالنقل عن جهابذة هذه الصنعة وأئمة أهل الحديث، الذين جمعوا صحاح الأحاديث في أمر المصطفى صلى الله عليه وسلم وأحواله وأفعاله وحركاته وسكناته وأحوال الصحب والتابعين، كالشيخين وغيرهما من الثقات، الذين اتفق أهل المشرق والمغرب على صحّة ما في كتبهم، وتكفّل باستنباط معانيها وكشف مشكلاتها كالخطابي والبغوي والنووي جزاهم الله خيراً، ثم بعد النقل يُنظر إلى من تمسك بهديهم واقتفى أثرهم واهتدى بسيرتهم في الأصول والفروع فيُحكم بأنهم هم^(١).

أقول: من البيّن أن إجماع أهل السنّة والجماعة على صحّة الأحاديث التي جمّعها

الشيخان وغيرهما لا يعني إجماع الأمة على ذلك، فضلاً عن اتفاق أهل المشرق والمغرب، فإن الشيعة مثلاً لا يصححون إسناد أكثر هذه الأحاديث، وإلا لزمهم القول بصحة خلافة أبي بكر وعمر وعثمان، وبعدالة كل الصحابة، وبرؤية الله سبحانه وتعالى يوم القيامة، وأن له عينين ويدين ووجه ورجلين، كما يلزمهم القول بحرمة متعة النساء، وبجواز المسح على الخفين، وصحة الصلاة خلف كل بر وفاجر، وغير ذلك مما هو معروف من عقائد أهل السنة في الأصول والفروع.

وهذا الدليل الذي تمسك به المناوي يصلح بعينه أن يكون دليلاً للشيعة وغيرهم على صحة مذاهبهم، لأنهم نقلوا ما بأيديهم من الأحاديث عن أئمة الحديث وجهابذة هذه الصنعة عندهم، الذين جمعوا صحاح الأحاديث في أمر المصطفى صلّى الله عليه وآله، وأحواله وأفعاله وحركاته وسكناته.

وأما دعوى اقتفاء أثر رسول الله صلّى الله عليه وآله فهذا تدعيه كل الفرق، وتلهج به كل الطوائف، فكل دعوى لم تستند إلى حجة قاطعة فإنها تبقى مجرد دعوى لا قيمة لها، ولا فائدة فيها.

٢ - وقال عبد القاهر البغدادي: قد ذكرنا في الباب الأول من هذا الكتاب أن النبي صلّى الله عليه وآله لما ذكر افتراق أمته بعده ثلاثاً وسبعين فرقة، وأخبر أن فرقة واحدة منها ناجية سئل عن الفرقة الناجية وعن صفاتها، فأشار إلى الذين هم على ما عليه هو وأصحابه، ولسنا نجد اليوم من فرق الأمة من هم على موافقة الصحابة رضي الله عنهم غير أهل السنة والجماعة من فقهاء الأمة ومتكلميهم الصفاتية، دون الرافضة والقدرية والخوارج والجهمية والنجارية والمشبهة والغلاة والحلولية.

ثم أتعب نفسه في بيان عدم موافقة كل فرقة من الفرق للصحابة سوى أهل السنة والجماعة بما محصله: أن أكثر القدرية - أي المعتزلة - شكوا في عدالة علي وابنيه وابن عباس وطلحة والزبير وعائشة وكل من شهد حرب الجمل من الفريقين، والخوارج أكفروا علياً وابنيه وابن عباس وأبا أيوب الأنصاري، وأكفروا أيضاً عثمان

وعائشة وطلحة والزبير وكل من لم يفارق علياً ومعاوية بعد التحكيم.

وأما الشيعة الزيدية فمنهم من يكفر أبا بكر وعمر وعثمان وأكثر الصحابة، ومنهم من يكفر عثمان أو يتوقف فيه ويفسق ناصرته، ويكفرون أكثر أصحاب الجمل. والشيعة الإمامية زعم أكثرهم أن الصحابة ارتدت بعد النبي ﷺ سوى علي وابنيه ومقدار ثلاثة عشر رجلاً منهم^(١).

أقول: هذا الكلام على كثرة ما فيه من الخلل^(٢) لا يدل على النتيجة التي استخلصها، فإن قول النبي ﷺ: (ما أنا عليه وأصحابي) لا يدل على أن كل صحابته أو أكثرهم سيظل على ما كان عليه من الحق في زمان رسول الله ﷺ. هذا مع أن الأحاديث الصحيحة الآتي ذكرها دللت على أن من الصحابة من ارتد على دبره القهقري، ومنهم من أحدث في دين الله ما أحدث.

(١) الفرق بين الفرق، ص ٣١٨-٣٢٢.

(٢) الذي نراه في كتب الشيعة الإمامية وكتب المعتزلة خلاف ما نقله عنهم، فإن الشيعة لا يقولون بارتداد الصحابة عن الدين سوى عدد قليل، بل أكثرهم بقي على الإسلام. وما أوهم ذلك من بعض مروياتهم كما في كتاب الاختصاص، ص ٦ عن أبي جعفر الباقر عليه السلام، أنه قال: (ارتد الناس بعد النبي ﷺ إلا ثلاثة نفر: المقداد بن الأسود، وأبو ذر الغفاري، وسلمان الفارسي، ثم إن الناس عرفوا وتلاحقوا بعد) فالمراد به - مع التسليم بصحة سنده - أنهم ارتدوا أي رجعوا عن بيعة علي عليه السلام، فبايعوا غيره، إذ الارتداد في اللغة هو الرجوع مطلقاً، لا خصوص الرجوع عن الدين، قال تعالى ﴿أنا آتيك به قبل أن يرتد إليك طرفك﴾ سورة النمل، الآية ٤٠.

وأما عقيدة المعتزلة في علي عليه السلام وطلحة والزبير وعائشة فقد أوضحها ابن أبي الحديد المعتزلي في شرح نهج البلاغة ٣/١، إذ قال: إن البغداديين من المعتزلة - قدماءهم ومتأخريهم - ذهبوا إلى تفضيل علي عليه السلام على أبي بكر وعمر وعثمان (رضي الله عنهم). وذهب إلى ذلك من البصريين أبو علي الجبائي والحسين البصري وقاضي القضاة عبد الجبار والحسين بن متويه. وذهب كثير من الشيوخ إلى التوقف فيهما، وهو قول واصل بن عطاء وأبي الهذيل العلاف، ولكنها يذهبان إلى تفضيله على عثمان، كما توقف فيهما أبو هاشم وأبو الحسين البصري. وأما أصحاب الجمل الباغون على علي عليه السلام فكلهم هالكون، إلا عائشة وطلحة والزبير، فإنهم تابوا.

وعليه فلا يلزم من القول بفسق بعض الصحابة، أو بارتداد أو نفاق بعض آخر منهم، البعد عما كان عليه النبي ﷺ وأصحابه من الحق، ولا سيما بعد حدوث الفرقة والاختلاف فيما بينهم، فإنه لا مناص حينئذ من تخطئة الفئة الباغية من الفئتين المتحاربتين، ومحاربتها حتى تفيء إلى أمر الله.

وبيان النبي ﷺ بأن إحدى الفئتين باغية دليل على أنها لم تأخذ بهديه، ولم تسر على منهاجه، فلا محذور حينئذ في مخالفتها، والحكم بخطئها.

ومن البيّن أن الكون على ما كان عليه النبي ﷺ يتحقّق باتباع النبي ﷺ وأصحابه الذين اتبعوه، دون غيرهم من المنافقين والفاسقين الذين بدلوا شرعه ومنهاجه وبغوا على إمام الحق وإن وُصفوا بالصحبة وتسمّوا بها. فالصير إلى عدالتهم جميعاً مخالفة للنبي ﷺ، لا تلتئم مع الكون على ما كان عليه من الحق كما لا يخفى.



فإذا تقرّر كل ما تقدّم فلا بد من التدبر فيما يقولون، والتمحيص لما يكتبون ويدعون، إذ ﴿كل حزب بما لديهم فرحون﴾، وبما عندهم راضون، وهذا مقام تزل فيه الأقدام، وتطيش فيه السهام.

وحينئذ ينبغي الرجوع لمعرفة الفرقة الناجية إلى الأحاديث النبوية، فإنها النور الساطع والضياء اللامع، الذي لا ريب فيه، ولا مرية تعتريه.

والأحاديث النبوية انقسمت في هذا الشأن إلى طوائف أربع، تستعدي كل طائفة منها أن نقف عندها وقفة تأمل وتدبر.

وإليك التفصيل:

الطائفة الأولى:

وهي الأحاديث التي ذُكر فيها الفرق، وأهمل بيان الفرقة الناجية منها. فقد أخرج الترمذي وصحّحه، وأبو داود، وابن ماجه، عن أبي هريرة: إن رسول الله ﷺ

قال: تفرقت اليهود على إحدى وسبعين فرقة، أو اثنتين وسبعين فرقة، والنصارى مثل ذلك، وتفرقت أمتي على ثلاث وسبعين فرقة^(١).

وهنا ينبغي التنبيه على أمرين مهمين:

١ - أن النبي ﷺ كان رؤوفاً رحيماً بهذه الأمة، حريصاً على نفعها وهدايتها، ولهذا أوضح المعالم وبيّن السبل، فقال: قد تركتكم على البيضاء، ليلها كنهارها، لا يزيغ عنها بعدي إلا هالك^(٢).

وحينئذ فمن البعيد جداً ألا يبيّن النبي ﷺ لأُمَّته هذه الفرقة الناجية.

وعلى فرض تركه ﷺ بيان ذلك للناس، فمن البعيد أيضاً إغفال المسلمين سؤاله ﷺ عن ذلك، مع شدة حرصهم على معرفة الحق، وعِظَم خوفهم من الوقوع في الفتن، ولا سيما مع كثرة مساءلتهم للنبي ﷺ، وعلمهم بأنهم لا يسألونه عمّا فيه خيرهم وصلاحهم إلا بيّنه لهم، كما أخرج البخاري عن أنس، قال: سألوا النبي ﷺ حتى أحفوه^(٣) بالمسألة، فصعد النبي ﷺ ذات يوم المنبر فقال: لا تسألوني عن شيء إلا بيّنتُ لكم...^(٤).

وعليه فلا بد من القول بأن النبي ﷺ بيّن الفرقة الناجية، وأوضحها إيضاحاً لا يعتريه ريب ولا شبهة.

٢ - أن عدم بيان الفرقة الناجية في هذه الطائفة من الأحاديث راجع إلى أحد أمرين:

(١) سنن الترمذي ٥/٢٥ كتاب الإيمان، باب ما جاء في افتراق هذه الأمة. سنن أبي داود ٤/١٩٧. صحيح

سنن أبي داود ٣/٨٦٩. سنن ابن ماجه ٢/١٣٢١. صحيح سنن ابن ماجه ٢/٣٦٤.

(٢) سنن ابن ماجه ١/٤١٦ المقدمة، باب ١، ٦. مسند أحمد ٤/١٢٦. المستدرک ١/٩٦. الجامع الصغير

٢/٢٥٠ ورمز له بالصحة. وصحّحه الألباني في صحيح سنن ابن ماجه ١/٦١، ١٣، وصحيح الجامع

الصغير ٢/٨٠٥، وسلسلة الأحاديث الصحيحة ٢/٦٤٧، وكتاب السنة ١/١٩.

(٣) أي أكثروا في السؤال.

(٤) صحيح البخاري ٩/٦٦ كتاب الفتن، باب التعوذ من الفتن (١٥).

- إما لأن النبي ﷺ أوضح الفرقة المحققة في أحاديث آخر، واكتفى بها عن البيان ههنا، فترك الناس سؤاله بناءً على اشتهاار تلك الأحاديث بين المسلمين وصحتها وكفايتها في الدلالة على الحق.

- وإما لأن الأحداث السياسية وما وقع بين المسلمين من الاختلاف العظيم، دعا ذوي المآرب والغايات إلى إسقاط بيان الفرقة الناجية من هذه الأحاديث، فجاءت خالية من البيان، موسومة بالنقصان.

الطائفة الثانية:

وهي التي أوضحت أن الفرقة الناجية هي التي تكون على ما عليه النبي ﷺ وأصحابه.

ومنها ما أخرجه الترمذي وغيره، عن عبد الله بن عمرو قال: قال رسول الله ﷺ: لياأتين على أممي ما أتى على بني إسرائيل حذو النعل بالنعل، حتى إن كان منهم من أتى أمه علانية لكان في أممي من يصنع ذلك، وإن بني إسرائيل تفرقت على ثنتين وسبعين ملة، وتفرق أممي على ثلاث وسبعين ملة، كلهم في النار إلا ملة واحدة. قالوا: ومن هي يا رسول الله؟ قال: ما أنا عليه وأصحابي^(١).

والذي ينبغي بيانه ههنا أمران:

الأمر الأول: أن صحابة رسول الله ﷺ لم يكن لهم إبان حياته الشريفة قول مختلف عنه، لأنهم بقوله يأخذون، وعلى نهجه يسرون، وبه يقتدون، وإذا ما اختلفوا رجعوا إلى حكمه، وإذا ما تنازعوا فاءوا إلى أمره، لأن الله سبحانه جعل إيمانهم مشروطاً بذلك، فقال عزّ من قائل ﴿فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ثم لا يجدوا في أنفسهم حرجاً مما قضيت ويسلموا تسليماً﴾^(٢)، وقال ﴿يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولي الأمر منكم فإن تنازعتم في شيء فردوه

(١) سبق تخريجه في الفصل الثالث.

(٢) سورة النساء، الآية ٦٥.

إلى الله والرسول إن كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر ذلك خير وأحسن تأويلاً^(١).

فقول صحابة النبي ﷺ قوله، ونهجهم نهجه، فعطفهم عليه لبيان أنهم له متبعون، وبه مقتدون، لا أن لهم هدياً غير هديه وسنة غير سنته، فاتباعهم في حقيقة الأمر أتباعه، لأنهم يحكون قوله، ويوضحون سبيله.

هذا لا كلام فيه، ولكنه لا ينفعنا في هذا الشأن، لأن المسلمين قد انعقد إجماعهم على أن النبي ﷺ على الحق هو وأصحابه التابعين له.

فلو أن الصحابة لم يختلفوا فيما بينهم لكان اتباعهم موصلاً إلى سبيل الرشاد، لأن الحق بلا شبهة لن يخرج عنهم إلى غيرهم، ولكنهم اختلفوا، وجرى بينهم من الأمور ما هو مشهور، وفي الكتب مسطور.

فإذا كانت صحبة النبي ﷺ علامة على الحق، فهي لا تنفعنا في حال الاختلاف، لأنها متحققّة في كل الأطراف المختلفة، فلا بد حينئذ من البحث عن علامة أخرى يصح الاعتماد عليها والاستناد إليها.

وبهذا يتضح السبب الداعي إلى ضم النبي ﷺ صحبه إليه في الحديث وعدم إفرادهم بالذكر، حيث لم يعبر بـ (ما عليه أصحابي) أو ما يؤدي هذا المعنى.

وإلى هذا الذي أوضحناه كانت الإشارة في حديث المستدرک بقوله ﷺ: (ما أنا عليه اليوم وأصحابي)، يعني: وأما بعد هذا اليوم - أي عند حصول الاختلاف فيما بينهم - فالحق يكون مع بعضهم لا كلهم، لأن الحق واحد لا يتعدّد ولا يختلف كما مرّ.

هذا مضافاً إلى أن الأحاديث النبوية قد أوضحت أن بعضاً من صحابة النبي ﷺ سيرجعون لا محالة بعده على أدبارهم القهقري، وأنهم سيبدّلون في دين الله ويحدّثون ما لا يرضاه سبحانه، فيكونون من الهالكين.

فقد أخرج البخاري عن أبي وائل، قال: قال عبد الله: قال النبي ﷺ: أنا

فَرَطَكُمْ^(١) عَلَى الْحَوْضِ، لِيُرْفَعَنَّ إِلَيَّ رِجَالَ مَنْكُمْ، حَتَّى إِذَا أَهْوَيْتَ لِأَنَاوِلِهِمْ
اِخْتَلَجُوا^(٢) دُونِي، فَأَقُولُ: أَيُّ رَبِّ، أَصْحَابِي! يَقُولُ: لَا تَدْرِي مَا أَحْدَثُوا بِعَدِكَ^(٣).

وَأَخْرَجَ أَيْضاً عَنْ أَبِي حَازِمٍ، قَالَ: سَمِعْتُ سَهْلَ بْنَ سَعْدٍ يَقُولُ: سَمِعْتُ النَّبِيَّ
ﷺ يَقُولُ: أَنَا فَرَطَكُمْ عَلَى الْحَوْضِ، مَنْ وَرَدَهُ شَرِبَ مِنْهُ، وَمَنْ شَرِبَ مِنْهُ لَمْ يَظْمَأْ
بَعْدَهُ أَبَدًا، لَيَرِدُ عَلَيَّ أَقْوَامٌ أَعْرَفَهُمْ وَيَعْرِفُونِي، ثُمَّ يُجَالِ بَيْنِي وَبَيْنَهُمْ.

قَالَ أَبُو حَازِمٍ: فَسَمِعَنِي النَّعْمَانُ بْنُ أَبِي عِيَاشٍ وَأَنَا أَحَدْتُهُمْ هَذَا، فَقَالَ: هَكَذَا
سَمِعْتَهُ سَهْلًا؟ فَقُلْتُ: نَعَمْ. قَالَ: وَأَنَا أَشْهَدُ عَلَى أَبِي سَعِيدِ الْخَدْرِيِّ لَسَمِعْتَهُ يَزِيدُ فِيهِ،
قَالَ: إِنَّهُمْ مِنِّي، فَيَقَالُ: إِنَّكَ لَا تَدْرِي مَا بَدَّلُوا بِعَدِكَ. فَأَقُولُ: سَحَقًا سَحَقًا لِمَنْ بَدَّلَ
بِعَدِي^(٤).

وَأَخْرَجَ أَيْضاً عَنْ عَبْدِ اللَّهِ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ أَنَّهُ قَالَ: أَنَا فَرَطَكُمْ عَلَى الْحَوْضِ،
وَلِيُرْفَعَنَّ رِجَالَ مَنْكُمْ، ثُمَّ لِيُخْتَلَجَنَّ دُونِي، فَأَقُولُ: يَا رَبِّ أَصْحَابِي! فَيَقَالُ: إِنَّكَ لَا
تَدْرِي مَا أَحْدَثُوا بِعَدِكَ^(٥).

وَأَخْرَجَهُ كَذَلِكَ عَنْ أَنَسٍ وَأَسْمَاءَ بَلْفِظٍ مَقَارِبٍ لَمَّا مَرَّ^(٦).

وَأَخْرَجَ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، أَنَّهُ كَانَ يَحَدِّثُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: يَرِدُ عَلَيَّ يَوْمَ
الْقِيَامَةِ رَهْطٌ مِنْ أَصْحَابِي فَيُحَلِّوْنَ^(٧) عَلَيَّ الْحَوْضَ، فَأَقُولُ: يَا رَبِّ أَصْحَابِي! فَيَقُولُ:
إِنَّكَ لَا عِلْمَ لَكَ بِمَا أَحْدَثُوا بِعَدِكَ، إِنَّهُمْ ارْتَدَوْا عَلَيَّ أَذْبَارَهُمُ الْقَهْقَرَى^(٨).

(١) أي سابقكم ومتقدمكم.

(٢) أي جُذِبُوا وانْتَزَعُوا.

(٣) صحيح البخاري ٥٨/٩ كتاب الفتن، الباب الأول، ٨/١٤٨، ١٤٩ كتاب الرقاق، باب في الحوض
(٥٣).

(٤) المصدر السابق ٥٨/٩.

(٥) المصدر السابق ٨/١٤٨، ١٥١.

(٦) المصدر السابق ٨/١٤٩.

(٧) أي يُطَرِّدُونَ.

(٨) صحيح البخاري ٨/١٥٠.

وأخرج عنه أيضاً عن النبي ﷺ، قال: بينما أنا قائم إذا زمرة، حتى إذا عرفتهم خرج رجل من بيني وبينهم، فقال: هَلُمَّ. فقلت: أين؟ قال: إلى النار والله. قلت: وما شأنهم؟ قال: إنهم ارتدوا بعدك على أدبارهم القهقري. ثم إذا زمرة، حتى إذا عرفتهم خرج رجل من بيني وبينهم، فقال: هَلُمَّ، قلت: أين؟ قال: إلى النار والله. قلت: ما شأنهم؟! قال: إنهم ارتدوا على أدبارهم القهقري. فلا أراه يخلص منهم إلا مثل هَمَلِ النعم^(١).

وأخرج هذا الحديث مسلم في صحيحه عن أبي هريرة، وسهل، أبي سعيد الخدري، وعبد الله بن عمرو بن العاص، وأسماء، وعائشة، وأم سلمة، وحذيفة، وأنس بن مالك، وابن عباس^(٢).

كما أخرجه الترمذي في السنن عن ابن عباس، وقال: هذا حديث حسن صحيح^(٣). وأخرجه النسائي^(٤) وابن ماجة في كتابي السنن^(٥).

وأخرجه أحمد بن حنبل في المسند عن ابن عباس، وابن مسعود، وأبي سعيد الخدري، وأنس بن مالك^(٦). والهيثمي في مجمع الزوائد بطرق كثيرة رجالها ثقات^(٧).

(١) المصدر السابق ٨/ ١٥٠. قال في لسان العرب ١١/ ٧١٠: وفي حديث الحوض: (فلا يخلص منهم إلا مثل همل النعم) الحمل: ضوال الإبل، واحداها هامل، أي أن الناجي منهم قليل في قلة النعم الضالة.
(٢) صحيح مسلم ١/ ٢١٧-٢١٨ كتاب الطهارة، باب استحباب إطالة الغرة... (١٢)، ٤/ ١٧٩٢-١٨٠٠ كتاب الفضائل، باب إثبات حوض نبينا ﷺ وصفاته (٩)، ٤/ ٢١٩٤ كتاب الجنة، باب فناء الدنيا... (١٤).

(٣) سنن الترمذي ٥/ ٣٢١ كتاب تفسير القرآن، باب تفسير سورة الأنبياء (٢٢)، ٤/ ١٦٥ كتاب صفة القيامة، باب ما جاء في الحشر (٣).

(٤) سنن النسائي ٢/ ١٣٣ كتاب الافتتاح، باب قراءة بسم الله الرحمن الرحيم (٢١)، ٤/ ١١٧ كتاب الجنائز، الجنائز، باب أول من يكسى (١١٩). صحيح سنن النسائي ٢/ ٤٤٩.

(٥) سنن ابن ماجة ٢/ ١٠١٦ كتاب المناسك، باب الخطبة يوم النحر (٧٦). صحيح سنن ابن ماجة ٢/ ١٨٢.

(٦) مسند أحمد بن حنبل ١/ ٢٣٥، ٢٥٣، ٢٥٤، ٣٨٤، ٤٠٢، ٤٠٦، ٤٠٧، ٤٢٥، ٤٣٩، ٤٥٣، ٤٥٥، ٣/ ٢٨١، ١٠٢، ٢٨١/ ٥، ٤٨/ ٥، ٥٠، ٣٨٨، ٣٩٣، ٤٠٠، ٤١٢.

واين خزيمة في صحيحه وغيرهم^(٢).

واخرج مالك بن أنس: أن رسول الله ﷺ قال لشهداء أحد: هؤلاء أشهد عليهم. فقال أبو بكر الصديق: ألسنا يا رسول الله إخوانهم، أسلمنا كما أسلموا، وجاهدنا كما جاهدوا؟ فقال رسول الله ﷺ: بلى، ولكن لا أدري ما تُحدثون بعدي. فبكى أبو بكر ثم بكى، ثم قال: أإنَّا لكائنون بعدك؟^(٣)

تأملات في الحديث:

قوله ﷺ: (أقوام) ظاهر في كثرتهم.

وقوله: (أعرفهم ويعرفوني) و (رجال منكم) و (يرد عليّ رهط من أصحابي) و (فأقول يا ربّ أصحابي) دال على أنهم ممن صحب النبي ﷺ وخالطه.

وقوله: (إنك لا تدري ما بدّلوا بعدك) و (لا تدري ما أحدثوا بعدك) ظاهر في أنهم رووا عن النبي ﷺ من الأحاديث المكذوبة التي استطاعوا بها أن يُحدثوا البدع وأن يبدّلوا الأحكام، أو كانوا رؤساء في الناس يأمرون فيطاعون.

وقوله: (ارتدوا على أذارهم القهقري) يُراد منه أنهم بقوا على ظاهر الإسلام وإن كانوا مرتدين في الباطن، لأنهم استطاعوا أن يبدّلوا في دين الله ما شاءوا، ولو ارتدوا علانية لما تمكنوا من أن يُحدثوا أمراً، أو يبدّلوا حكماً.

وقول بعضهم: (إن المراد بهم أهل الردّة) يرده أن أهل الردة لم يحدثوا في دين الله حدثاً، ولم يبدّلوا حكماً.

مضافاً إلى أن المؤرخين قد ذكروا أن الردّة حصلت في سائر الأمصار، دون مكة والمدينة والطائف^(٤)، مع أن ظاهر الأحاديث مشعر بقربهم من النبي ﷺ، إذ قال:

(١) مجمع الزوائد ١٠/٣٦٣-٣٦٥.

(٢) صحيح ابن خزيمة ٦/١.

(٣) الموطأ، ص ٢٣٦ كتاب الجهاد، باب الشهداء في سبيل الله، حديث ٩٩٥.

(٤) قال ابن الأثير في الكامل ٢/٣٤٢: وأما أخبار الردة، فإنه لما مات النبي ﷺ وسير أبو بكر جيش

(أصحابي) و (رجال منكم) و (إنهم مني).

ولو كانوا من سائر الأمصار ممن لم يصحب النبي ﷺ ولم يخاطبه لما حسن التعبير عنهم بذلك، بل إن هؤلاء كانوا بدرجة من القرب منه بحيث أشفق عليهم، وجادل عنهم، واعتذر عنهم بأنهم من صحابته الذين كان يعرفهم بالإيمان والاستقامة.

وبهذا يتضح أنه لا سبيل لاتباع من شئنا من صحابة النبي ﷺ في حال الاختلاف تعويلاً على الصحة الحاصلة في كل الأطراف.

وما يُستدل به على ذلك من الحديث المروي عن النبي ﷺ : (أصحابي كالنجوم، بأيهم اقتديتم اهتديتم) فلا يُعتمد عليه، لأن هذا الحديث كذبتّه الحوادث، وزيّفت محتواه الآيات والأحاديث الصحيحة الثابتة.

هذا مضافاً إلى ضعف سنده، إذ ضعفه ابن حجر العسقلاني وابن حزم والبخاري^(١) والبيهقي^(٢) وأحمد بن حنبل^(٣) والألباني^(٤) وغيرهم.

قال ابن حزم: فقد ظهر أن هذه الرواية لا تثبت أصلاً، بل لا شك أنها مكذوبة، لأن الله تعالى يقول في صفة نبيه ﷺ ﴿وما ينطق عن الهوى﴾ إن هو إلا وحي

أسامة ارتدت العرب، وتضمرت الأرض ناراً، وارتدت كل قبيلة عامة أو خاصة لإقريشاً وثقيفاً. وقال المسعودي في مروج الذهب ٢/ ٣١٠: ولما ارتدت العرب إلا أهل المسجدين ومن بينهما وأناساً من العرب قدم عدي بن حاتم بإبل الصدقة إلى أبي بكر (رض)... الخ.

وراجع كذلك تاريخ الطبري ٢/ ٤٧٥، وتاريخ ابن خلدون ٢/ ٦٥ وغيرهما لتجد صحة ما قلناه.

(١) قال ابن حجر في تلخيص الحبير ٤/ ١٩٠ بعد أن ضعف طرق هذا الحديث: قال أبو بكر البزار: هذا

الكلام لم يصح عن النبي ﷺ، وقال ابن حزم: هذا خبر مكذوب موضوع باطل.

(٢) المعتبر في تخريج أحاديث المنهاج والمختصر، ص ٨٣، قال: قال البيهقي: هذا الحديث مشهور المتن، وأسانيده ضعيفة، لم يثبت في هذا إسناد.

(٣) قال الألباني في سلسلة الأحاديث الضعيفة ١/ ٧٩: قال أحمد: (لا يصح هذا الحديث) كما في المنتخب

لابن قدامة (١٠/ ١٩٩/ ٢).

(٤) راجع الأحاديث رقم ٥٨-٦١ من سلسلة الأحاديث الضعيفة ١/ ٧٨-٨٤.

يوحى، فإذا كان كلامه عليه الصلاة والسلام في الشريعة حقاً كله وواجباً فهو من الله تعالى بلا شك، وما كان من الله تعالى فلا يختلف فيه، لقوله تعالى ﴿ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافاً كثيراً﴾، وقد نهى الله تعالى عن التفرق والاختلاف بقوله ﴿ولا تنازعوا﴾، فمن المحال أن يأمر رسوله ﷺ باتباع كل قائل من الصحابة رضي الله عنهم، وفيهم من يخلل الشيء، وغيره يجرّمه، ولو كان ذلك لكان بيع الخمر حلالاً اقتداءً بسمرة بن جندب، ولكان أكل البرد للصائم حلالاً اقتداءً بأبي طلحة، وحرماً اقتداءً بغيره، ولكان ترك الغسل من الإكسال^(١) واجباً اقتداءً بعلي وعثمان وطلحة وأبي أيوب وأبي بن كعب، وحرماً اقتداءً بعائشة وابن عمر، وكل هذا مروى عندنا بالأسانيد الصحيحة.

ثم أطال في بيان بعض الآراء التي صدرت من الصحابة وأخطأوا فيها السنة في حياة النبي ﷺ وبعد مماته، إلى أن قال: فكيف يجوز تقليد قوم يخطئون ويصيبون؟!^(٢)

وقال قبل ذلك: وإنما الفرض علينا اتباع ما جاء به القرآن عن الله تعالى الذي شرع لنا دين الإسلام، وما صح عن رسول الله ﷺ الذي أمره الله تعالى ببيان الدين... فصح أن الاختلاف لا يجب أن يراعى أصلاً، وقد غلط قوم فقالوا: (الاختلاف رحمة)، واحتجّوا بما روي عن النبي ﷺ: أصحابي كالنجم، بأهم اقتديتم اهتديتم. قال: وهذا الحديث باطل من طريق مكذوب من توليد أهل الفسق، لوجوه ضرورية: أحدها: أنه لم يصح من طريق النقل. والثاني: أنه ﷺ لم يجوز أن يأمر بما نهى عنه، وهو ﷺ قد أخبر أن أبا بكر قد أخطأ في تفسير فسرّه، وكذّب عمر في تأويل تأوله في الهجرة، وكذّب أسيد بن حضير في تأويل تأوله فيمن رجع عليه سيفه وهو يقاتل، وخطأ أبا السنابل في فتيا أفتى بها في العدة... فمن المحال الممتنع الذي لا يجوز البتة أن يكون ﷺ يأمر باتباع ما قد أخبر أنه خطأ، فيكون حينئذ أمر بالخطأ،

(١) يقال: أكسل الرجل في الجماع، إذا أولوج ذكره ولم يُنزل.

(٢) الإحكام في أصول الأحكام ٦/ ٢٤٤.

تعالى الله عن ذلك، وحاشا له صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من هذه الصفة، وهو عليه الصلاة والسلام قد أخبر أنهم يخطئون، فلا يجوز أن يأمرنا باتباع من يخطئ... والثالث: أن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لا يقول الباطل، بل قوله الحق، وتشبيهه المشبه للمصيبين بالنجوم تشبيه فاسد وكذب ظاهر، لأنه من أراد جهة مطلع الجدي، فأَمَّ جهة مطلع السرطان لم يهتد، بل قد ضلَّ ضلالاً بعيداً، وأخطأ خطأ فاحشاً، وليس كل النجوم يُهتدى بها في كل طريق، فبطل التشبيه المذكور، ووضح كذب ذلك الحديث وسقوطه وضوحاً ضرورياً^(١).

الأمر الثاني: أن العلامة المنصوبة للحق ينبغي أن تكون باقية بقاء التكليف، حتى يتأتى لكل مكلف أن يهتدي بها، ويستضيء بنورها.

وحينئذ فنصب صحابة النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ علامة للحق، مع أنه لا ينفع في حال اختلافهم كما أوضحنا، فإنه لا يصلح للعصور المتأخرة عن عصر الصحابة، أي بعد سنة مائة من الهجرة، فإن آخر الصحابة موتاً كما قيل هو أبو الطفيل عامر بن واثلة، الذي مات سنة مائة من الهجرة، وقيل: سنة سبع ومائة^(٢).

ومن الواضح أن بدء نشوء المذاهب والآراء، وتضارب المعتقدات بشكله الجلي قد حصل بعد هذا التاريخ، وعليه، فإن هذه العلامة قد فُقدت في الوقت الذي كان الناس في أمس الحاجة إليها.

وربما يُظن أن الصحابة وإن لم تبق جسامهم، إلا أن آثارهم وعلومهم التي يُنتفع بها في هذا السبيل باقية بقاء التكليف فيما صنَّف العلماء الأثبات من المصنفات المعتمدة المشهورة.

ولكن ذلك غير صحيح، لأن الصحابة كانوا في عصر لم تذهب فيه بالناس المذاهب، ولم تتسع العلوم وتُترجم الفنون، وإن كثيراً من الآراء الكلامية والمسائل الفقهية وغيرها مما لم يكن مطروقا في زمانهم، لم يُعرف لهم فيه قول مذكور، ولا رأي

(١) نقلناه بطوله عن سلسلة الأحاديث الضعيفة ١/ ٨٣-٨٤، وهو في الإحكام في أصول الأحكام ٥/ ٦٢.

(٢) البداية والنهاية ٩/ ١٩٩، العبر في خبر من غبر ١/ ٨٩.

مسطور، مع أن كثيراً مما نُقل إلينا من أقوالهم وآرائهم لم يكن خالصاً من الزيف والكذب، فما نُقل إلينا عنهم منه صدق، وأكثره كذب مفترى، ومعرفة الصدق من غيره متعذرة على العوام، بل هو موكول إلى العلماء الذين يميزون غثه من سمينه، وسليمه من سقيمه.

فرجعنا بالنتيجة إلى العلماء الذين يكون منهم في كل خَلْف عدول، ينفون عن هذا الدين تحريف الضالِّين، وانتحال المبطلين، وتأويل الجاهلين، وهو الذي تدل عليه الطائفة الثالثة الآتية.

الطائفة الثالثة:

هي التي أوضحت أن الفرقة الناجية هي الجماعة.

ومنها ما أخرجه أبو داود وغيره عن معاوية بن أبي سفيان، قال: ألا إن رسول الله ﷺ قام فينا فقال: ألا إن من قبلكم من أهل الكتاب افترقوا على ثنتين وسبعين ملّة، وإن هذه الملة ستفترق على ثلاث وسبعين: ثنتان وسبعون في النار، وواحدة في الجنة، وهي الجماعة^(١).

الجماعة:

قد ورد لفظ (الجماعة) في أحاديث كثيرة جداً في الصحاح والسنن والمسانيد وغيرها، تضمّنت الحث الشديد على لزوم الجماعة وعدم مفارقتها.

١ - منها ما أخرجه البخاري ومسلم وابن ماجه وغيرهم، عن حذيفة - في حديث - عن النبي ﷺ، قال: ... تلزم جماعة المسلمين وإمامهم^(٢).

٢ - ومنها ما أخرجه البخاري ومسلم والدارمي وأحمد بن حنبل وغيرهم، عن

(١) مرّ تخرجه في الفصل الثالث.

(٢) صحيح البخاري ٦٥/٩ كتاب الفتن، باب كيف الأمر إذا لم تكن جماعة، ٢٤٢/٤ كتاب المناقب، باب علامات النبوة في الإسلام. صحيح مسلم ١٤٧٥/٣ كتاب الإمارة، باب وجوب ملازمة جماعة المسلمين... (١٣). سنن ابن ماجه ١٣١٧/٢ كتاب الفتن، باب العزلة. صحيح سنن ابن ماجه ٣٦١/٢.

ابن عباس، عن النبي ﷺ، قال: من رأى من أميره شيئاً فكرهه فليصبر عليه، فإنه من فارق الجماعة شبراً فمات، إلامات ميتة جاهلية^(١).

٣ - ومنها ما أخرجه مسلم والنسائي وأحمد بن حنبل وغيرهم، عن أبي هريرة، عن النبي ﷺ أنه قال: من خرج من الطاعة وفارق الجماعة فمات، مات ميتة جاهلية^(٢).

٤ - ومنها ما أخرجه الترمذي وأحمد والحاكم وابن حبان والبيهقي وغيرهم، عن عمر: أن النبي ﷺ قال في حديث: عليكم بالجماعة، وإياكم والفرقة، فإن الشيطان مع الواحد، وهو مع الاثنين أبعد، من أراد بحبوحه الجنة فليلزم الجماعة... وقال: هذا حديث حسن صحيح^(٣).

٥ - وأخرج الترمذي عن ابن عباس، قال: قال رسول الله ﷺ: يد الله مع الجماعة.

وقال: هذا حديث حسن^(٤).

وأخرج النسائي عن عرفجة بن شريح الأشجعي، قال: رأيت النبي ﷺ على المنبر يخطب الناس، فقال: إنه سيكون بعدي هنات وهنات، فمن رأيتموه فارق

(١) صحيح البخاري ٥٩/٩، ٧٨ كتاب الأحكام، باب السمع والطاعة للإمام... (٤) صحيح مسلم ١٤٧٧/٣ كتاب الإمارة، باب (١٣). سنن الدارمي ٢/٢٤١. مسند أحمد بن حنبل ١/٢٧٥، ٢٩٧، ٣١٠.

(٢) صحيح مسلم ٣/١٤٧٦، ١٤٧٧. سنن النسائي ٧/١٢٣ كتاب تحريم الدم، باب التغليظ فيمن قاتل تحت راية عمية (٢٨). صحيح سنن النسائي ٣/٨٦١. سلسلة الأحاديث الصحيحة ٢/٧١٥. مسند أحمد بن حنبل ٢/٣٠٦، ٤٨٨.

(٣) سنن الترمذي ٤/٤٦٤-٤٦٥ كتاب الفتن، باب ما جاء في لزوم الجماعة. مسند أحمد بن حنبل ١/٢٦. المستدرک ١/١١٤ وقال: هذا حديث صحيح على شرط الشيخين. ووافقه الذهبي، ووافقه الألباني في سلسلة الأحاديث الصحيحة ١/٧١٧. السنن الكبرى ٧/٩١. الإحسان بترتيب صحيح ابن حبان ٧/٤٤٢، ٢٥٧.

(٤) سنن الترمذي ٤/٤٦٦. الجامع الصغير ٢/٧٦٠ ورمز له بالحسن كما في فيض القدير ٦/٤٦٠.

الجماعة، أو يريد أن يفرِّق أمر أمة محمد ﷺ كائناً من كان فاقتلوه، فإن يد الله على الجماعة، فإن الشيطان مع من فارق الجماعة يركض^(١).

وأخرج الهيثمي عن ابن عمر، عن النبي ﷺ: لن تجتمع أمّتي على ضلالة، فعليكم بالجماعة، فإن يد الله مع الجماعة.

وقال: رواه الطبراني بإسنادين، رجال أحدهما ثقات^(٢).

٦ - وأخرج الحاكم عن ابن عمر: أن رسول الله ﷺ قال: من خرج من الجماعة قيد شبر فقد خلع ربقة الإسلام من عنقه حتى يراجعه...

وقال: هذا حديث صحيح على شرط الشيخين. ووافقه الذهبي^(٣).

وأخرج أحمد بن حنبل عن أبي مالك الأشعري، قال: قال رسول الله ﷺ: وأنا أمركم بخمس: أمركم بالسمع والطاعة والجماعة والهجرة والجهاد في سبيل الله، فمن خرج من الجماعة قيد شبر فقد خلع ربقة الإسلام من رأسه^(٤).

قال الهيثمي: رواه أحمد، ورجاله ثقات^(٥).

معنى الجماعة:

وقع الخلاف في المراد بالجماعة على أقوال مختلفة، وقد أحسن الشاطبي جمعها، إذ قال:

اختلف الناس في معنى (الجماعة) المرادة في هذه الأحاديث على خمسة أقوال:
أحدها: أنها السواد الأعظم من أهل الإسلام، وهو الذي يدل عليه كلام أبي

(١) سنن النسائي ٩٢/٧ كتاب تحريم الدم، باب قتل من فارق الجماعة (٦). صحيح سنن النسائي ٣/٨٤٤.

صحيح الجامع الصغير ١/٦٧٧. الجامع الصغير ٢/٤٨ ورمز له بالصحة.

(٢) مجمع الزوائد ٥/٢١٨.

(٣) المستدرک ١/٧٧، ١١٧.

(٤) مسند أحمد بن حنبل ٥/٣٤٤.

(٥) مجمع الزوائد ٥/٢١٧.

غالب: إن السواد الأعظم هم الناجون من الغرق، فما كانوا عليه من أمر دينهم فهو الحق، ومن خالفهم مات ميتة جاهلية، سواء خالفهم في شيء من الشريعة، أو في إمامهم وسلطانهم، فهو مخالف للحق.

والثاني: أنها جماعة أئمة العلماء المجتهدين، فمن خرج مما عليه علماء الأمة مات ميتة جاهلية، لأن جماعة الله العلماء، جعلهم الله حجة على العالمين.

ومن قال بهذا: عبد الله بن المبارك وإسحاق بن راهويه وجماعة من السلف، وهو رأي الأصوليين.

والثالث: أن الجماعة هي الصحابة على الخصوص، فإنهم الذين أقاموا عماد الدين وأرسوا أوتاده، وهم الذين لا يجتمعون على ضلالة أصلاً، ومن قال بهذا عمر بن عبد العزيز.

فعلى هذا القول، فلفظ (الجماعة) مطابق للرواية الأخرى في قوله عليه الصلاة والسلام: (ما أنا عليه وأصحابي) فكأنه راجع إلى أن ما قالوه وما سنّوه وما اجتهدوا فيه حجة على الإطلاق.

والرابع: أن الجماعة هي جماعة أهل الإسلام، إذا أجمعوا على أمر فوجب على غيرهم من أهل الملل أتباعهم، وهم الذين ضمن الله لنيبته عليه الصلاة والسلام أن لا يجمعهم على ضلالة.

وكان هذا القول يرجع إلى الثاني، وهو يقتضي ما يقتضيه، أو يرجع إلى القول الأول، وهو الأظهر.

والخامس: ما اختاره الإمام الطبري، من أن الجماعة جماعة المسلمين إذا اجتمعوا على أمير، فأمر عليه الصلاة والسلام بلزومه، ونهى عن فراقه...^(١).

والحاصل أن هذه الأقوال الخمسة عند التأمل ترجع إلى قول واحد، وهو أن الجماعة هم أئمة العلماء المجتهدون.

قال الشاطبي: وذلك أن الجميع - أي أصحاب تلك الأقوال المذكورة - اتفقوا على اعتبار أهل العلم والاجتهاد، سواء ضموا إليهم العوام أم لا، فإن لم يُضموا إليهم فلا إشكال أن الاعتبار إنما هو بالسواد الأعظم من العلماء المعتر اجتهادهم، فمن شدَّ عنهم فمات فميته جاهلية، وإن ضموا إليهم العوام فبحكم التبج، لأنهم غير عارفين بالشرعية، فلا بد من رجوعهم في دينهم إلى العلماء، فإنهم لو تما لأوا على مخالفة العلماء فيما حدث لهم لكانوا هم الغالب والسواد الأعظم في ظاهر الأمر، لقلة العلماء وكثرة الجهال، فلا يقول أحد: (إن اتباع جماعة العوام هو المطلوب، وأن العلماء هم المفارقون للجماعة والمذمومون في الحديث)، بل الأمر بالعكس، وأن العلماء هم السواد الأعظم وإن قلوا، والعوام هم المفارقون للجماعة إن خالفوا، فإن وافقوا فهو الواجب عليهم^(١).

ولهذا قال الله تعالى في كتابه العزيز ﴿أفمن يهدي إلى الحق أحق أن يتبع آمن لا يهدي إلا أن يهدي فما لكم كيف تحكمون﴾^(٢)، فأوضح أن الأولى بالاتباع هم الذين يهدون للحق من علماء هذه الأمة، دون من لا يعرف وجه الحق ولا يهتدي إلى سبيله إلا بغيره من سواد الناس الذين لا تنفع كثرتهم، فإن الله أوضح أن اتباع الكثرة مورد للدمر في المهالك، فقال ﴿وإن تطع أكثر من في الأرض يضلوك عن سبيل الله إن يتبعون إلا الظن وإن هم إلا يخرصون﴾^(٣). ووصف أكثر الناس بأبجح الصفات، وذمهم بما لا مزيد عليه، فقال سبحانه ﴿إن الله لذو فضل على الناس ولكن أكثر الناس لا يشكرون﴾^(٤)، وقال ﴿إنه الحق من ربك ولكن أكثر الناس لا يؤمنون﴾^(٥)، وقال ﴿ولقد ضلَّ قبلهم أكثر الأولين﴾^(٦)، وقال ﴿ذلك الدين القيم ولكن أكثر الناس﴾

(١) المصدر السابق ٢/٢٦٦.

(٢) سورة يونس، الآية ٣٥.

(٣) سورة الأنعام، الآية ١١٦.

(٤) سورة البقرة، الآية ٢٤٣.

(٥) سورة هود، الآية ١٧.

(٦) سورة الصافات، الآية ٧١.

(١)، وقال ﴿ولقد صرّفناه بينهم ليذكروا فأبى أكثر الناس إلا كفوراً﴾ (٢).

إلى غير ذلك من الآيات الكثيرة الدالة على ما قلناه.

ولهذا تتابع العلماء في النص على أن المراد بالجماعة في الأحاديث المذكورة هم أهل العلم دون غيرهم، وإليك بعضاً مما وقفت عليه من كلماتهم:

١ - قال البخاري: باب قوله تعالى ﴿وكذلك جعلناكم أمة وسطاً﴾ وما أمر النبي ﷺ بلزوم الجماعة، وهم أهل العلم (٣).

وقال: باب قول النبي ﷺ: (لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين على الحق يقاتلون)، وهم أهل العلم (٤).

٢ - قال الترمذي: وتفسير الجماعة عند أهل العلم هم أهل الفقه والعلم والحديث.

قال: وسمعت الجارود بن معاذ يقول: سمعت علي بن الحسين يقول: سألت عبد الله بن المبارك: من الجماعة؟ فقال: أبو بكر وعمر. قيل له: قد مات أبو بكر وعمر. قال: فلان وفلان. قيل له: قد مات فلان وفلان. فقال عبد الله بن المبارك: أبو حمزة السكّري (٥) جماعة (٦).

(١) سورة الروم، الآية ٣٠.

(٢) سورة الفرقان، الآية ٥٠.

(٣) صحيح البخاري ١٣٢/٩ كتاب الاعتصام، باب (١٩).

(٤) المصدر السابق ١٢٤/٩ باب (١٠).

(٥) أبو حمزة السكّري هو محمد بن ميمون المروزي (ت ١٦٧ هـ)، أخرج حديثه الأئمة الستة، قال الذهبي في تذكرة الحفاظ ١/٢٣٠: (كان ثقة ثبتاً نبيلاً سمحاً جواداً حلوا الكلام، ولذلك لُقّب بالسكّري، وثقه يحيى بن معين). وقال ابن حجر في تهذيب التهذيب ٩/٤٢٩: قال الدوري: كان من ثقات الناس... وقال النسائي: ثقة... وقال العباس بن مصعب: كان مستجاب الدعوة... الخ، فقد بصره في آخر عمره، وذكره ابن القطان الفاسي فيمن اختلط.

(٦) سنن الترمذي ٤/٤٦٧ كتاب الفتن، باب ما جاء في لزوم الجماعة، رقم (٧).

٣- وقال الإمام البغوي في ذلك عين ما قاله الترمذي^(١).

٤- وأخرج أبو نعيم الأصفهاني عن إسحاق بن راهويه أنه قال: إن الله لم يكن ليجمع أمة محمد على ضلالة، فإذا رأيتم الاختلاف فعليكم بالسواد الأعظم. فقال رجل: يا أبا يعقوب، من السواد الأعظم؟ فقال: محمد بن أسلم^(٢) وأصحابه ومن تبعه. ثم قال: سألت رجل ابن المبارك، فقال: يا أبا عبد الرحمن، من السواد الأعظم؟ فقال: أبو حمزة السكّري. ثم قال إسحاق: في ذلك الزمان يعني أبا حمزة، وفي زماننا محمد بن أسلم ومن تبعه. ثم قال إسحاق: لو سألت الجهّال: من السواد الأعظم؟ قالوا: جماعة الناس. ولا يعلمون أن الجماعة عالم متمسك بأثر النبي ﷺ وطريقه، فمن كان معه وتبعه فهو الجماعة، ومن خالفه فيه ترك الجماعة^(٣).

٥- وقال الألباني بعد أن ذكر تفسير الترمذي للجماعة: وهذا المعنى مأخوذ من قول ابن مسعود رضي الله عنه: الجماعة ما وافق الحق وإن كنت وحدك. رواه ابن عساکر في تاريخ دمشق (١٣/٣٢٢/٢) بسند صحيح عنه^(٤).

وقال في موضع آخر: المراد بالجماعة من كان متمسكاً بالحق ولو كان فرداً واحداً كما ثبت عن ابن مسعود^(٥).

وبعد هذا البيان لا بد أن نلفت النظر إلى أن من علماء هذه الأمة من تسمى بالعلم وليس بعالم (فاقتبس جهائل من جهّال، وأضاليل من ضلال، ونصب للناس أشراكاً من حبائل غرور، وقول زور، قد حمل الكتاب على آرائه، وعطف الحق على

(١) شرح السنة ٢١٦/١ كتاب الإيثار، باب رد البدع والأهواء.

(٢) محمد بن أسلم: هو محمد بن أسلم بن سالم بن يزيد الكندي، أبو الحسن الطوسي (ت ٢٤٢ هـ) وصفه الذهبي في التذكرة ٢/٥٣٢ بالإمام الرباني شيخ المشرق. وقال: وكان من الثقات الحفاظ والأولياء الأبدال. وقال ابن خزيمة: إنه رباني هذه الأمة. له (المسند) و (الأربعون حديثاً) وغيرهما.

(٣) حلية الأولياء ٩/٢٣٨.

(٤) مشكاة المصابيح ١/٦١.

(٥) صحيح الجامع الصغير ١/٥١٦.

أهوائه، يؤمّن الناس من العظائم، ويهون كبير الجرائم، يقول: (أقف عن الشبهات) وفيها وقع، ويقول: (أعتزل البدع) وبينها اضطجع، فالصورة صورة إنسان، والقلب قلب حيوان، لا يعرف باب الهدى فيتبعه، ولا باب العمى فيصد عنه^(١).

ومنهم من كان منافقاً، استعان بعلمه لإضلال الناس عن دين الله، أو كان ممن تعلم العلم ليصيب به الدنيا، فهي أكبر همّه ومبتغاه.

وهؤلاء كلهم قد حدّر النبي ﷺ منهم، ونهى عن أتباعهم.

١ - فقد أخرج مسلم وغيره عن أبي هريرة، عن رسول الله ﷺ أنه قال: سيكون في آخر أمتي أناس يحدّثونكم ما لم تسمعوا أنتم ولا آباؤكم، فإياكم وإياهم^(٢). قال المناوي: (سيكون في آخر الزمان أناس من أمتي) يزعمون أنهم علماء (يحدّثونكم بما لم تسمعوا أنتم ولا آباؤكم) من الأحاديث الكاذبة، والأحكام المبتدعة، والعقائد الزائفة، (فإياكم وإياكم) أي احذروهم، وأبعدوا أنفسكم عنهم، وبعدوهم عن أنفسكم^(٣).

٢ - وأخرج أيضاً عن أبي هريرة، قال رسول الله ﷺ: يكون في آخر الزمان دجالون كذابون، يأتونكم من الأحاديث بما لم تسمعوا أنتم ولا آباؤكم، فإياكم وإياهم، لا يضلونكم ولا يفتنونكم^(٤).

٣ - وأخرج أحمد بن حنبل وغيره عن عمر بن الخطاب، عن رسول الله ﷺ أنه قال: إن أخوف ما أخاف على أمتي كل منافق عليم اللسان^(٥).

(١) من كلام لسيد البلغاء والمتكلمين أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام في نهج البلاغة، ص ١١٩، خطبة رقم ٨٧.

(٢) صحيح مسلم ١٢/١ المقدمة، باب النهي عن الرواية عن الضعفاء... (٤)، الجامع الصغير ٦٤/٢، صحيح الجامع الصغير ٦٨٤/١.

(٣) فيض القدير ٤/١٣٢.

(٤) صحيح مسلم ١٢/١.

(٥) مسند أحمد بن حنبل ١/٢٢، ٤٤.

وأخرج الهيثمي عن عمران بن حصين، قال، قال رسول الله ﷺ: إن أخوف ما أخاف عليكم بعدي كل منافق عليم اللسان^(١).

وعن عمر بن الخطاب قال: حذرنا رسول الله ﷺ كل منافق عليم اللسان^(٢). قال المناوي في الشرح: (إن أخوف ما أخاف على أمّتي... كل منافق عليم اللسان) أي كثير علم اللسان، جاهل القلب والعمل، اتخذ العلم حرفة يتأكل بها، ذا هيبة وأبهة يتعزّز ويتعاطم بها، يدعو الناس إلى الله، ويفر هو منه، ويستقبح عيب غيره، ويفعل ما هو أقبح منه، ويظهر للناس التنسك والتعبّد، ويسارر ربّه بالعظائم إذا خلا به، ذئب من الذئاب، لكن عليه ثياب، فهذا الذي حذر منه الشارع ﷺ هنا، حذراً من أن يخطفك بحلاوة لسانه، ويجرقك بنار عصيانه، ويقتلك بتتن باطنه وجنانه^(٣).

ولقد ظهر علماء الضلال والنفاق حتى فشا أمرهم، وعظم خطرهم، وقويت شوكتهم، وبدا أثرهم.

وليس ثمة دليل أدل على ابتلاء الأمة بهم من افتراق الناس بسببهم إلى فرق كثيرة، إذ أن الحق لم يكن ليخفي عليهم وأعلامه ظاهرة، ودلائله واضحة، وكتاب الله بين أيديهم، وكلام النبي ﷺ ملء أسماعهم، لأنهم لو خفي عليهم الحق وقد طلبوه، وبذلوا في ذلك جهدهم فأخطأوه، لكانوا فيما اختلفوا فيه معذورين ماجورين، ولكانت فرق الأمة التابعة لهم أولى بالعدر، وأجدر بالشواب والأجر، ولكن حليت الدنيا في أعينهم، وراقهم زيرجها، و﴿اشتروا بآيات الله ثمناً قليلاً فصدوا عن سبيله إنهم ساء ما كانوا يعملون﴾^(٤).

قال المناوي: وأكثر علماء الزمان ضربان: ضرب منكب على حُطام الدنيا، لا

(١) مجمع الزوائد ١/ ١٨٧، وقال: رواه الطبراني في الكبير والبخاري، ورجاله رجال الصحيح.

(٢) المصدر السابق ١/ ١٨٧ وقال: رواه البخاري وأحمد وأبو يعلى، ورجاله موقنون.

(٣) فيض القدير ٢/ ٤١٩.

(٤) سورة التوبة، الآية ٩.

يميل من جمعه، وتراه شَهْرَه ودهره يتقلَّب في ذلك كالهَمَج^(١) في المزابل، يطير من عَدْرَة إلى عذرة، وقد أخذت الدنيا بمجامع قلبه، ولزمه خوف الفقر وحبُّ الإكثار، واتَّخَذَ المال عَدَّةً للنوائب، لا يتنكَّر عليه تغلَّب الدنيا. وضرب هم أهل تصنَّع ودهاء وخداع وتزيّن للمخلوقين، وتملَّق للحكام شحاً على رئاستهم، يلتقطون الرُّخص، ويخادعون الله بالحيل، ديدنهم المداهنة، وساكن قلوبهم المنى، طمأنينتهم إلى الدنيا، وسكونهم إلى أسبابها، اشتغلوا بالأقوال عن الأفعال، وسيكافئهم الجبَّار المتعال^(٢).

والحاصل أن اتباع العلماء الرِّبَّانين هو العاصم من التردِّي في الهلكات، والمُنْجِي من الوقوع في الضلالات، وهم الجماعة الذين مَن تَمَسَّكَ بهم نجا، ومن تخلَّف عنهم ضلَّ وهوى.

وأما علماء السوء والضلال، الذين سلكوا سُبُل الباطل، واتَّبَعُوا الشيطان، فضلُّوا وأضلُّوا، وهلكوا وأهلكوا، فلا سبيل إلى اتباعهم والاقْتِدَاءَ بهم.

إلا أن الشَّان كل الشَّان في تشخيص هذين الصنفين والتمييز بينهما. وهذا لا يتم إلا بالرجوع إلى النصوص الثابتة في الكتاب والسنة، التي أوضحت هذا الأمر بما لا يدع مجالاً للشك والتشكيك، وكشفت أن الذين يلزم اتباعهم هم أئمة أهل البيت عليهم السلام، الذين أمر الله سبحانه بمودَّتهم، وأوجب الصلاة عليهم، وأذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيراً.

وهم الذين وصفهم النبي صلَّى اللهُ عليه وآله بأنهم أحد الثقلين اللذين لا يضل من تمسَّك بهم، وأخبر أن مثلهم في هذه الأمة كمثل سفينة نوح، التي من ركبها نجا، ومن تخلَّف عنها غرق وهلك.

ولهذا كله وغيره صحَّ قولنا بأنهم هم (الجماعة) دون غيرهم، لأنهم هم الذين اتفقت الأمة على حسن سيرتهم، وطيب سريرتهم، وصحة طريقتهم، ونجاتهم ونجاة

(١) الهَمَج: ذباب صغير يسقط على وجوه الغنم والحمير.

(٢) فيض القدير ٢/ ٤٢٠.

أتباعهم، واختلفت فيمن عداهم، وهذا كافٍ في ترجيحهم على غيرهم.

ويمكن أن يُستأنس لما قلناه - مضافاً إلى ما تقدم - بما أخرجه الزمخشري في الكشف، عن النبي ﷺ أنه قال: من مات على حب آل محمد مات شهيداً، ألا ومن مات على حب آل محمد مات مغفوراً له، ألا ومن مات على حب آل محمد مات تائباً، ألا ومن مات على حب آل محمد مات مؤمناً مستكمل الإيمان، ألا ومن مات على حب آل محمد بشره ملك الموت بالجنة ثم منكر ونكير، ألا ومن مات على حب آل محمد يُزَف إلى الجنة كما تزف العروس إلى بيت زوجها، ألا ومن مات على حب آل محمد فُتِح له في قبره بابان إلى الجنة، ألا ومن مات على حب آل محمد جعل الله قبره مزار ملائكة الرحمة، ألا ومن مات على حب آل محمد مات على السنة والجماعة، ألا ومن مات على بغض آل محمد جاء يوم القيامة مكتوب بين عينيه: (آيس من رحمة الله)، ألا ومن مات على بغض آل محمد مات كافراً، ألا ومن مات على بغض آل محمد لم يشم رائحة الجنة^(١).

بتقريب أن حب آل محمد ﷺ يستلزم أتباعهم والاقتراء بهم واقتفاء آثارهم، فمن أحبهم أتبعهم، فإن مات على ذلك فقد مات على السنة وعلى ما عليه الجماعة، لأنهم هم الجماعة العالمون بسنة النبي ﷺ العاملون بها.

(١) الكشف ٤٠٣/٣ في تفسير آية المودة، وهي الآية ٢٣ من سورة الشورى. قال ابن حجر في (الكافي الشاف في تخريج أحاديث الكشف)، ص ١٤٥، حديث ٣٥٤: الثعلبي [أخرج هذا الحديث في تفسيره بالسند الآتي] أخبرنا عبد الله بن محمد بن علي البلخي، حدثنا يعقوب بن يوسف بن إسحاق، حدثنا محمد بن أسلم، حدثنا يعلى بن عبيد الله، عن إسماعيل بن قيس، عن جرير - بطوله. وأثار الوضع عليه لائحة، ومحمد ومن فوقه أثبات، والآفة فيه ما بين الثعلبي ومحمد.

وأقول: ما بين الثعلبي ومحمد بن أسلم راويان: أحدهما عبد الله بن محمد البلخي، وثقه الخطيب في تاريخ بغداد ٩٤/١٠، قال: وكان أحد أئمة أهل الحديث حفظاً وإثباتاً وثقة وإكثاراً. والآخر هو يعقوب بن يوسف بن إسحاق، وثقه الخطيب أيضاً في تاريخه المذكور ٢٨٦/١٤. ولم أر من قدح فيهما فيما بين يدي من المصادر. وعليه فالحديث صحيح السند، غاية ما في الأمر أن ابن حجر لما استعظم أن يكون لأهل البيت ﷺ من الفضل ما نطق به الحديث، ولم يجد ما يضعف به الحديث، قال: وأثار الوضع عليه لائحة. والله المستعان.

الطائفة الرابعة:

وهي التي أوضحت أن الناجين هم أتباع أهل البيت عليهم السلام.

ولعل هذه الأحاديث سنداً، وأوضحها دلالة هو حديث الثقلين، وهو يحتاج

إلى البحث فيه من عدة جهات:

١. طُرق حديث الثقلين:

ورد هذا الحديث بطرق كثيرة معتبرة، منها:

١ - ما أخرجه الترمذي عن جابر بن عبد الله، قال: رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم في حَجَّتِه يوم عرفة، وهو على ناقته القصواء يخطب، فسمعتة يقول: يا أيها الناس، إني قد تركت فيكم ما إن أخذتم به لن تضلوا: كتاب الله وعترتي أهل بيتي.

قال: وفي الباب عن أبي ذر، وأبي سعيد، وزيد بن أرقم وحذيفة بن أسيد.

وقال: هذا حديث حسن غريب من هذا الوجه^(١).

وقال الألباني: الحديث صحيح^(٢).

وأخرج أيضاً عن زيد بن أرقم، وأبي سعيد قالاً: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: إني تارك فيكم ما إن تمسكتم به لن تضلوا بعدي، أحدهما أعظم من الآخر، كتاب الله حبل ممدود من السماء إلى الأرض، وعترتي أهل بيتي، ولن يتفرقا حتى يردا عليّ الحوض، فانظروا كيف تخلفوني فيهما.

وقال: هذا حديث حسن غريب^(٣).

وقال الألباني: صحيح^(٤).

٢ - وأخرج الحاكم النيسابوري وغيره عن زيد بن أرقم رضي الله عنه، قال: لما

(١) سنن الترمذي ٥/٦٦٢ كتاب المناقب، باب مناقب أهل بيت النبي (٣٢).

(٢) سلسلة الأحاديث الصحيحة ٤/٣٥٦.

(٣) سنن الترمذي ٥/٦٦٣.

(٤) صحيح الجامع الصغير ١/٤٨٢، حديث رقم ٢٤٥٨.

رجع رسول الله ﷺ من حجة الوداع، ونزل غدِير خَم، أمر بدوحات فُقَمَمَن^(١)، فقال: كَأَنِّي قَدْ دُعِيت فَأَجِبْتُ، إِنِّي قَدْ تَرَكْتُ فِيكُمْ الثَّقَلَيْنِ، أَحَدُهُمَا أَكْبَرُ مِنَ الْآخَرِ: كِتَابُ اللَّهِ وَعَترتي، فَانظُرُوا كَيْفَ تَخْلِفُونِي فِيهِمَا، فَإِنَّهُمَا لَنْ يَتَفَرَّقَا حَتَّى يَرِدَا عَلَيَّ الحَوْضَ...

قال: هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه بطوله، شاهده حديث سلمة بن كهيل، عن أبي الطفيل، أيضاً صحيح على شرطهما. ووافقه الذهبي^(٢).

وأخرج أيضاً عن زيد بن أرقم رضي الله عنه، قال: نزل رسول الله ﷺ بين مكة والمدينة عند شجرات خمس دوحات عظام، فكنس الناس ما تحت الشجرات، ثم راح رسول الله ﷺ عشية فصلّى، ثم قام خطيباً، فحمد الله وأثنى عليه، وذكر ووعظ ما شاء الله أن يقول، ثم قال: أيها الناس، إنّي تارك فيكم أمرين لن تضلّوا إن اتبعتموهما، وهما كتاب الله وأهل بيتي عترتي...^(٣)

وأخرج عنه أيضاً، قال: قال رسول الله ﷺ: إنّي تارك فيكم الثقلين: كتاب الله، وعترتي أهل بيتي، وإنهما لن يتفرّقا حتى يردا عليّ الحوض. قال: هذا حديث صحيح الإسناد على شرط الشيخين، ولم يخرجاه. ووافقه الذهبي^(٤).

٣- وأخرج أحمد بن حنبل في المسند وغيره عن زيد بن ثابت قال: قال رسول الله ﷺ: إنّي تارك فيكم خليفتين: كتاب الله حبل ممدود ما بين السماء والأرض، أو ما بين السماء إلى الأرض، وعترتي أهل بيتي، وإنهما لن يتفرّقا حتى يردا عليّ الحوض^(٥).

(١) الدوحات: الأشجار العظيمة. وقممن: أي كُنس ما تحتهن.

(٢) المستدرک علی الصحیحین ٣/١٠٩.

(٣) المصدر السابق ٣/١٠٩-١١٠.

(٤) المصدر السابق ٣/١٤٨.

(٥) مسند أحمد بن حنبل ٥/١٨١-١٨٩.

قال الهيثمي: رواه أحمد وإسناده جيد^(١).

وقال الألباني: صحيح^(٢). ورمز له السيوطي بالصحة^(٣).

وأخرج أحمد بن حنبل وغيره عن أبي سعيد الخدري، قال: قال رسول الله ﷺ: إني تركت فيكم ما إن أخذتم به لن تضلوا بعدي الثقيلين، أحدهما أكبر من الآخر، كتاب الله حبل ممدود من السماء إلى الأرض، وعترتي أهل بيتي، ألا وإنهما لن يفترقا حتى يردا عليَّ الحوض^(٤).

وأخرج أحمد وابن سعد وغيرهما عن أبي سعيد الخدري، عن النبي ﷺ قال: إني أوشك أن أدعى فأجيب، وإني تارك فيكم الثقيلين: كتاب الله عز وجل وعترتي، كتاب الله حبل ممدود من السماء إلى الأرض، وعترتي أهل بيتي، وإن اللطيف الخبير أخبرني أنهما لن يفترقا حتى يردا عليَّ الحوض، فانظروني بم تخلفوني فيهما^(٥).

قال الألباني: وهو إسناده حسن في الشواهد^(٦).

٤ - وأخرج هذا الحديث بنحو ما تقدم الهيثمي في مجمع الزوائد^(٧)، والسيوطي في الجامع الصغير^(٨)، والدر المنثور^(٩)، وإحياء الميت^(١٠)، وأخرجه ابن أبي عاصم في كتاب السنّة^(١١)، وابن حجر العسقلاني في المطالب العالية^(١١)،

(١) مجمع الزوائد ٩/١٦٢.

(٢) صحيح الجامع الصغير ١/٤٨٢ حديث رقم ٢٤٥٧.

(٣) الجامع الصغير ١/٤٠٢ حديث رقم ٢٦٣١.

(٤) مسند أحمد بن حنبل ٣/٥٩. راجع ص ١٤، ١٧، ٢٦. كتاب السنّة، ص ٦٣٠.

(٥) مسند أحمد بن حنبل ٣/١٧. الطبقات الكبرى ٢/١٩٤.

(٦) سلسلة الأحاديث الصحيحة ٤/٣٥٧.

(٧) مجمع الزوائد ٩/١٦٢ وما بعدها.

(٨) الجامع الصغير ١/٤٠٢.

(٩) الدر المنثور ٧/٣٤٩ في تفسير الآية ٢٣ من سورة الشورى.

(١٠) إحياء الميت، ص ٢٨، ٢٩، ٣٩، ٤٠، ٤٨، ٥٥، ٥٦.

(١١) كتاب السنّة، ص ٦٢٩.

والخطيب التبريزي في مشكاة المصابيح^(٢)، والمتقي الهندي في كنز العمال^(٣)، وأبو نعيم الأصفهاني في حلية الأولياء^(٤)، والبغوي في شرح السنة^(٥)، والنسائي في خصائص أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام^(٦)، وابن كثير الدمشقي في البداية والنهاية^(٧)، والألباني في سلسلة الأحاديث الصحيحة^(٨)، وصحيح الجامع الصغير^(٩)، وغيرهم.

٢. صحة الحديث:

صحَّح هذا الحديث جماعة من الأعلام، كالحاكم النيسابوري في المستدرک، والذهبي في التلخيص، والسيوطي في الجامع الصغير، والألباني في سلسلة الأحاديث الصحيحة وصحيح الجامع الصغير، وقد تقدّم ذلك كله.

كما صحَّحه ابن حجر الهيتمي في الصواعق المحرقة، وابن حجر العسقلاني في المطالب العالية^(١٠)، والهيثمي في مجمع الزوائد، وابن كثير الدمشقي في البداية والنهاية وتفسير القرآن العظيم، والمناوي في فيض القدير وغيرهم.

قال ابن حجر الهيتمي: ومن ثمَّ صحَّح أنه صلى الله عليه وسلم قال: إني تارك فيكم ما إن تمسكنم به لن تظلّوا: كتاب الله وعترتي^(١١).

(١) المطالب العالية ٤/ ٦٥.

(٢) مشكاة المصابيح ٣/ ١٧٣٥.

(٣) كنز العمال ١/ ١٧٢ وما بعدها.

(٤) حلية الأولياء ١/ ٣٥٥.

(٥) شرح السنة ١٤/ ١١٩.

(٦) خصائص أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام، ص ٩٦.

(٧) البداية والنهاية ٥/ ١٨٤.

(٨) سلسلة الأحاديث الصحيحة ٤/ ٣٥٥ حديث رقم ١٧٦١.

(٩) صحيح الجامع الصغير ١/ ٤٨٢ حديث رقم ٢٤٥٧، ٢٤٥٨.

(١٠) المطالب العالية ٤/ ٦٥.

(١١) الصواعق المحرقة، ص ١٤٥.

وقال: وقد جاءت الوصية الصريحة - أي بأهل البيت - في عدة أحاديث، منها حديث: (إني تارك فيكم ما إن تمسكتم به لن تظلوا بعدي: الثقلين، أحدهما أعظم من الآخر، كتاب الله حبل ممدود من السماء إلى الأرض، وعترتي أهل بيتي، ولن يتفرقا حتى يردا عليّ الحوض، فانظروا كيف تخلفوني فيهما). قال الترمذي: حسن غريب، وأخرجه آخرون، ولم يُصَبِّب ابن الجوزي في إيرادِهِ في العِللِ المتناهية...

إلى أن قال: وفي رواية صحيحة: (كأنّي قد دُعيت فأجبت، إني قد تركت فيكم الثقلين، أحدهما أكد من الآخر: كتاب الله عزّ وجل، وعترتي، فانظروا كيف تخلفوني فيهما، فإنهما لن يتفرقا حتى يردا عليّ الحوض)... ولهذا الحديث طرق كثيرة عن بضع وعشرين صحابياً، لا حاجة لنا ببسطها^(١).

وقال في موضع آخر: والحاصل أن الحث وقع على التمسك بالكتاب وبالسنّة وبالعلماء بهما من أهل البيت، ويستفاد من مجموع ذلك بقاء الأمور الثلاثة إلى قيام الساعة، ثم اعلم أن لحديث التمسك بذلك طرقاً كثيرة وردت عن نيف وعشرين صحابياً، ومّرّ له طرق مبسوطة في حادي عشر الشبه^(٢).

وقال الهيثمي في مجمع الزوائد: وعن زيد بن ثابت، عن رسول الله ﷺ قال: (إني تركت فيكم خليفتين: كتاب الله وأهل بيتي، وإنهما لن يتفرقا حتى يردا عليّ الحوض). رواه الطبراني في الكبير، ورجاله ثقات^(٣).

وقال: عن زيد بن ثابت، قال: قال رسول الله ﷺ: (إني تارك فيكم خليفتين: كتاب الله عزّ وجل، حبل ممدود ما بين السماء والأرض، أو ما بين السماء إلى الأرض، وعترتي أهل بيتي، وإنهما لن يتفرقا حتى يردا عليّ الحوض). رواه أحمد وإسناده جيّد^(٤).

(١) المصدر السابق، ص ٢٢٨.

(٢) المصدر السابق، ص ١٥٠.

(٣) مجمع الزوائد ١/ ١٧٠.

(٤) المصدر السابق ٩/ ١٦٢.

وقال المناوي: قال الهيثمي: (رجال موثقون). ورواه أبو يعلى بسند لا بأس به، والحافظ عبد العزيز بن الأخضر، وزاد أنه قال: (في حجة الوداع). ووهم من زعم وضعه كابن الجوزي. قال السهودي: وفي الباب ما يزيد على عشرين من الصحابة^(١).

وقال ابن كثير الدمشقي: وقد روى النسائي في سننه... عن زيد بن أرقم، قال: لما رجع رسول الله ﷺ من حجة الوداع ونزل غدیر خم، أمر بدوحات فقممن، ثم قال: كأني قد دُعيت فأجبت، إني قد تركت فيكم الثقلين: كتاب الله وعترتي أهل بيتي، فانظروا كيف تحلفوني فيها، فإنهما لن يفترقا حتى يردا عليّ الحوض.

ثم قال: تفرّد به النسائي من هذا الوجه. قال شيخنا أبو عبد الله الذهبي: وهذا حديث صحيح^(٢).

وقال في تفسيره: وقد ثبت في الصحيح أن رسول الله ﷺ قال في خطبته بغدير خم: إني تارك فيكم الثقلين: كتاب الله وعترتي، وإنهما لن يفترقا حتى يردا عليّ الحوض^(٣).

وقد ذكر الألباني هذا الحديث ضمن أحاديث سلسلته الصحيحة، وخرّج بعض طرقه وأسانيده الصحيحة والحسنة، وذكر بعض شواهد وحسنها، ووصف من ضعّف هذا الحديث بأنه حديث عهد بصناعة الحديث، وأنه قصر تقصيراً فاحشاً في تحقيق الكلام عليه، وأنه فاته كثير من الطرق والأسانيد التي هي بذاتها صحيحة أو حسنة، فضلاً عن الشواهد والمتابعات، وأنه لم يلتفت إلى أقوال المصحّحين للحديث من العلماء، إذ اقتصر في تخرجه على بعض المصادر المطبوعة المتداولة دون غيرها، فوقع في هذا الخطأ الفادح من تضعيف الحديث الصحيح^(٤).

(١) فيض القدير ٣/ ١٥.

(٢) البداية والنهاية ٥/ ١٨٤.

(٣) تفسير القرآن العظيم ٤/ ١١٣.

(٤) راجع سلسلة الأحاديث الصحيحة ٤/ ٣٥٥، حديث رقم ١٧٦١.

هذا وقد أعرضنا عن الروايات الأخر، التي أخرجها مسلم في الصحيح^(١)، وأحمد بن حنبل في المسند^(٢) وغيرهما في غيرهما، والتي ناقش فيها بعضهم بأن ظاهرها لا يفيد إلا الحث على مراعاة حقوق أهل البيت، من محبتهم وتوقيرهم وصلتهم وغيرها، دون التمسك بهم للهداية للحق، والنجاة من الضلال، وفيما أوردناه من الأخبار كفاية بحمد الله ومنه.

٣. دلالة الحديث:

قال المناوي في شرح الحديث: يعني إن ائتمرت بأوامر كتابه، وانتهيتم بهدي عترتي، واقتديتم بسيرتهم، فلن تزلوا. قال القرطبي: وهذه الوصية وهذا التأكيد العظيم يقتضي وجوب احترام أهله وإبرارهم وتوقيرهم ومحبتهم وجوب الفرائض المؤكدة التي لا عذر لأحد في التخلف عنها، هذا مع علم من خصوصيتهم بالنبي ﷺ، وبأنهم جزء منه، فإنهم أصوله التي نشأ عنها، وفروعه التي نشأوا عنه، كما قال: (فاطمة بضعة مني)، ومع ذلك فقابل بنو أمية عظيم هذه الحقوق المخالفة والعقوق، فسفكوا من أهل البيت دماءهم، وسبوا نساءهم، وأسروا صغارهم، وخرّبوا ديارهم، وجحدوا شرفهم وفضلهم، واستباحوا سبهم ولعنهم، فخالفوا المصطفى ﷺ في وصيته، وقابلوه بنقيض مقصوده وأمنيته، فوا خجلهم إذا وقفوا بين يديه، وبافضيحتهم يوم يعرضون عليه.

وقال في شرح قوله ﷺ: (وإنهما لن يفترقا حتى يردا عليّ الحوض): وفي هذا مع قوله أولاً: (إني تارك فيكم) تلويح بل تصريح بأنهما - أي الكتاب والعترة -

(١) أخرج مسلم في الصحيح ٤/١٨٧٣ كتاب الفضائل، باب من فضائل علي بن أبي طالب رضي الله عنه، عن زيد بن أرقم، قال: قام رسول الله ﷺ يوماً فبينا خطيباً بقاء يُدعى حُجَّاً بين مكة والمدينة، فحمد الله وأثنى عليه ووعظ وذكر، ثم قال: ألا أيها الناس، فإنما أنا بشر، يوشك أن يأتي رسول ربي فأجيب، وأنا تارك فيكم ثقلين: أولهما كتاب الله فيه الهدى والنور، فخذوا بكتاب الله واستمسكوا به. فحث على كتاب الله ورغب فيه، ثم قال: وأهل بيتي، أذكركم الله في أهل بيتي...

(٢) مسند أحمد بن حنبل ٤/٣٦٦-٣٦٧.

كتوأمين خلفهم ووصى أمته بحسن معاملتهما، وإيثار حقهما على أنفسهم، واستمساك
بهما في الدين، أما الكتاب فلأنه معدن العلوم الدينية والأسرار والحكم وكنوز الحقائق
وخفايا الدقائق. وأما العترة فلأن العنصر إذا طاب أعان على فهم الدين، فطيبُ
العنصر يؤدي إلى حسن الأخلاق، محاسنها تؤدي إلى صفاء القلب ونزاهته وطهارته.
قال الحكيم: والمراد بعترته هنا العلماء العاملون، إذ هم الذين لا يفارقون القرآن، أما
نحو جاهل وعالم مخلط فأجنبي عن المقام...^(١).

وقال ابن حجر الهيتمي: سمى رسول الله ﷺ القرآن وعترته - وهي الأهل
والنسل والرهط الأذنون - ثقلين، لأن الثقل كل نفيس خطير مصون، وهذان كذلك،
إذ كل منهما معدن العلوم اللدنية، والأسرار والحكم العقلية، والأحكام الشرعية. ولذا
حث ﷺ على الاقتداء والتمسك بهم والتعلم منهم، وقال: (الحمد لله الذي جعل
فينا الحكمة أهل البيت). وقيل: سُميا ثقلين لثقل وجوب رعاية حقوقهما. ثم الذين
وقع الحث عليهم منهم إنما هم العارفون بكتاب الله وسنة رسوله، إذ هم الذين لا
يفارقون الكتاب إلى الحوض، ويؤيده الخبر السابق: (ولا تعلموهم فإنهم أعلم
منكم)، وتميَّزوا بذلك عن بقية العلماء، لأن الله أذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيراً،
وشرفهم بالكرامات الباهرة، والمزايا المتكاثرة، وقد مرَّ بعضها...

إلى أن قال: ثم أحق من يُتمسك به منهم إمامهم وعالمهم علي بن أبي طالب كرم
الله وجهه، لما قدمناه من مزيد علمه ودقائق مستنبطاته. ومن ثم قال أبو بكر: (عليُّ
عترة رسول الله ﷺ)، أي الذين حث على التمسك بهم، فخصَّه لما قلنا، وكذلك
خصَّه ﷺ بها مرَّ يوم غدیر خم^(٢).

زيادة إيضاح:

قوله ﷺ: (وإنها لن يفترقا حتى يردا عليَّ الحوض) دالٌّ على أن العترة لا

(١) فيض القدير ٣/ ١٤.

(٢) الصواعق المحرقة، ص ١٥١.

يفترقون عن كتاب الله العزيز من جهات ثلاث:

الجهة الأولى: أنهم لا يفارقون القرآن في أقوالهم. فقولهم موافق لمعانيه الظاهرة والباطنة، لأنهم علموا محكمه ومتشابهه، وناسخه ومنسوخه، وخاصّة وعامّه، ومقيّد ومطلقه، ومبيّن ومجمله، فردّوا المتشابه منه إلى المحكم، والمنسوخ إلى الناسخ، والعام إلى الخاص، والمطلق إلى المقيّد، والمجمل إلى المبيّن.

ولولا ذلك لوقعوا في مخالفة الكتاب العزيز وهم لا يعلمون، فحصل بينهما الافتراق المنفي في هذا الحديث، ووقع التضارب بين علامتي الحق المنصوبتين اللتين يُفترض فيهما أن تكونا معاً، أو تكون كل واحدة منهما مرشدة إلى الحق ودالة عليه.

الجهة الثانية: أنهم لا يفارقون القرآن في أفعالهم، فمضافاً إلى أنهم علموا معاني القرآن وفهموا مراداته فقد عملوا بما فيه في جميع شؤونهم وأحوالهم، فكان فعلهم هو القرآن لا يجيدون عنه ولا يميلون إلى سواه، ولا يقع منهم ما يخالفه لا عن عمد، ولا عن جهل ولا عن سهو وغفلة. ولولا ذلك لافترقوا عنه في بعض أحوالهم، وهذا مانع من إطلاق القول بأنهم لا يفترقون عنه، ولا يفترق عنهم.

وإلى هذين النحويين من الالتئام بين الكتاب والعترة كانت الإشارة في قول النبي ﷺ: (علي مع القرآن والقرآن مع علي، لن يتفرقا حتى يردا عليّ الحوض)، وقوله: (اللهم أدر الحق مع عليّ حيث دار)^(١).

الجهة الثالثة: أنهم لا يفارقون القرآن في الوجود، فلا بد من وجود من يكون أهلاً للتمسك به من أهل البيت ﷺ في كل زمن إلى قيام الساعة، حتى يتوجه الحث المذكور على التمسك بهم.

قال ابن حجر: والحاصل أن الحث وقع على التمسك بالكتاب والسنة وبالعلماء بها من أهل البيت، ويستفاد من مجموع ذلك بقاء الأمور الثلاثة إلى قيام الساعة^(٢).

(١) سيأتي تخريجها في الفصل الثامن في فضائل أمير المؤمنين ﷺ.

(٢) الصواعق المحرقة، ص ١٥٠.

وقال: وفي أحاديث الحث على التمسك بأهل البيت إشارة إلى عدم انقطاع متأهل منهم للتمسك به إلى يوم القيامة، كما أن الكتاب العزيز كذلك، ولهذا كانوا أماناً لأهل الأرض كما يأتي، ويشهد لذلك الخبر السابق: (في كل خَلْفٍ من أُمَّتِي عدول من أهل بيتي...) إلى آخره^(١).

وقال المناوي: قال الشريف: هذا الخبر يُفهم وجود من يكون أهلاً للتمسك به من أهل البيت والعترة الطاهرة في كل زمن إلى قيام الساعة حتى يتوجه الحث المذكور إلى التمسك بهم، كما أن الكتاب كذلك، فلذلك كانوا أماناً لأهل الأرض، فإذا ذهبوا ذهب أهل الأرض^(٢).

وأما بيان المراد بأهل البيت فسيأتي قريباً بَمَنْ اللهُ وعونه.

أحاديث أخر دالة على اتباع أهل البيت:

ثمة أحاديث أخر تدل على لزوم اتباع أهل البيت عليهم السلام، وضرورة الاقتداء بهم والتمسك بحبلهم، نذكر جملة منها تكملة للبحث وإتماماً للفائدة. منها:

١ - ما أخرجه الحاكم وغيره عن ابن عباس رضي الله عنهما، قال: قال رسول الله صلوات الله عليه وآله: النجوم أمان لأهل الأرض من الغرق، وأهل بيتي أمان لأمتي من الاختلاف، فإذا خالفتها قبيلة من العرب اختلفوا، فصاروا حزب إبليس.

قال: هذا حديث صحيح الإسناد، ولم يخرجاه^(٣).

أقول: إن الأمة إذا اتبعتهم واقتفت آثارهم واقتدت بهم لا تنشعب إلى فرق، ولا تنقسم إلى طوائف، فيهم تجتمع الكلمة وتأتلف الفرقة. وحيث أنهم مع الحق، والحق معهم وفيهم، يدور معهم حيثما داروا، فمن خالفهم خالفه، ومن نابذهم نابذه،

(١) المصدر السابق، ص ١٥١. وتكملة الحديث كما في ص ١٥٠: (ينفون عن هذا الدين تحريف الضالين، وانتحال المتحلين، وتأويل الجاهلين، ألا وإن أئمتكم وفدكم إلى الله عز وجل، فانظروا من توفدون).

(٢) فيض القدير ٣/ ١٤.

(٣) المستدرک ٣/ ١٤٩.

فصار من حزب الشيطان ﴿ألا إن حزب الشيطان هم الخاسرون﴾.

وفي حديث آخر: النجوم أمان لأهل السماء، فإن طُمست أتى السماء ما يوعدون، وأنا أمان لأصحابي، فإذا قبضت أتى أصحابي ما يوعدون، وأهل بيتي أمان لأمتي فإذا ذهب أهل بيتي أتى أمتي ما يوعدون^(١).

وأخرج السيوطي في الجامع الصغير ورمز له بالحسن وغيره، عن سلمة بن الأكوع، أنه عَلَيْهِ السَّلَامُ قال: النجوم أمان لأهل السماء، وأهل بيتي أمان لأمتي^(٢).
قال المناوي: رواه عنه أيضاً الطبراني ومسدد وابن أبي شيبة بأسانيد ضعيفة، لكن تعدد طرقه ربما يصيرُه حسناً^(٣).

٢ - وأخرج الحاكم في المستدرك وغيره، عن أبي ذر، قال: سمعت النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ يقول: مثل أهل بيتي فيكم مثل سفينة نوح، من ركبها نجا، ومن تخلف عنها غرق.
وقال: هذا حديث صحيح على شرط مسلم، ولم يخرجاه^(٤).
وأخرجه السيوطي في الجامع الصغير، ورمز له بالحسن^(٥).

قال المناوي: (مثل أهل بيتي) زاد في رواية: فيكم (مثل سفينة نوح) في رواية: في قومه، (من ركبها نجا) أي خلص من الأمور المستعصبة، (ومن تخلف عنها غرق) وفي رواية: هلك. ومن ثم ذهب قوم إلى أن قطب الأولياء في كل زمن لا يكون إلا منهم. ووجه تشبيههم بالسفينة أن من أحبهم وعظّمهم شكراً لنعمة جدّهم، وأخذ بهدي علمائهم، نجا من ظلمة المخالفات، ومن تخلف عن ذلك غرق في بحر كفر

(١) المصدر السابق ٣/ ٤٥٧.

(٢) الجامع الصغير ٢/ ٦٨٠. مجمع الزوائد ٩/ ١٧٤. المطالب العالية ٤/ ٧٤، ٣٤٧. إحياء الميت، ص ٣٧، ٤٥. الخصائص الكبرى ٢/ ٢٦٦. فضائل الصحابة ٢/ ٦٧١.

(٣) فيض القدير ٦/ ٢٩٨.

(٤) المستدرك ٢/ ٣٤٣، ٣/ ١٥٠. مجمع الزوائد ٩/ ١٦٨. مشكاة المصابيح ٣/ ١٧٤٢. إحياء الميت، ص ٤١-٤٢. الخصائص الكبرى ٢/ ٢٦٦. حلية الأولياء ٤/ ٣٠٦. تاريخ بغداد ١٢/ ٩١.

(٥) الجامع الصغير ٢/ ٥٣٣، حديث ٨١٦٢.

دليل المتحيرين ١٦٨

النعم، وهلك في معادن الطغيان^(١).

(١) فيض القدير ٥/٥١٧.

الفصل السابع

أهل البيت عليهم السلام

دليل المتحيرين ١٧٠

اختلاف الأقوال في المراد بأهل البيت عليهم السلام:

لقد اختلف القوم في المراد بأهل البيت عليهم السلام على أقوال خمسة:

الأول: أنهم نساء النبي صلى الله عليه وآله خاصة، لا رجل معهن، وهذا القول منسوب إلى ابن عباس وعكرمة وعطاء.

الثاني: هم علي وفاطمة والحسن والحسين عليهم السلام خاصة.

الثالث: هم علي وفاطمة والحسن والحسين والأئمة من ذرية الحسين عليهم السلام.

الرابع: هم عموم أزواج النبي صلى الله عليه وآله وأولاده، ومنهم علي وفاطمة والحسن والحسين عليهم السلام.

الخامس: هم بنو هاشم، أي آل علي وآل العباس وآل عقيل وآل جعفر.

أما القول الأول فلا يصار إليه ولا يؤخذ به، وذلك لما يلي:

أولاً: مخالفته للأحاديث الصحيحة الدالة على أن علياً وفاطمة والحسن

والحسين عليهم السلام هم أهل البيت أو منهم، ومن ذلك:

١ - ما أخرجه مسلم في الصحيح عن سعد بن أبي وقاص - في حديث طويل -

قال: ولما نزلت هذه الآية ﴿فقل تعالوا ندع أبناءنا وأبناءكم﴾^(١) دعا رسول الله ﷺ علياً وفاطمة وحسناً وحسيناً، فقال: اللهم هؤلاء أهلي^(٢).

وأخرج فيه أيضاً عن عائشة، قالت: خرج النبي ﷺ وعليه مرط مَرَحَل^(٣) من شعر أسود، فجاء الحسن بن علي فأدخله، ثم جاء الحسين فدخل معه، ثم جاءت فاطمة فأدخلها، ثم جاء علي فأدخله، ثم قال: ﴿إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيراً﴾^(٤).

٢- وأخرج الترمذي عن سعد بن أبي وقاص حديثه المتقدم مختصراً، وقال: هذا حديث حسن غريب صحيح^(٥).

وعن أنس بن مالك: أن رسول الله ﷺ كان يمر بباب فاطمة ستة أشهر إذا خرج إلى صلاة الفجر يقول: الصلاة يا أهل البيت ﴿إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيراً﴾.

وقال: هذا حديث حسن غريب من هذا الوجه^(٦).

وأخرجه الحاكم عنه بلفظه وقال: هذا حديث صحيح على شرط الشيخين، ولم يخرجاه^(٧).

٣- وأخرج الحاكم عن عامر بن سعد، قال: قال معاوية لسعد بن أبي وقاص رضي الله عنه: ما يمنعك أن تسب ابن أبي طالب؟! قال: فقال: لا أسب ما ذكرت له ثلاثاً قالهن له رسول الله ﷺ، لأن تكون لي واحدة منهن أحب إليّ من حمر النعم.

(١) سورة عمران، الآية ٦١.

(٢) صحيح مسلم ١٨٧١/٤ كتاب فضائل الصحابة، باب فضائل علي بن أبي طالب رضي الله عنه.

(٣) المرط: كساء من صوف، وربما كان من خز أو غيره. والمرحل: الذي نُقش فيه تصاوير الرجال.

(٤) صحيح مسلم ١٨٨٣/٤ كتاب فضائل الصحابة، باب فضائل أهل بيت النبي ﷺ.

(٥) سنن الترمذي ٢٢٥/٥ كتاب التفسير، باب ومن سورة آل عمران، حديث ٢٩٩٩.

(٦) المصدر السابق ٣٥٢/٥ كتاب التفسير، باب ومن سورة الأحزاب، حديث ٣٢٠٦.

(٧) المستدرک على الصحيحين ١٥٨/٣.

قال: ما هن يا أبا إسحاق؟ قال: لا أسبّه ما ذكرت حين نزل عليه الوحي فأخذ علياً وابنيه وفاطمة، فأدخلهم تحت ثوبه، ثم قال: ربّ إن هؤلاء أهل بيتي...

وقال: هذا حديث صحيح على شرط الشيخين، ولم يخرجاه بهذه السياقة. وقال الذهبي: على شرط مسلم فقط^(١).

وأخرجه أيضاً بلفظ قريب مما مرّ في حديث طويل آخر، وقال: هذا حديث صحيح الإسناد، ولم يخرجاه بهذه السياقة. ووافقه الذهبي^(٢).

وأخرج أيضاً عن أم سلمة، قالت: في بيتي نزلت ﴿إِنَّمَا يَرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ﴾، قالت: فأرسل رسول الله ﷺ إلى علي وفاطمة والحسن والحسين، فقال: هؤلاء أهل بيتي.

وقال: هذا حديث صحيح على شرط البخاري، ولم يخرجاه. ووافقه الذهبي^(٣).
الذهبي^(٣).

وأخرجه عن واثلة بن الأسقع، وقال: هذا حديث صحيح على شرط الشيخين، ولم يخرجاه. وقال الذهبي: على شرط مسلم^(٤).

وعن عائشة، وقال: هذا حديث صحيح على شرط الشيخين، ولم يخرجاه. ووافقه الذهبي^(٥).

وعن سعد بن أبي وقاص، قال: لما نزلت ﴿نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ وَنِسَاءَنَا وَنِسَاءَكُمْ وَأَنْفُسَنَا وَأَنْفُسَكُمْ﴾ دعا رسول الله ﷺ علياً وفاطمة وحسناً وحسيناً رضي الله عنهم، فقال: اللهم هؤلاء أهلي.

(١) المصدر السابق ٣/١٠٨-١٠٩.

(٢) المصدر السابق ٣/١٣٣.

(٣) نفس المصدر ٣/١٤٦.

(٤) نفس المصدر ٣/١٤٧.

(٥) نفس المصدر ٣/١٤٧.

وقال: هذا حديث صحيح على شرط الشيخين، ولم يخرجاه. ووافقه الذهبي كذلك^(١).

٤ - وأخرج الهيثمي في مجمع الزوائد عن أبي جميلة: أن الحسن بن علي حين قُتل عليّ استُخلف، فبينما هو يصلي بالناس إذ وثب إليه رجل فطعنه بخنجر في وركه، فتمرض منها أشهراً، ثم قام فخطب على المنبر، فقال: يا أهل العراق، اتقوا الله فينا، فإننا أمراؤكم وضيغانكم، ونحن أهل البيت الذين قال الله عزّ وجل ﴿إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهّركم تطهيراً﴾. فما زال يومئذ يتكلم حتى ما ترى في المسجد إلا باكياً.

قال: رواه الطبراني، ورجاله ثقات^(٢).

وأخرج أيضاً من الأحاديث الدالة على ذلك ما رواه عن أم سلمة، وواثلة بن الأسقع، وأبي سعيد الخدري، وزينب بنت أبي سلمة، وأبي الحمراء، وأبي برزة، وابن عباس، فراجع^(٣).

٥ - كما أخرج بعضاً مما تقدّم أحمد بن حنبل في مسنده^(٤)، والسيوطي في الدر المنثور^(٥)، وابن حبان في صحيحه^(٦)، والبيهقي في السنن الكبرى^(٧)، وأبو داود الطيالسي في مسنده^(٨)، والنسائي في خصائصه^(٩)، وابن أبي عاصم في كتاب السنة^(١٠)،

(١) نفس المصدر ٣/١٥٠.

(٢) مجمع الزوائد ٩/١٧٢.

(٣) المصدر السابق ٩/١٦٦-١٧٤.

(٤) مسند أحمد بن حنبل ١/١٨٥، ٣٣٠، ٤/١٠٧، ٦/٢٩٢، ٣٢٣.

(٥) الدر المنثور ٦/٦٠٣ في تفسير آية التطهير.

(٦) الإحسان بترتيب صحيح ابن حبان ٩/٦١.

(٧) السنن الكبرى ٢/١٤٩-١٥٠.

(٨) مسند أبي داود الطيالسي، ص ٢٧٤.

(٩) خصائص أمير المؤمنين علي بن أبي طالب كرم الله وجهه، ص ٣٠، ٤٧.

السنة^(١)، والخطيب التبريزي في مشكاة المصابيح^(٢)، والخطيب في تاريخ بغداد^(٣)، وغيرهم.

وثانياً: مجيء الخطاب في آية التطهير في قوله جَلَّ وعلا ﴿لِيُذْهَبَ عَنْكُمْ﴾ و ﴿يُطَهَّرْكُمْ﴾ بلفظ المذكَّر دالٌّ على أن المخاطبين إما ذكور فقط، أو ذكور وإناث فُعَلِّبَ الذكور على الإناث، لأن التغليب لا يصح إلا في حال اجتماع الذكور والإناث، ولا يصح خطاب الإناث بضمير الجمع المذكور.

ولهذا قال القرطبي: والذي يظهر من الآية أنها عامَّة في جميع أهل البيت من الأزواج وغيرهم، وإنما قال ﴿ويطهَّرْكُمْ﴾ لأن رسول الله ﷺ وعلياً وحسناً وحسيناً كانوا فيهم، وإذا اجتمع الذكر والمؤنث غُلِّبَ الذكر^(٤).

وقال الفخر الرازي: ثم إن الله تعالى ترك خطاب المؤنثات وخاطب بخطاب المذكَّرين بقوله ﴿ليذهب عنكم الرجس﴾ ليدخل فيه نساء أهل بيته ورجالهم^(٥).

وثالثاً: مخالفة هذا القول لصحاح الأحاديث الدالَّة على أن الإمام المهدي المنتظر عليه السلام من أهل بيت النبي صلَّى الله عليه وآله.

وهذا من عقائد أهل السنة الثابتة، التي لا يمكن دفعها، ولا يجسر منصف على ردِّها، ولهذا تتابع العلماء خلفاً عن سلف في إثباتها والنص عليها.

قال الحافظ أبو الحسين محمد بن الحسين الأبري السجزي صاحب كتاب (مناقب الشافعي) المتوفى سنة ٣٦٣هـ: وقد تواترت الأخبار واستفاضت عن رسول الله ﷺ بذكر المهدي، وأنه من أهل بيته، وأنه يملك سبع سنين، وأنه يملأ الأرض عدلاً، وأن عيسى يخرج فيساعده على قتل الدجال، وأنه يؤم هذه الأمة، ويصلي عيسى

(١) كتاب السنة ٢/٥٨٨.

(٢) مشكاة المصابيح ٣/١٧٣١.

(٣) تاريخ بغداد ١٠/٢٧٨.

(٤) الجامع لأحكام القرآن ١٣/١٨٣.

(٥) التفسير الكبير ٢٥/٢٠٩.

خلفه.

نقل عنه هذه العبارة ابن قيم الجوزية في المنار المنيف مسلماً بها^(١). وكذلك فعل ابن حجر العسقلاني في تهذيب التهذيب في ترجمة محمد بن خالد الجندي^(٢)، والسيوطي في العرف الوردي^(٣)، وابن حجر الهيثمي في الصواعق المحرقة^(٤) والقول المختصر^(٥)، والقرطبي في التذكرة^(٦)، والسفاري في لوامع الأنوار البهية^(٧)، والبرزنجي في الإشاعة^(٨)، والكتاني في نظم المتناثر^(٩) وغيرهم.

وقال الكتاني: وأحاديث المهدي بعضها صحيح، وبعضها حسن، وبعضها ضعيف، وأمره مشهور بين كافة أهل الإسلام على ممر الأعصار، وأنه لا بد في آخر الزمان من ظهور رجل من أهل البيت النبوي، يؤيد الدين، ويظهر العدل، ويتبعه المسلمون، ويستولي على الممالك الإسلامية، ويُسمَّى بالمهدي^(١٠).

وقال القرطبي: والأحاديث عن النبي ﷺ في التنصيص على خروج المهدي من عترته من ولد فاطمة ثابتة^(١١).

أقول: ومن تلك الأحاديث:

١ - ما أخرجه ابن ماجة وأحمد بن حنبل وأبو نعيم الأصفهاني وغيرهم، عن

(١) المنار المنيف، ص ١٤٢.

(٢) تهذيب التهذيب ٩/ ١٢٦.

(٣) العرف الوردي المطبوع ضمن الحاوي للفتاوي ٢/ ٨٥.

(٤) الصواعق المحرقة، ص ١٩٧.

(٥) القول المختصر في علامات المهدي المنتظر، ص ٢٣.

(٦) التذكرة في أحوال الموتى وأمور الآخرة، ص ٧٠١.

(٧) لوامع الأنوار البهية ٢/ ٨٦.

(٨) الإشاعة لأشراط الساعة، ص ٨٧، ١١٢.

(٩) نظم المتناثر، ص ٢٣٩.

(١٠) المصدر السابق، ص ٢٣٨.

(١١) التذكرة في أحوال الموتى وأمور الآخرة، ص ٧٠١.

علي بن أبي طالب رضي الله عنه، قال: قال رسول الله ﷺ: المهدي من أهل البيت، يصلحه الله في ليلة^(١).

٢ - وأخرج أبو داود وغيره عن أم سلمة، عن رسول الله ﷺ أنه قال: المهدي من عترتي من ولد فاطمة^(٢).

٣ - وأخرج الترمذي والحاكم وغيرهما عن ابن مسعود، قال: قال رسول الله ﷺ: لا تذهب الدنيا حتى يملك العرب رجل من أهل بيتي، يواطئ اسمه اسمي. قال الترمذي: هذا حديث حسن صحيح^(٣).

وقال الذهبي: صحيح^(٤).

٤ - وأخرج الترمذي عن عبد الله، عن النبي ﷺ قال: يلي رجل من أهل بيتي، يواطئ اسمه اسمي.

قال عاصم: وأنا أبو صالح عن أبي هريرة قال: لو لم يبق من الدنيا إلا يوم لطول الله ذلك اليوم حتى يلي... قال الترمذي: هذا حديث حسن صحيح^(٥).

٥ - وأخرج أبو داود وأحمد بن حنبل وغيرهما، عن علي رضي الله عنه، عن

(١) سنن ابن ماجة ٢/ ١٣٦٧ كتاب الفتن، باب خروج المهدي. مسند أحمد بن حنبل ١/ ٨٤. حلية الأولياء الأولياء ٣/ ١٧٧. الجامع الصغير ٢/ ٦٧٢ ورمز له بالحسن. وصححه الألباني في صحيح الجامع الصغير ٢/ ١١٤٠، وسلسلة الأحاديث الصحيحة ٥/ ٤٨٦، وصحيح سنن ابن ماجة ٢/ ٣٨٩.

(٢) سنن أبي داود ٤/ ١٠٦ كتاب المهدي. شرح السنة ١٥/ ٨٦. الدر المنثور ٧/ ٤٨٤. الجامع الصغير ٢/ ٦٧٢ ورمز له بالصحة، وتابعه الألباني في صحيح الجامع الصغير ٢/ ١١٤٠، وصححه في صحيح سنن أبي داود ٣/ ٨٠٨، وفي سلسلة الأحاديث الضعيفة ١/ ١٠٨، قال: وهذا سند جيد، رجاله كلهم ثقات، وله شواهد كثيرة.

(٣) سنن الترمذي ٤/ ٥٠٥ كتاب الفتن، باب ما جاء في المهدي. المستدرک ٤/ ٤٤٢.

(٤) تلخيص المستدرک المطبوع بهامش المستدرک ٤/ ٤٤٢.

(٥) سنن الترمذي ٤/ ٥٠٥ كتاب الفتن، باب ما جاء في المهدي.

النبي ﷺ قال: لو لم يبق من الدهر إلا يوم لبعث الله رجلاً من أهل بيتي، يملؤها عدلاً كما ملئت جوراً^(١).

٦ - وأخرج الحاكم وابن حبان عن أبي سعيد الخدري، قال: قال رسول الله ﷺ: لا تقوم الساعة حتى تُملاً الأرض ظلماً وجوراً وعدواناً، ثم يخرج من أهل بيتي من يملؤها قسطاً وعدلاً كما ملئت ظلماً وعدواناً^(٢).

قال الحاكم: هذا حديث صحيح على شرط الشيخين، ولم يخرجاه. ووافقه الذهبي.

ورابعاً: أن القول المذكور يعارضه حديث الثقلين، الدال على أن أهل البيت عليهم السلام لا يفترون عن كتاب الله العزيز، فهم باقون حتى قيام الساعة، كلما مضى منهم من يقتدى به خالفه آخر مثله، وهذا المعنى لا ينطبق على نساء النبي ﷺ وخدمته كما هو واضح.

والحاصل أن القول بأن أهل البيت هم نساء النبي ﷺ خاصة لا تساعد عليه الأدلة، بل تدل على غيره.

ولعل هذا القائل نظر إلى أن المراد بأهل البيت في الآية هم نساء النبي ﷺ خاصة، لا أن أهل البيت لا يراد به غيرهن.

ويدل ذلك ما أخرجه السيوطي في الدر المنثور عن ابن عباس رضي الله عنهما، في قوله ﴿إِنَّمَا يَرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ﴾ قال: نزلت في نساء النبي ﷺ خاصة. وقال عكرمة (رض): من شاء باهله أنها نزلت في أزواج النبي ﷺ.

(١) سنن أبي داود ٤/١٠٦ كتاب المهدي. مسند أحمد بن حنبل ١/٩٩. الجامع الصغير ٢/٤٣٨ ورمز له بالحسن. شرح السنة ١٥/٨٤. صححه الألباني في صحيح سنن أبي داود ٣/٨٠٨، وصحيح الجامع الصغير ٢/٩٣٨ وغيرهما.

(٢) المستدرک ٤/٥٥٧. الإحسان بترتيب صحيح ابن حبان ٨/٢٩٠.

(٣) الدر المنثور ٦/٦٠٢.

وقال ابن جرير الطبري في تفسيره: كان عكرمة ينادي في السوق: ﴿إِنَّمَا يَرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً﴾، قال: نزلت في نساء النبي ﷺ خاصة^(١).

ولهذا قال ابن كثير: فإن كان المراد أنهم كنَّ سبب النزول دون غيرهن فصحيح، وإن أُريد أنهم المراد فقط دون غيرهن ففي هذا نظر، فإنه قد وردت أحاديث تدل على أن المراد أعم من ذلك^(٢).

أقول: الذي عليه أكثر المفسرين هو أن هذه الآية نزلت في الخمسة أصحاب الكساء.

قال ابن حجر: أكثر المفسرين على أنها نزلت في علي وفاطمة والحسن والحسين، لتذكير ضمير ﴿عَنْكُمْ﴾ وما بعده^(٣).

والأحاديث التي سقناها إليك في صدر هذا الفصل وغيرها تدل على ذلك^(٤).

(١) جامع البيان في تفسير القرآن ٧/٢٢.

(٢) تفسير القرآن العظيم ٤٨٣/٣.

(٣) الصواعق المحرقة، ص ١٧٢.

(٤) تنقسم الأحاديث الواردة في هذا الشأن إلى طائفتين:

الطائفة الأولى: دلت على أن هذه الآية نزلت في هؤلاء الخمسة. ومن ذلك ما أخرجه ابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم والطبراني وابن مردويه (كما في فتح القدير ٤/٢٧٩) عن أم سلمة: أن النبي ﷺ كان في بيتها في منامة له، عليه كساء خيبري. فجاءت فاطمة بريمة فيها خزيرة، فقال رسول الله ﷺ: ادعي زوجك وابنيك حسناً وحسيناً. فدعتهم، فبينما هم يأكلون إذ نزلت على النبي ﷺ ﴿إِنَّمَا يَرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَلَيْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً﴾، فأخذ النبي ﷺ بفضلته كسائه فغشاهم إياها، ثم أخرج يده من الكساء، وألوى بها النساء، ثم قال: اللهم هؤلاء أهل بيتي وخاصتي، فأذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيراً. قالها ثلاث مرات. قالت أم سلمة: فأدخلت رأسي في الستر، فقلت: يا رسول الله، وأنا معكم؟ فقال: إنك على خير. مرتين.

ومنها: ما أخرجه ابن جرير ٥/٢٢ وابن أبي حاتم والطبراني (كما في الدر المنثور ٦/٦٠٤) عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه، قال: قال رسول الله ﷺ: نزلت هذه الآية في خمسة: في علي وفاطمة

وفائدة التجلُّ بالكساء هي إيضاح أن الذين أذهب الله عنهم الرجس هم هؤلاء الخمسة، دون نساء النبي ﷺ، ومنهن أم سلمة التي وقعت الحادثة أو نزلت هذه الآية في بيتها، ولولا ذلك لكان هذا الفعل عبثاً لا يليق بأدنى الناس فضلاً عن سيد الأنبياء والمرسلين.

والسياق المحتج به هو من ظاهر الكلام الذي يعول عليه إذا لم يقدّم دليل يصرّفنا عنه، والأدلة الصارفة عنه من الأحاديث الصحيحة وغيرها^(١) أكثر من أن تحصر، وما ذكرناه فيه الكفاية.

وعلى كل حال، فالذي يهّمنا في هذا الصدد هو تعيين مَنْ يلزم اتباعه من أهل بيت النبي ﷺ ويصح الاقتداء به، فإن ذلك هو أسمى مقصود وأشرف مطلوب. والذي يتعيّن في المقام هو لزوم اتباع أفضل علماء أهل البيت في كل عصر، لما مرّ من أن المراد بالعترة الذين وقع الحثّ على التمسك بهم هم العلماء العاملون الأتقياء منهم.

ولا يخفى أن أفضل علماء العترة الطاهرة هم الأئمة الاثنا عشر الذين تذهب

وحسن وحسين ﴿إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهّركم تطهيراً﴾. والطائفة الثانية: أوضح فيها النبي ﷺ أن المراد بأهل البيت في الآية هم علي وفاطمة وابناهما عليّ. ومن ذلك ما أخرجه الترمذي وصحّحه وابن جرير وابن المنذر والحاكم وصحّحه وابن مردويه والبيهقي في سننه من طرق (كما في فتح القدير ٤/ ٢٧٩) عن أم سلمة قالت: في بيتي نزلت ﴿إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت﴾ وفي البيت فاطمة وعلي والحسن والحسين، فجلّلهم رسول الله ﷺ بكساء كان عليه، ثم قال: هؤلاء أهل بيتي، فأذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيراً. وقد ذكرنا في أول هذا الفصل من الأحاديث ما يدل على ذلك، فراجع.

(١) كتذكير الضمائر في ﴿عنكم﴾ و ﴿يطهّركم﴾ وقد تقدّم، وكدلالة الآية على أن الله سبحانه قد طهر أهل البيت من كل ذنب، وأذهب عنهم كل رجس وقدر، وهذا معنى العصمة، فلا يصح حينئذ أن يكون المرادون في الآية نساء النبي ﷺ اللاتي قال الله تعالى في بعضهنّ ﴿إن تنوبا إلى الله فقد صغت قلوبكما﴾ الآيات.

الشيعة الإمامية إلى إمامتهم، فهم الذين اتفقت الأمة على صلاحهم وأهليتهم للإمامة والافتداء بهم، إذ كان كل واحد منهم سيد أهل البيت في عصره، جامعاً لصفات الكمال التي تفرقت في الناس واجتمعت فيهم. حتى إن ابن تيمية في ردّه على من قال بإمامة الأئمة الاثني عشر دون غيرهم، لما حازوه من الفضائل والمناقب، قال: إن تلك الفضائل - أي التي حازها الأئمة الاثنا عشر - غايتها أن يكون صاحبها أهلاً أن تُعقد له الإمامة، لكنه لا يصير إماماً بمجرد كونه أهلاً، كما أنه لا يصير الرجل قاضياً بمجرد كونه أهلاً لذلك.

ثم قال: إن أهلية الإمامة ثابتة لآخرين كثبوتها لهؤلاء، وهم أهل أن يتولوا الإمامة، فلا موجب للتخصيص، ولم يصيروا بذلك أئمة^(١).

وقوله هذا يدل على أنه لم يكن في وسعه أن يجحد فضلهم وأهليتهم للإمامة، ولو كان لفعل، لأنه كان في مقام المناظرة مع الخصم، لا في حال المجاملة.

وقوله: (فلا موجب للتخصيص) غير سديد، لأن التخصيص حاصل بالنصوص الصحيحة الأمرة بالتمسك بأهل البيت دون سواهم كما تقدّم مفصلاً، فلا سبيل للعدول عنهم إلى غيرهم.

وتنظيره الإمام بالقاضي غير المنصوب مغالطة بيّنة، والصحيح أن يُنظر الإمام إما بالقاضي المنصوب من إمام العدل، الذي لا يضر بمنصبه جحود كثير من الناس له، أو ينظره بالنبي الذي لا يكون لجحود الناس لنبوته أي أثر.

وعليه، فمن الواضح أن الإمام الذي نصّ النبي ﷺ على إمامته، لا يضر بها جحود الناس له وميلهم إلى سواه.

وما أحسن قول السيد محمد باقر الحجّة في هذا الأمر، إذ قال:

قال الشريفُ الفاطميُّ أحمدُ أبداً باسمِ اللهِ ثم أحمدُ

(١) منهاج السنّة النبوية ٤/ ٢١٣.

مصلياً على النبي المرسل
وأهل بيت الوحي والتنزيل
بعُد: فهالك ما عن المختار
تفترق الأمة بعدما ضحى
واحدة ناجية والباقية
فاصغ لما أقول يا عمرو فما
هل هلكوا؟! أستغفر الله وقد
لا بل نجوا فمن عداهم هلكوا
وقد أخذنا قولهم ففزنا
متخذين مذهب الأطائب
فمذهب الصادق^(١) خير مذهب
وما أخذتم منهم وعنهم
حتى انتهى الأمر إلى التقليد في
قلدتم النعمان أو محمداً
فهل أتى الذكرُ به أو وصى
وقال شمس الدين محمد بن طولون^(٤):

مدينة العلم وبابها علي
ومعدن الحكمة والتأويل
مضمون ما شاع من الأخبار
ظل النبي فرقاً لن تبرحا
هالكة وفي الجحيم هاوية
تقول في آل النبي الكرماً؟!
قام لفسطاط الهدى بهم عمد
ونحن ممن بهم تمسكوا
وعن سوى آل النبي جزنا
من آله، لا سائر المذاهب
وهو وبيت الله أولى بالنبي
بل اتبعتم من هم دونهم
شرائع الدين القويم الحنفي
أو مالك بن أنس أو أحمد^(٢)
به النبي أو وجدتم نصاً؟!^(٣)

(١) يعني به مذهب جعفر بن محمد الصادق عليه السلام.

(٢) يعني بالنعمان أبا حنيفة، ومحمد هو الشافعي، وأحمد هو ابن حنبل.

(٣) منظومة الشهاب الثاقب، ص ١١٩-١٢٠.

(٤) قال ابن العماد الحنبلي في شذرات الذهب ٨/ ٢٩٨: وفيها [أي في سنة ٩٥٣هـ توفي] شمس الدين أبو عبد الله محمد بن علي بن محمد الشهير بابن طولون الدمشقي الصالحي الحنفي الإمام العلامة المسند المؤرخ، ولد بصالحية دمشق سنة ثمانين وثمانمائة تقريباً، وسمع وقرأ على جماعة منهم القاضي ناصر الدين بن زريق والسراج بن الصيرفي... وأخذ عن السيوطي إجازة مكاتبة في جماعة من المصريين وآخرين من

عليك بالأئمة الاثني عشر
 أبو تراب حسن حسين
 محمد الباقر كم علم درى
 موسى هو الكاظم وابنه علي
 محمد التقي قلبه معمور
 والعسكري الحسن المطهر
 من آل بيت المصطفى خير البشر
 وبغض زين العابدين شين
 والصادق ادع جعفرأ بين الورى
 لقبه بالرضا وقدره علي
 علي النقي ذره منشور
 محمد المهدي سوف يظهر^(١)

وقال الإمام أبو الفضل يحيى بن سلامة الحصكفي^(٢) في قصيدة طويلة له:

حيدرة والحسان بعده
 وجعفر الصادق وابن جعفر
 أعني الرضا، ثم ابنه محمد
 الحسن التالي ويتلو تلوه
 قوم هم أمتي وسادتي
 أئمة أكرم لهم أئمة
 هم حُجج الله على عباده
 ثم علي وابنه محمد
 موسى ويتلوه علي السيد
 ثم علي وابنه المسدد
 محمد بن الحسن المعتقد
 وإن لحاني معشر وفندوا
 أسماؤهم مسرودة لا تُطرد
 وهم إليه منهج ومقصد

أهل الحجاز. وكان ماهراً في النحو، علامة في الفقه، مشهوراً بالحديث وولي تدريس الحنفية بمدرسة شيخ الإسلام أبي عمر وإمامة السليمية بالصالحية، وقصده الطلبة في النحو ورغب الناس في السماع منه، وكانت أوقاته معمورة بالتدريس والإفادة والتأليف... وكان واسع الباع في غالب العلوم المشهورة حتى في التعبير والطب، وأخذ عنه جماعة من الأعيان وبرعوا في حياته... الخ.

(١) الأئمة الاثنا عشر، ص ١١٨.

(٢) قال ابن العماد الحنبلي في شذرات الذهب ١٦٨/٤ بتصرف: وفي سنة ٥٥٣هـ توفي يحيى بن سلامة الحصكفي الخطيب صاحب ديوان الشعر والخطب، الفقيه الشافعي. والحصكفي نسبة إلى (حصن كيفا) قلعة حصينة بطنزة، وهي بلدة صغيرة بديار بكر فوق الجزيرة. نشأ بحصن كيفا، وقدم بغداد وقرأ الفقه حتى أجاد فيه، وقرأ الأدب على الخطيب التبريزي شارح المقامات، ثم رجع إلى بلاده واستوطن ميافارقين، وتولى بها الخطابة، وانتصب للإفتاء والاشتغال، وانتفع به الناس. قال العماد في (الخريدة): كان علامة الزمان في علمه، ومعري الزمان في نثره ونظمه، ولم يزل على ذلك إلى أن توفي. له ترجمة في معجم الأدباء ١٨/٢٠.

همُ النهارَ صَوِّمَ لربِّهم	وفي الدياجي رُكِّعَ وسُجِّدُ
قومٌ أتى في ﴿هل أتى﴾ مديحهم	هل شك في ذلك إلا ملحدُ
قومٌ لهم في كلِّ أرضٍ مشهدُ	لا بل لهم في كلِّ قلبٍ مشهدُ
قومٌ لهم فضلٌ ومجدٌ باذخُ	يعرفُهُ المشركُ والموحِّدُ
يا أهلَ بيتِ المصطفى يا عدِّي	ومن على حُبِّهمُ أعتدُ
أنتم إلى الله غداً وسيلتي	فكيف أشقى وبكم أعتدُ
وليسكم في الخلدِ حيٌّ خالدُ	والضدُّ في نارِ اللظى مخلدُ ^(١)

الفصل الثامن

الأئمة الاثنا عشر عليهم السلام

حديث الأئمة الاثني عشر:

استفاضت الأحاديث الصحيحة المبثّرة بالأئمة - أو الخلفاء - الاثني عشر، الذي يكون بهم الإسلام قائماً، عزيزاً، منيعاً، ظاهراً على من ناواه، ويكون الأمر بهم صالحاً، وأمر الناس بهم ماضياً... اثنا عشر إماماً من قريش، لا يزيدون ولا ينقصون.

طرق الحديث:

١ - أخرج البخاري في الصحيح عن جابر بن سمرة، قال: سمعت النبي ﷺ يقول: يكون اثنا عشر أميراً. فقال كلمة لم أسمعها، فقال أبي: إنه قال: كلهم من قريش^(١).

٢ - وأخرج مسلم في صحيحه هذا الحديث عن جابر بن سمرة بتسعة طرق: قال في بعضها: دخلت مع أبي على النبي ﷺ، فسمعتة يقول: إن هذا الأمر لا ينقضي حتى يمضي فيهم اثنا عشر خليفة. قال: ثم تكلم بكلام خفي عليّ. قال: فقلت لأبي: ما قال؟ قال: كلهم من قريش.

وقال في حديث آخر: سمعت النبي ﷺ يقول: لا يزال أمر الناس ماضياً ما وليهم اثنا عشر رجلاً. ثم تكلم النبي ﷺ بكلمة خفيت علي، فسألت أبي: ماذا قال رسول الله ﷺ؟ فقال: كلهم من قريش.

(١) صحيح البخاري ١٠١/٩ كتاب الأحكام، باب رقم ٥١.

وفي آخر قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: لا يزال الإسلام عزيزاً إلى اثني عشر خليفة. ثم قال كلمة لم أفهمها، فقلت لأبي: ما قال؟ فقال: كلهم من قريش.

وفي آخر قال: انطلقت إلى رسول الله ﷺ ومعني أبي، فسمعتة يقول: لا يزال هذا الدين عزيزاً منيعاً إلى اثني عشر خليفة. فقال كلمة صمّنيها الناس، فقلت لأبي: ما قال؟ قال: كلهم من قريش.

وفي آخر قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: سمعت رسول الله ﷺ يقول: لا يزال الدين قائماً حتى تقوم الساعة، أو يكون عليكم اثنا عشر خليفة، كلهم من قريش... (١).

٣ - وأخرج الترمذي هذا حديث عن جابر بن سمرة بطريقتين، قال بعد كل منها: هذا حديث حسن صحيح (٢).

٤ - وأخرجه أبو داود عنه بثلاثة طرق صحيحة (٣).

قال في أحدها: سمعت رسول الله ﷺ يقول: لا يزال هذا الدين قائماً حتى يكون عليكم اثنا عشر خليفة، كلهم تجتمع عليه الأمة. فسمعت كلاماً من النبي ﷺ، قلت لأبي: ما يقول؟ قال: كلهم من قريش.

وقال في آخر: سمعت رسول الله ﷺ يقول: لا يزال هذا الدين عزيزاً إلى اثني عشر خليفة. قال: فكبر الناس وضجّوا، ثم قال كلمة خفية. قلت لأبي: يا أبا، ما قال؟ قال: كلهم من قريش (٤).

وأخرج الهيثمي في مجمع الزوائد، عن أبي جحيفة، قال: كنت مع عمي النبي ﷺ وهو يخطب، فقال: لا يزال أمر أمتي صالحاً حتى يمضي اثنا عشر خليفة...

(١) صحيح مسلم ٣/ ١٤٥٢ كتاب الإمارة، باب الناس تبع لقريش والخلافة في قريش (١).

(٢) سنن الترمذي ٤/ ٥٠١ كتاب الفتن، باب ما جاء في الخلفاء (٤٦).

(٣) صحّحها الألباني في صحيح سنن أبي داود ٣/ ٨٠٧.

(٤) سنن أبي داود ٤/ ١٠٦ كتاب المهدي.

وخفض بها صوته، فقلت لعمّي وكان أمامي: ما قال يا عم؟ قال: كلهم من قريش.
قال: رواه الطبراني في الأوسط والكبير والبزّار، ورجال الطبراني رجال
الصحيح^(١).

وفي رواية أخرى عن جابر، قال: وزاد فيه: ثم رجع - يعني النبي ﷺ - إلى
بيته، فأتيته فقلت: ثم يكون ماذا؟ قال: ثم يكون الهرج.
قال: رجاله ثقات^(٢).

٦- وأخرج ابن حجر عن مسروق، قال: جاء رجل إلى عبد الله بن مسعود،
فقال: هل حدّثكم نبيكم كم يكون بعده من الخلفاء؟ قال: نعم، وما سألتني عنها أحد
قبلك وإنك لمن أحدث القوم سنًا، قال: يكونون عدة نُقباء موسى، اثني عشر نقيباً^(٣).
وهذا حديث حسن، حسّنه ابن حجر العسقلاني^(٤)، وابن حجر الهيتمي^(٥)،
والسيوطي^(٦)، والبوصيري^(٧).

٧- وأخرج ابن حبان في صحيحه عن سفينة، عن النبي ﷺ، قال: الخلافة
ثلاثون سنة، وسائرهم ملوك، والخلفاء والملوك اثنا عشر^(٨).
وأخرج حديث جابر بن سمرة بنحو ما تقدّم^(٩).

٨- وأخرج البغوي حديث الخلفاء الاثني عشر في شرح السنة وقال: هذا

(١) مجمع الزوائد ٥ / ١٩٠.

(٢) المصدر السابق ٥ / ١٩١.

(٣) المطالب العالية ٢ / ١٩٧.

(٤) فتح الباري ١٣ / ١٨١.

(٥) تطهير الجنان واللسان، ص ٣١٣.

(٦) تاريخ الخلفاء، ص ٨.

(٧) عن حاشية المطالب العالية ٢ / ١٩٧.

(٨) الإحسان بترتيب صحيح ابن حبان ٨ / ٢٢٦.

(٩) المصدر السابق ٨ / ٢٢٩، ٢٣٠.

حديث متفق على صحته^(١).

٩ - وأخرجه أحمد بن حنبل في مسنده^(٢)، والحاكم النيسابوري في مستدرکه^(٣)، مستدرکه^(٣)، وأبو داود الطيالسي في مسنده^(٤)، وأبو نعيم الأصفهاني في حلية الأولياء^(٥)، والخطيب في تاريخ بغداد^(٦)، وأبو عوانة في مسنده^(٧)، وابن أبي عاصم في كتاب السنة^(٨)، والبيهقي في دلائل النبوة^(٩)، والألباني في سلسلة الأحاديث الصحيحة^(١٠)، وصحيح الجامع الصغير^(١١)، وغيرهم.

اختلاف الأقوال في الأئمة الاثني عشر:

اختلفت أقوال العلماء الذين حاولوا بيان المراد بالأئمة الاثني عشر في الأحاديث السابقة اختلافاً عظيماً، وتضاربت آراؤهم تضارباً شديداً.

والسبب في ذلك يرجع إلى أن كل من حاول كشف هذا المشكل من علماء أهل السنة صرّفها عن أئمة أهل البيت الاثني عشر عليهم السلام، وجعلها في غيرهم ممن لا تنطبق عليهم الأوصاف الواردة في هذه الأحاديث، ولا يُعرفون بها، فوقعوا في حيرة شديدة، وذهبوا في بيان المراد بهؤلاء الأئمة إلى مذاهب شتى غريبة، حتى أقرّ بعضهم بالعجز، واعترف بعدم وضوح معنى لهذه الأحاديث تركز إليه النفس.

(١) شرح السنة ١٥/٣٠، ٣١.

(٢) مسند أحمد بن حنبل ١/٣٩٨، ٥/٨٦، ٩٠-٩٢، ١٠١-١٠٦، ١٠٨.

(٣) المستدرک على الصحيحين ٣/٦١٧، ٦١٨.

(٤) مسند أبي داود الطيالسي، ص ١٨٠.

(٥) حلية الأولياء ٤/٣٣٣.

(٦) تاريخ بغداد ٢/١٢٦.

(٧) مسند أبي عوانة ٤/٣٩٦-٣٩٩.

(٨) كتاب السنة ٢/٥١٨، ٥٣٤، ٥٤٤، ٥٤٩.

(٩) دلائل النبوة ٦/٥١٩-٥٢٣.

(١٠) سلسلة الأحاديث الصحيحة ١/٦٥١ رقم ٣٧٦، ٢/٦٩٠ رقم ٩٦٤.

(١١) صحيح الجامع الصغير ٢/١٢٧٤.

قال ابن الجوزي في كشف المشكل: قد أطلتُ البحث عن معنى هذا الحديث، وتطلبت مظاهره، وسألت عنه فلم أقع على المقصود به، لأن ألفاظه مختلفة، ولا شك أن التخليط فيها من الرواة^(١).

وقال ابن بطلال عن المهلب: لم ألقَ أحداً يقطع في هذا الحديث - يعني بشيء معين^(٢).

وإليك أيها القارئ العزيز أهم ما وقفت عليه من الأقوال في هذه المسألة:

١ - قال القاضي عياض: لعل المراد بالاثني عشر في هذه الأحاديث وما شابهها أنهم يكونون في مدة عزة الخلافة وقوة الإسلام واستقامة أموره، والاجتماع على من يقوم بالخلافة، وقد وجد فيمن اجتمع عليه الناس، إلى أن اضطرب أمر بني أمية، ووقعت بينهم الفتنة زمن الوليد بن يزيد، فاتصلت بينهم إلى أن قامت الدولة العباسية، فاستأصلوا أمرهم^(٣).

قال ابن حجر العسقلاني: كلام القاضي عياض أحسن ما قيل في الحديث وأرجحه، لتأييده بقوله في بعض طرق الحديث الصحيحة: (كلهم يجتمع عليه الناس)، وإيضاح ذلك أن المراد بالاجتماع انقيادهم لبيعتهم، والذي وقع أن الناس اجتمعوا على أبي بكر ثم عمر ثم عثمان ثم علي، إلى أن وقع أمر الحكمين في صفين، فتسمى معاوية يومئذ بالخلافة، ثم اجتمع الناس على معاوية عند صلح الحسن، ثم اجتمعوا على ولده يزيد، ولم ينتظم للحسين أمر، بل قُتل قبل ذلك، ثم لما مات يزيد وقع الاختلاف إلى أن اجتمعوا على عبد الملك بن مروان بعد قتل ابن الزبير، ثم اجتمعوا على أولاده الأربعة: الوليد ثم سليمان ثم يزيد ثم هشام، وتخلل بين سليمان ويزيد عمر بن عبد العزيز، فهؤلاء سبعة بعد الخلفاء الراشدين، والثاني عشر هو الوليد بن يزيد بن عبد الملك، اجتمع الناس عليه لما مات عمه هشام، فولي نحو أربع

(١) عن فتح الباري ١٣/١٨١.

(٢) المصدر السابق ١٣/١٨٠.

(٣) المصدر السابق ١٣/١٨٠.

سنين، ثم قاموا عليه فقتلوه، وانتشرت الفتن وتغيّرت الأحوال من يومئذ، ولم يتفق أن يجتمع الناس على خليفة بعد ذلك...^(١).

أقول: إن علي بن أبي طالب عليه السلام لم يجتمع عليه الناس من أول يوم في خلافته، وذلك لأن أهل الشام لم يبايعوه، وهم في المسلمين كثرة. وخرج عليه طلحة والزبير وعائشة فحاربهم في البصرة، ثم خرج عليه الخوارج فحاربهم في النهروان. كل ذلك في خمس سنين وأشهر.

وأما يزيد بن معاوية فلم يبايعه الحسين بن علي عليه السلام وأهل بيته حتى قُتلوا كربلاء. وخرج عليه أهل المدينة، وأخرجوا منها عامله وسائر بني أمية، ف وقعت بينهم وبينه وقعة الحرّة. وخرج عليه ابن الزبير في مكة واستولى عليها، فأى اجتماع تحقّق له؟!!

وأما الوليد بن يزيد بن عبد الملك فهو وإن ملك أربع سنين، إلا أن قيام الناس عليه بعد ذلك وقتله دليل على عدم اجتماعهم عليه.

هذا مع أن معاوية ومن جاء بعده من ملوك بني أمية وغيرهم كانوا متغلبين على الأمة بالقهر، لم يتقلدوا الخلافة بنصّ أو شورى، وهو واضح معلوم.

٢ - ما نسب إلى المهلب، قال: الذي يغلب على الظن أنه عليه الصلاة والسلام أخبر بأعاجيب تكون بعده من الفتن، حتى يفترق الناس في وقت واحد على اثني عشر أميراً. قال: ولو أراد غير هذا لقال: (يكون اثنا عشر أميراً يفعلون كذا...)، فلما أعرأهم من الخبر عرفنا أنه أراد أنهم يكونون في زمن واحد.

قال ابن حجر: وهو كلام من لم يقف على شيء من طرق الحديث غير الرواية التي وقعت في البخاري هكذا مختصرة، وقد عرفت من الروايات التي ذكرتها من عند مسلم وغيره أنه ذكر الصفة التي تختص بولايتهم، وهو كون الإسلام عزيزاً منيعاً. وفي الرواية الأخرى صفة أخرى، وهو أن كلهم يجتمع عليه الناس كما وقع عند أبي داود،

فإنه أخرج هذا الحديث من طريق إسماعيل بن أبي خالد، عن أبيه، عن جابر بن سمرة، بلفظ: (لا يزال هذا الدين قائماً حتى يكون عليكم اثنا عشر خليفة، كلهم يجتمع عليه الأمة)، وأخرجه الطبراني من وجه آخر، عن الأسود بن سعيد، عن جابر بن سمرة، بلفظ: (لا تضرهم عداوة من عاداهم).

وقال بعد ذلك: ولو لم يرد عليه إلا قوله: (كلهم يجتمع عليه الناس) [الكفى]، فإن وجودهم في عصر واحد عين الافتراق، فلا يصح أن يكون المراد^(١).

٣ - ما اختاره ابن حجر العسقلاني، قال: الأولى أن يُحمل قوله: (يكون بعدي اثنا عشر خليفة) على حقيقة البعدية، فإن جميع من ولي الخلافة من الصديق إلى عمر بن عبد العزيز أربعة عشر نفساً، منهم اثنان لم تصح ولايتها ولم تطل مدتها، وهما معاوية بن يزيد، ومروان بن الحكم، والباقيون اثنا عشر نفساً على الولاة، كما أخبر النبي ﷺ ...

إلى أن قال: ولا يقدح في ذلك قوله: (يجتمع عليهم الناس) لأنه يُحمل على الأكثر الأغلب، لأن هذه الصفة لم تفقد إلا في الحسن بن علي وعبد الله بن الزبير مع صحّة ولايتهما، والحكم بأن من خالفهما لم يثبت استحقاقه إلا بعد تسليم الحسن، وبعد قتل ابن الزبير، والله أعلم^(٢).

أقول: إن مجيء التأكيد بـ (كل) في قوله ﷺ: (كلهم يجتمع عليه الناس) الدال على العموم يقدح في هذا القول.

هذا مع أن الصفة المذكورة - وهي اجتماع الناس - فقدت في غير الحسن وابن الزبير كما أوضحناه آنفاً.

ولا أدري لم وقف على عمر بن عبد العزيز، مع أن بعض من سبقه من الخلفاء - كيزيد بن معاوية - لا يمتاز على من جاءوا بعده كيزيد وهشام ابني عبد الملك.

(١) المصدر السابق ١٣ / ١٨٠.

(٢) المصدر السابق ١٣ / ١٨٢.

وقوله: (إن معاوية بن يزيد ومروان بن الحكم لم تصح ولايتهما) لا يلتزم مع باقي كلامه، فإن يزيد بن معاوية إن كانت ولايته صحيحة كما قال، فنصّه على ابنه يصحّح ولايته من بعده.

وكذلك إن كانت ولاية معاوية بن أبي سفيان وعبد الملك بن مروان صحيحة، فولاية مروان كذلك، لأنه تولى الأمر بالطريقة التي تولّياها بها، لأنهم ثلاثتهم قاتلوا الناس حتى نالوا بغيتهم وحصلوا على مرادهم.

ثم إن جعله طول الولاية دليلاً على صحّتها واعتبارها عجيب منه، فإن ذلك لم يقل به أحد، مع أنه اعتبر ولاية الحسن عليه السلام التي دامت ستة أشهر، ولم يعتبر ولاية مروان التي دامت نفس المدة.

وأعجب منه زعمه أن عبد الملك مروان لم يثبت استحقاقه للخلافة إلا بعد قيامه على عبد الله بن الزبير الذي صحّت ولايته وقتله إياه.

والذي يلوح من كلام ابن حجر أن كل أولئك الخلفاء كانوا متأهلين للخلافة مستحقين لها، مع أن يزيد بن معاوية مثلاً لا يختلف المنصفون في عدم استحقاقه للخلافة، وعدم أهليته لها، لأنه تولى ثلاث سنين، سنة قتل فيها الحسين عليه السلام، وسنة أباح فيها المدينة، وسنة هدم فيها الكعبة. فكيف يكون من الخلفاء الذين يكون الإسلام بهم عزيزاً منيعاً قائماً؟!

٤ - ما اختاره ابن كثير الدمشقي وابن تيمية وغيرهما، وهو أن المراد وجود اثني عشر خليفة في جميع مدة الإسلام إلى يوم القيامة، يعملون بالحق وإن لم تتوال أيامهم، ويؤيده ما أخرجه مُسَدَّد في مسنده الكبير من طريق أبي بحر، أن أبا الجلد حدثه أنه لا تهلك هذه الأمة حتى يكون منها اثنا عشر خليفة، كلهم يعمل بالهدى ودين الحق، منهم رجلان من أهل بيت محمد صلى الله عليه وآله، يعيش أحدهما أربعين سنة، والآخر ثلاثين سنة.

وعلى هذا فالمراد بقوله: (ثم يكون الهرج) أي الفتن المؤذنة بقيام الساعة، من

خروج الدجال ثم يأجوج ومأجوج، إلى أن تنقضي الدنيا^(١).

قال السيوطي: وعلى هذا فقد وُجد من الاثني عشر خليفة: الخلفاء الأربعة، والحسن ومعاوية وابن الزبير وعمر بن عبد العزيز، ويحتمل أن يضم إليهم المهدي من العباسيين، لأنه فيهم كعمر بن عبد العزيز، وكذلك الطاهر لما أوتيه من العدل، وبقي الاثنان المنتظران، أحدهما المهدي، لأنه من أهل بيت محمد صلى الله عليه وسلم^(٢).

وأقول: يفسد هذا القول أن علياً والحسن بن علي عليهما السلام - وهما من أهل البيت كما تقدّم - لم يعش واحد منهما ثلاثين سنة أو أربعين، وعليه فينبغي ألا يكونا من هؤلاء الاثني عشر.

قال ابن كثير: إن إخراج علي وابنه الحسن من هؤلاء الاثني عشر خلاف ما نص عليه أئمة السنّة، بل والشيعّة^(٣).

ولا أدري لم عدّ السيوطي من هؤلاء الأئمة ثلاثة من أهل البيت، مع أنه خلاف حديث أبي الجلد الذي احتجّوا به.

ثم إن عدّ السيوطي معاوية ممن يعمل بالهدى ودين الحق، خلاف ما هو معلوم من حاله، ومشهور من أفعاله. وحسبك أنهم اتفقوا على إخراجهم من زمرة الخلفاء الراشدين، فجعلوهم أربعة أو خمسة، ولم يجعلوهم منهم^(٤).

وأخرج مسلم في الصحيح عن عبد الرحمن بن عبد رب الكعبة - في حديث طويل - قال: فقلت له - أي لعبد الله بن عمرو بن العاص - : هذا ابن عمك معاوية

(١) البداية والنهاية ٦/٢٥٦، وفتح الباري ١٣/١٨٢.

(٢) تاريخ الخلفاء، ص ١٠.

(٣) البداية والنهاية ٦/٢٥٥.

(٤) قال السيوطي في تاريخ الخلفاء، ص ١٨٣: عمر بن عبد العزيز بن مروان، الخليفة الصالح، أبو حفص، خامس الخلفاء الراشدين. وقال الذهبي في (العبر) ١/٩١: في رجب [سنة إحدى ومائة] توفي الإمام العادل أمير المؤمنين وخامس الخلفاء الراشدين أبو حفص عمر بن عبد العزيز. وأخرج أبو داود في سننه ٢٠٧/٤ عن سفيان الثوري، أنه قال: الخلفاء خمسة: أبو بكر وعمر وعثمان وعلي وعمر بن عبد العزيز.

يأمرنا أن نأكل أموالنا بيننا بالباطل ونقتل أنفسنا، والله يقول ﴿يا أيها الذين آمنوا لا تأكلوا أموالكم بينكم بالباطل إلا أن يكون تجارة عن تراض منكم ولا تقتلوا أنفسكم إن الله كان بكم رحيماً﴾. قال: فسكت ساعة، ثم قال: أطعه في طاعة الله، واعصه في معصية الله^(١).

وأخرج الحاكم في المستدرک وصحَّحه على شرط الشيخين، عن عبادة بن الصامت، أنه قام قائماً في وسط دار عثمان بن عفان رضي الله عنه، فقال: إني سمعت رسول الله ﷺ محمداً أبا القاسم يقول: سيكي أموركم من بعدي رجال يعرفونكم ما تنكرون، وينكرون عليكم ما تعرفون، فلا طاعة لمن عصى الله، فلا تعتبوا أنفسكم، فو الذي نفسي بيده إن معاوية من أولئك. فما راجعه عثمان حرفاً^(٢).

٥ - ما اختاره الخطابي، وهو أنه أشار إلى ما يكون بعده وبعد أصحابه، وأن حكم أصحابه مرتبط بحكمه، فأخبر عن الولايات الواقعة بعدهم، فكأنه أشار بذلك إلى عدد الخلفاء من بني أمية، وكان قوله: (لا يزال الدين) أي الولاية إلى أن يلي اثنا عشر خليفة، ثم ينتقل إلى صفة أخرى أشد من الأولى، وأول بني أمية يزيد بن معاوية، وآخرهم مروان الحمار، وعدتهم ثلاثة عشر، ولا يُعدُّ عثمان ومعاوية ولا ابن الزبير لكونهم صحابة، فإذا أسقطنا مروان بن الحكم للاختلاف في صحبته، أو لأنه كان متغلباً بعد أن اجتمع الناس على ابن الزبير صحَّت العدة، وعند خروج الخلافة من بني أمية وقعت الفتن العظيمة والملاحم الكثيرة، حتى استقرت دولة بني العباس، فتغيرت الأحوال عما كانت عليه تغيراً بيناً...^(٣).

وأقول: لا يخفى ما اشتمل عليه هذا القول من وجوه الضعف والمجازفة، فإنه زعم أن من ذكرهم من ملوك بني أمية هم الخلفاء الاثنا عشر الذين مدحهم النبي ﷺ في الأحاديث المتقدمة، وأخبر أن الإسلام يكون بهم عزيزاً قائماً منيعاً... مع أن

(١) صحيح مسلم ٣/ ١٤٧٢. كتاب الإمارة، باب وجوب الوفاء ببيعة الخلفاء الأول فالأول.

(٢) المستدرک على الصحيحين ٣/ ٣٥٧.

(٣) فتح الباري ١٣/ ١٨١.

أمر هؤلاء في استباحة المحرمات والتجاهر بالمنكرات معروف.

وحسبك أن منهم يزيد بن معاوية^(١)، وعبد الملك بن مروان^(٢)، والوليد بن عبد الملك^(٣)، والوليد بن يزيد بن عبد الملك^(٤).

والذي جزم به من أن حُكَم أصحاب النبي ﷺ مرتبط بحكمه في هذا الأمر غير ظاهر من هذه الأحاديث وغيرها، بل الظاهر أن ذكر هؤلاء الخلفاء ومدحهم في هذه الأحاديث الكثيرة لا يكون إلا لغاية راجحة في الدين، وهي حث الأمة على اتباعهم والاهتداء بهم، ولا يخفى أن خلفاء بني أمية لا يجوز أتباعهم، ولا يتحقق

(١) قال السيوطي في تاريخ الخلفاء، ص ١٦٧: وكان سبب خلع أهل المدينة له - أي ليزيد بن معاوية - أن يزيد أسرف في المعاصي، وأخرج الواقدي من طُرق أن عبد الله بن حنظلة بن الفسيل قال: (والله ما خرجنا على يزيد حتى خفنا أن تُرمى بالحجارة من السماء، إنه رجل ينكح أمهات الأولاد، والبنات والأخوات، ويشرب الخمر ويدع الصلاة). وقال الذهبي: ولما فعل يزيد بأهل المدينة ما فعل مع شربه الخمر وإتيانه المنكرات اشتد عليه الناس، وخرج عليه غير واحد، ولم يبارك الله في عمره.

(٢) قال السيوطي في المصدر السابق، ص ١٧٦: لو لم يكن من مساوئ عبد الملك إلا الحجاج وتوليته إياه على المسلمين وعلى الصحابة رضي الله عنهم، يبينهم ويذمهم قتلاً وضرباً وشتاً وحسباً، وقد قتل من الصحابة وأكابر التابعين ما لا يحصى، فضلاً عن غيرهم، وختم على عنق أنس وغيره من الصحابة ختماً، يريد بذلك ذمهم، فلا رحمه الله ولا عفا عنه.

(٣) قال الذهبي في كتابه (العبر) ١/ ٨٥: قال عمر بن عبد العزيز رحمه الله: الوليد بالشام، والحجاج بالعراق، وقرة [بن شريك] بمصر، وعثمان بن حبان بالحجاز، امتلأت والله الأرض جوراً. وقال: لكنه كان مع ظلمه كثير التلاوة للقرآن.

وقال السيوطي في تاريخ الخلفاء، ص ١٧٨: وكان الوليد جبّاراً ظالماً. وقال ابن الأثير في البداية والنهاية ٧٥/ ٩: وكان [الوليد بن عبد الملك] جبّاراً عنيداً.

(٤) وقال السيوطي أيضاً في تاريخه، ص ٢٠١: الوليد بن يزيد بن عبد الملك وكان فاسقاً شريفاً للخمر، منتهكاً حرّامات الله، أراد الحج ليشرب فوق ظهر الكعبة، فمقتته الناس لفسقه.

وقال ابن الأثير في البداية والنهاية ٧/ ١٠: كان هذا الرجل مجاهراً بالفواحش مصراً عليها، منتهكاً محارم الله عز وجل، لا يتحاشى من معصية، وربما اتهمه بعضهم بالزندقة والانحلال من الدين، فالله أعلم. لكن الذي يظهر أنه كان عاصياً شاعراً ماجناً متعاطياً للمعاصي، لا يتحاشاها من أحد، ولا يستحي من أحد قبل أن يلي الخلافة وبعد أن ولي، وقد روي أن أخاه سليمان كان من جملة من سعى في قتله، قال: أشهد أنه كان شروباً للخمر ماجناً فاسقاً، ولقد أرادني على نفسي الفاسق...

الاهتداء بهم.

ثم إنه أخرج مروان بن الحكم من عداد هؤلاء الاثني عشر للاختلاف في صحبته، مع أن ذلك يقتضي إدخاله في جملتهم، من حيث أنه لم يُعلم بحصول الصفة المخرجة له، ولا سيما أن القول بصحبته ضعيف جداً^(١).

كما أن لازم إخراجه منهم لتغلبه إخراج كل خلفاء بني أمية معه، لأن خلافتهم لم تكن بنص أو شورى، أو أهلية واستحقاق، كما هو معلوم لكل من نظر في أحوالهم، وتأمل في أخبارهم.

ثم إنه جعل منهم إبراهيم بن الوليد بن عبد الملك - وهو الحادي عشر - مع أنه تولى الملك سبعين ليلة، ثم خلع نفسه، وسلّم الأمر إلى مروان الحمار، وبايعه طائعاً^(٢).

وقوله: (وعند خروج الخلافة من بني أمية وقعت الفتن العظيمة...) إلى آخر ما قال، يفسده أن ما وقع من الحوادث والفتن في زمان أمية أعظم وأشنع. وأي فتنة أعظم من قتل الحسين عليه السلام، وهدم الكعبة، واستباحة المدينة، وقتل الجمل الغفير من صحابة رسول الله عليه وآله وإهانتهم وذمهم؟!

ووقوع الفتن واضطراب الأحوال في زمن الوليد بن يزيد ومن جاء بعده أشهر من أن يُذكر، كما أن استتباب الأمر لجملة من خلفاء بني العباس كالمُنصور والمهدي

(١) قال البخاري: لم يرَ النبي صلى الله عليه وآله (ميزان الاعتدال ٤/٨٩).

وقال ابن حجر في تهذيب التهذيب ١٠/٨٣: روى عن النبي، ولا يصح له منه سماع. وقال في الإصابة ٣/٤٧٧: لم أرَ من جزم بصحبته.

وقال ابن عبد البر في الاستيعاب ٣/٤٢٥: ... فعلى قول مالك - وهو ولادة مروان في يوم معركة أحد - توفي رسول الله صلى الله عليه وآله وهو ابن ثمان سنين أو نحوها، ولم يره، لأنه خرج إلى الطائف طفلاً لا يعقل.

وقال ابن الأثير في أسد الغابة ٤/٣٤٨: لم يرَ النبي صلى الله عليه وآله، لأنه خرج إلى الطائف طفلاً لا يعقل لما نفى النبي صلى الله عليه وآله أباه الحكم.

وقال الذهبي في التجريد ٢/٦٩: لم يرَ النبي صلى الله عليه وآله، لأنه خرج مع أبيه وهو طفل.

(٢) تاريخ الخلفاء، ص ٢٠٤.

والهادي وهارون والمعتمض ظاهر ومعلوم.

٦ - ما اختاره أبو الحسين بن المنادي: حيث قال في الجزء الذي جمعه في المهدي: يحتمل في معنى حديث: (يكون اثنا عشر خليفة) أن يكون هذا بعد المهدي الذي يخرج في آخر الزمان، فقد وجدت في كتاب دانيال: (إذا مات المهدي ملكاً بعده خمسة رجال من ولد السبط الأكبر، ثم خمسة من ولد السبط الأصغر، ثم يوصي آخرهم بالخلافة لرجل من ولد السبط الأكبر، ثم يملك بعده ولده، فيتم بذلك اثنا عشر ملكاً، كل واحد منهم إمام مهدي).

قال ابن المنادي: وفي رواية أبي صالح عن ابن عباس: (المهدي اسمه محمد بن عبد الله، وهو رجل ربعة مشرب بحمرة، يفرّج الله به عن هذه الأمة كل كرب، ويصرف بعدله كل جور، ثم يلي الأمر بعده اثنا عشر رجلاً: ستة من ولد الحسن وخمسة من ولد الحسين، وآخر من غيرهم، ثم يموت فيفسد الزمان). وعن كعب: (يكون اثنا عشر مهدياً، ثم ينزل روح الله فيقتل الدجال)^(١).

قال ابن حجر: الوجه الذي ذكره ابن المنادي ليس بواضح، ويعكر عليه ما أخرجه الطبراني من طريق قيس بن جابر الصديقي، عن أبيه عن جدّه رفعه: (سيكون من بعدي خلفاء، ثم من بعد الخلفاء أمراء، ومن بعد الأمراء ملوك، ومن بعد الملوك جبابرة، ثم يخرج من أهل بيتي يملأ الأرض عدلاً كما ملئت جوراً، ثم يؤمر القحطاني، فو الذي بعثني بالحق ما هو دونه)، فهذا يرد على ما نقله ابن المنادي من كتاب دانيال، وأما ما ذكره عن أبي صالح فواهٍ جداً، وكذا عن كعب^(٢).

أقول: الذي ذكره ابن المنادي ليس بظاهر البتة من أحاديث الخلفاء الاثني عشر المتقدمة، بل الظاهر منها خلافه، فإن الخطاب في قوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ: (يكون عليكم اثنا عشر خليفة) ظاهر في أنه لصحابته الباقيين بعده. ولأجل أنهم فهموا ذلك منه حصل من

(١) فتح الباري ١٣/ ١٨١.

(٢) المصدر السابق ١٣/ ١٨٢.

الضجيج ما حال دون سماع جابر بن سمرة باقي كلام رسول الله ﷺ، ولو كان الأمر لا يهتمهم لما كان ثمة ما يثير مشاعرهم إلى هذا الحد.

هذا مضافاً إلى أن الأحاديث الكثيرة الصحيحة التي ساقنا ما يكون في آخر الزمان لم تذكر هؤلاء الخلفاء الاثني عشر الذين أشار إليهم ابن المنادي في كلامه، اللهم إلا ما ذكره من كتاب دانيال، وهو كتاب مطعون فيه^(١)، لا يصح الاحتجاج به. والخبران الآخران واهيان كما قال ابن حجر، والأخير منهما لا دلالة فيه على ما احتج به عليه.

هذه هي أهم الأقوال التي وقفت عليها، وهي كلها - كما رأيت - ضعيفة واهية، لا يُصار إليها ولا يُعتمد عليها.

أئمة أهل البيت عليه السلام:

بعد فساد الأقوال السابقة نقول:

إن المراد بالخلفاء الاثني عشر الذين بشر بهم النبي ﷺ هم أئمة أهل البيت عليه السلام، ويدل على ذلك:

(١) قال القرطبي في كتابه التذكرة في أحوال الموتى وأمور الآخرة، ص ٦٩٥: قال الحافظ أبو الخطاب بن دحية: ودانيال نبي من أنبياء بني إسرائيل، كلامه عبراني، وهو على شريعة موسى بن عمران، وكان قبل عيسى بن مريم بزمان، ومن أسند مثل هذا إلى نبي عن غير ثقة أو توقيف من نبينا ﷺ فقد سقطت عدالته، إلا أن يبين وضعه لتصح أمانته، وقد ذكر في هذا الكتاب من الملاحم وما كان من الحوادث وسيكون، وجمع فيه التنافي والتناقض بين الضب والنون، وأغرب فيما أغرب في روايته عن ضرب من الهوس والجنون، وفيه من الموضوعات ما يكذب آخرها أولها، ويتعذر على المتأول لها تأويلها، وما يتعلق به جماعة من الزنادقة من تكذيب الصادق المصدوق ﷺ أن في سنة ثلاثمائة يظهر الدجال من يهودية أصبهان، وقد طعننا في أوائل سبعمائة في هذا الزمان، وذلك شيء ما وقع ولا كان، ومن الموضوع فيه المصنوع والتهافت الموضوع الحديث الطويل الذي استفتح به كتابه. فهلاً اتقى الله وخاف عقابه؟! وإن من أفضح فضيحة في الدين نقل مثل هذه الإسرايليات عن المهودين، فإنه لا طريق فيما ذكر عن دانيال إلا عنهم، ولا رواية تؤخذ في ذلك إلا منهم.

١ - أن هذه الأحاديث نصّت على العدد المعين - أي الاثني عشر - وهو عدد أئمة أهل البيت عليهم السلام بلا زيادة ولا نقصان.

ولا يصح أن يراد بهم ملوك بني أمية أو بني العباس كلهم، لأن هؤلاء يزيدون على هذا العدد بكثير، ولا أن يراد بعضهم دون بعض، لأنه لا مرجح في البين لأحد منهم على أحد. هذا مع أن جلّهم بل كلهم بعيد عن الأوصاف التي ساقتها هذه الأحاديث كما علمت مما سبق.

٢ - أن الأحاديث المذكورة أشارت إلى أوصافهم، فأوضحت أن الدين بهم يكون عزيزاً منيعاً قائماً، وأن أمر الناس بهم يكون صالحاً ماضياً. وهذا لا يتم إلا إذا قام بأمر الناس من يأخذ بهم إلى الخير والهدى والصالح، ويكون اتباعهم له سبباً لفوزهم ونجاتهم في الدين والدنيا.

ولا يختلف الناس في أن الإسلام يكون عزيزاً منيعاً قائماً، وأمر الناس يكون صالحاً ماضياً بعلماء أهل البيت الربانيين، الذين أجمعت الأمة على أنهم على الحق، وأن المتمسك بهم ناج لا محالة، وذلك لما مرّ من أنهم عصمة للأمة من الضلال، وجنّة لهم من الفرقة والاختلاف.

وأما غيرهم - ولا سيما بنو أمية - فإن الأمة لم تنل بولايتهم إلا التفرّق والوقوع في الفتن والمهالك، وهو مشهور لا يحتاج إلى بيان.

٣ - لقد مرّ آنفاً أن الغاية من ذكر هؤلاء الخلفاء ومدحهم في هذه الأحاديث هي الحثّ على اتباعهم والاهتداء بهم. والأحاديث التي تلونها عليك في الفصول السابقة - كحديث الثقلين وغيره - أزاحت الحجاب عمّن يلزم اتباعهم والاهتداء بهم، وهم أئمة أهل البيت عليهم السلام. فبالجمع بين هذه الأحاديث وتلك يتضح أن المراد هؤلاء الخلفاء هم أئمة العترة الطاهرة.

ولعلّ في قوله صلّى الله عليه وآله: (كلّهم من قريش) نوع إشارة إلى هذا المعنى، إذ أراد النبي صلّى الله عليه وآله أن يوضح أمر هؤلاء الأئمة وينص عليهم فحال ضجيجهم بينه وبين ذلك،

فاستغنى بالإشارة عن صريح العبارة.

بل ليس من البعيد أن يكون النبي ﷺ قد أوضح هذا الأمر ونصَّ على أن هؤلاء الأئمة من عترته أو من بني هاشم، إلا أن يد التحريف قد عبثت بهذه الأحاديث رعاية لمآرب أعداء آل محمد ﷺ من الحكام وغيرهم.

ويؤيد ذلك أنها رُويت هكذا في بعض كتب القوم، كما في ينايع المودة وغيره، عن جابر بن سمرة، قال: كنت مع أبي عند النبي ﷺ، فسمعتَه يقول: بعدي اثنا عشر خليفة. ثم أخفى صوته، فقلت لأبي: ما الذي أخفى صوته؟ قال: قال: كلهم من بني هاشم^(١).

والحاصل أن صلاح هؤلاء الأئمة، وحسن سيرتهم، وطيب سيرتهم، وأهليتهم للإمامة العظمى والخلافة الكبرى، مما اتفق عليه الشيعة وأهل السنة.

ولا بأس أن نثبت ما قلناه بسرد ما قاله علماء أهل السنة في كل واحد من هؤلاء الأئمة، ليكمل بذلك البحث، وتتم الفائدة، وإليك التفصيل.

الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام

(٢٣ ق. هـ - ٤ صلى الله عليه وآله)

قال السيوطي: علي رضي الله عنه أحد العشرة المشهود لهم بالجنة، وأخو رسول الله صلى الله عليه وآله بالمؤاخاة، وصهره على فاطمة سيدة العالمين رضي الله عنها، وأحد السابقين إلى الإسلام، وأحد العلماء الربانيين، والشجعان المشهورين، والزهاد المذكورين، والخطباء المعروفين، وأحد من جمع القرآن وعرضه على النبي عليه الصلاة والسلام... وهو أول خليفة من بني هاشم، وأبو السبطين، أسلم قديماً، بل قال ابن عباس وأنس وزيد بن أرقم وسلمان الفارسي وجماعة: إنه أول من أسلم. ونقل بعضهم الإجماع عليه... وكان عمره حين أسلم عشر سنين، وقيل: تسع، وقيل: ثمان، وقيل دون ذلك...

إلى أن قال: وشهد مع رسول الله صلى الله عليه وآله بدرًا وأحدًا وسائر المشاهد إلا تبوك، فإن النبي صلى الله عليه وآله استخلفه على المدينة، وله في جميع المشاهد آثار مشهورة، وأعطاه النبي عليه الصلاة والسلام اللواء في مواطن كثيرة... وأحواله في الشجاعة وآثاره في

الحروب مشهورة^(١).

وقال الإمام النووي: كنية علي رضي الله عنه أبو الحسن، وكناه رسول الله ﷺ أبا تراب، فكان أحب ما يُنادي به إليه. وهو أخو رسول الله ﷺ بالمؤاخاة، وصهره علي فاطمة سيّدة نساء العالمين، وأبو السبطين، وأول هاشمي ولد بين هاشميين، وأول خليفة من بني هاشم، وهو أحد العشرة الذين شهد لهم رسول الله ﷺ بالجنّة، وأحد الستة أصحاب الشورى الذين توفي رسول الله ﷺ وهو عنهم راض، وأحد الخلفاء الراشدين، وأحد العلماء الربانيين، والشجعان المشهورين، والزهاد المذكورين، وأحد السابقين إلى الإسلام^(٢).

وقال ابن عبد البر: وقد أجمعوا أنه - أي علياً عليه السلام - أول من صلّى القبلتين، وهاجر، وشهد بدرًا وأحدًا وسائر المشاهد، وأنه أبلى بيدر وأحد والخندق وخيبر البلاء العظيم، وكان لواء رسول الله ﷺ بيده في مواطن كثيرة، ولم يتخلف إلا في تبوك، خلفه رسول الله ﷺ على المدينة، وقال: أنت منّي بمنزلة هارون من موسى إلا أنه لا نبي بعدي^(٣).

وقال سعيد بن المسيب: لم يكن أحد من الصحابة يقول: (سلوني) إلا علي^(٤).

وقال: كان عمر بن الخطاب يتعوّذ بالله من معضلة ليس فيها أبو الحسن^(٥).

وعن أبي هريرة، قال: قال عمر بن الخطاب: علي أقضانا^(٦).

وقال مسروق: انتهى علم أصحاب رسول الله عليه الصلاة والسلام إلى عمر

(١) تاريخ الخلفاء، ص ١٥٥.

(٢) تهذيب الأسماء واللغات ١/ ٣٤٤.

(٣) الاستيعاب ٣/ ٣٣.

(٤) تهذيب الأسماء واللغات ١/ ٣٤٦. تاريخ الخلفاء، ص ١٦٠. تاريخ الإسلام ٢/ ٦٣٨. الاستيعاب

٤٠/٣.

(٥) تاريخ الخلفاء، ص ١٦٠. الطبقات الكبرى ٢/ ٣٣٩. الاستيعاب ٣/ ٣٩. تاريخ الإسلام ٢/ ٦٣٨.

(٦) الطبقات الكبرى ٢/ ٣٣٩. الاستيعاب ٣/ ٣٨-٣٩.

وعلي وابن مسعود وعبد الله رضي الله عنهم^(١).

وقال عبد الله بن عياش: كان لعلي ما شئت من ضرر س قاطع في العلم، وكان له البسطة في العشيرة، والقدم في الإسلام، والعهد برسول الله ﷺ، والفقہ في السنة، والنجدة في الحرب، والجود في المال^(٢).

وعن ابن عباس، قال: إذا حدثنا ثقة عن علي بفتيا لا نعدوها^(٣).

وقال: أعطي علي تسعة أعشار العلم، والله لقد شاركهم في العشر الباقي^(٤).

وقال الإمام النووي: وأما علمه فكان من العلوم بالمحل العالي... وسؤال كبار الصحابة له، ورجوعهم إلى فتاويه وأقواله في المواطن الكثيرة والمسائل المعضلات مشهور. وأما زهده فهو من الأمور المشهورة التي اشترك في معرفتها الخاص والعام... إلى أن قال: وأحوال علي رضي الله عنه وفضائله في كل شيء مشهورة غير منحصرة^(٥).

ما قيل في فضائله:

قال الإمام أحمد بن حنبل: ما جاء لأحد من الصحابة من الفضائل ما جاء لعلي^(٦).

وقال إسماعيل القاضي والنسائي وأبو علي النيسابوري: لم يرد في حق أحد من الصحابة بالأسانيد الحسان أكثر مما جاء في علي^(٧).

(١) تاريخ الخلفاء، ص ١٦٠. تاريخ الإسلام ٦٣٨/٢.

(٢) تاريخ الخلفاء، ص ١٦٠. الاستيعاب ٤٣/٣.

(٣) الطبقات الكبرى ٣٣٨/٢. الاستيعاب ٤٠/٣. تاريخ الخلفاء، ص ١٦٠.

(٤) تهذيب الأسماء واللغات ٣٤٦/١. الاستيعاب ٤٠/٣.

(٥) تهذيب الأسماء واللغات ٣٤٥/١.

(٦) المستدرک ١٠٧/٣. الصواعق المحرقة، ص ١٤٨. تاريخ الإسلام ٦٣٨/٢. تاريخ الخلفاء، ص ١٥٧.

الاستيعاب ٥١/٣.

(٧) الصواعق المحرقة، ص ١٤٨. نور الأبصار، ص ١٤٢.

وأخرج الطبراني في الأوسط عن ابن عباس، قال: كانت لعلي ثمان عشرة منقبة ما كانت لأحد من هذه الأمة^(١).

وأخرج أحمد بسند صحيح عن ابن عمر - في حديث له - قال: ولقد أوتي ابن أبي طالب ثلاث خصال، لأن يكون لي واحدة منهن أحب إليّ من حمر النعم: زوجة رسول الله ﷺ ابنته وولدت له، وسدّ الأبواب إلا بابه في المسجد، وأعطاه الراية يوم خيبر^(٢).

وأخرج مسلم في الصحيح عن سعد بن أبي وقاص، قال: أمر معاوية بن أبي سفيان سعداً، فقال: ما منعك أن تسب أبا تراب؟ فقال: أمّا ما ذكرت ثلاثاً قالهن له رسول الله ﷺ فلن أسبّه، لأن تكون لي واحدة منهن أحب إليّ من حمر النعم. سمعت رسول الله ﷺ يقول له، خلّفه في بعض مغازيه، فقال له عليّ: خلّفني مع النساء والصبيان؟ فقال له رسول الله ﷺ: أما ترضى أن تكون مني بمنزلة هارون من موسى، إلا أنه لا نبوة بعدي. وسمعت يقول يوم خيبر: لأعطين الراية رجلاً يحب الله ورسوله، ويحبه الله ورسوله. قال: فتناولنا لها، فقال: ادعوا لي علياً. فأتي به أرمداً، فبصق في عينه، ودفع إليه الراية، ففتح الله عليه. ولما نزلت هذه الآية ﴿فقل تعالوا ندع أبناءنا وأبناءكم﴾^(٣) دعا رسول الله ﷺ علياً وفاطمة وحسناً، فقال: اللهم هؤلاء أهلي^(٤).

وأخرج الحاكم عن عمر بن الخطاب قال: لقد أعطى علي بن أبي طالب ثلاث خصال، لأن تكون لي خصلة منها أحب إلي من أن أعطى حمر النعم. قيل: وما هنّ يا

(١) مجمع الزوائد ٩/ ١٢٠. تاريخ الخلفاء، ص ١٦١.

(٢) مسند أحمد ٢/ ٢٦. وهذا الحديث صحّحه السيوطي في تاريخ الخلفاء، ص ١٦١. مجمع الزوائد

٩/ ١٢٠، قال: رواه أحمد وأبو يعلى ورجالهما رجال الصحيح.

(٣) سورة آل عمران، الآية ٦١.

(٤) صحيح مسلم ٤/ ١٨٧١ كتاب فضائل الصحابة، باب فضائل علي بن أبي طالب. سنن الترمذي

أمير المؤمنين؟ قال: تزوجه فاطمة بنت رسول الله ﷺ، وسكناه المسجد مع رسول الله ﷺ، يحل له فيه ما يحل له، والراية يوم خيبر^(١).

وأخرج الحاكم عن ابن عباس قال: لعلي أربع خصال ليست لأحد: هو أول عربي وأعجمي صلى مع رسول الله ﷺ، وهو الذي كان لواؤه معه في كل زحف، والذي صبر معه يوم المهراس^(٢)، وهو الذي غسله وأدخله قبره^(٣).

وأخرج ابن عساکر عن ابن عباس قال: ما نزل في أحد من كتاب الله تعالى ما نزل في علي. قال: نزلت في علي ثلاثمائة آية^(٤).

من فضائل علي عليه السلام:

فضائل أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام أكثر من أن تُحصَر، وأشهر من أن تذكر، وسنذكر إن شاء الله ما فيه الكفاية لنيل المقصود والوصول إلى الغاية.

فمن فضائله عليه السلام:

١ - علي عليه السلام أول الناس إسلاماً:

أخرج الطبراني عن أبي إسحاق: إن علياً لما تزوج فاطمة قالت للنبي ﷺ: زوّجتنه أعيّش عظيم البطن. فقال النبي ﷺ: لقد زوجتك وإنه لأول أصحابي سلماً - أي إسلاماً - وأكثرهم علماً، وأعظمهم حِلماً^(٥).

وعن معقل بن يسار - في حديث - أن النبي ﷺ قال لفاطمة: أما ترضين أن

(١) المستدرک ٣/ ١٢٥.

(٢) يوم المهراس هو يوم أحد، جاء فيه علي عليه السلام بقاء من مهراس. والمهراس: صخرة منقورة تسع كثيراً من الماء.

(٣) المستدرک ٣/ ١١١. الاستيعاب ٣/ ٢٧. ترجمة الإمام علي بن أبي طالب من تاريخ ابن عساکر ١/ ١٦١.

(٤) تاريخ الخلفاء، ص ١٦١.

(٥) عن مجمع الزوائد ٩/ ١٠٢. قال الهيثمي: رواه الطبراني وهو مرسل صحيح الإسناد. در السحابة، ص

أزوجك أقدم أمتي سلماً، وأكثرهم علماً، وأعظمهم حليماً^(١).

أخرج الحاكم وابن سعد وأحمد والترمذي والنسائي وغيرهم عن زيد بن أرقم، قال: إن أول من أسلم مع رسول الله ﷺ علي بن أبي طالب^(٢).

وأخرج الطبراني عن سلمان، قال: أول هذه الأمة وروداً على نبيها ﷺ أولها إسلاماً: علي بن أبي طالب رضي الله عنه^(٣).

وعن ابن عباس، قال: علي بن أبي طالب أول من آمن من الناس بعد خديجة^(٤).

وأخرج أحمد عن علي، قال: أنا أول من صلى مع رسول الله ﷺ^(٥).

وعن علي عليه السلام - في حديث - قال: اللهم لا أعترف عبداً من هذه الأمة عبدك قبلي غير نبيك - ثلاث مرات - لقد صليت قبل أن يصلي الناس سبعة^(٦).

وأخرج الحاكم وغيره عن أنس، قال: نُبئ النبي ﷺ يوم الاثنين، وأسلم علي يوم الثلاثاء^(٧).

وعن بريدة - في حديث - قال: أُوحى إلى رسول الله ﷺ يوم الاثنين، وصلى

(١) المصدر السابق ١٠١/٩، قال: رواه أحمد والطبراني، وفيه خالد بن طهمان، وثقه أبو حاتم وغيره، وبقية رجاله ثقات.

(٢) المستدرک ١٣٦/٣. وصححه ووافقه الذهبي. الطبقات الكبرى ٢١/٣. مسند أحمد ٤/٣٦٨. سنن الترمذي ٥/٦٤٢. وصححه. خصائص المؤمنين، ص ٣٣. راجع حواشي إحقاق الحق ٧/٤٩٢-٥٧٦. وترجمة الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام، من تاريخ ابن عساكر ١/٤١-١١٦.

(٣) عن مجمع الزوائد ١٠٢/٩، وقال: رواه الطبراني ورجاله ثقات. الاستيعاب ٢/٤٥٧.

(٤) الاستيعاب ٣/٢٨. وقال: قال أبو عمر رضي الله عنه: هذا إسناد لا مطعن فيه لأحد لصحته وثقة نقلته.

(٥) مسند أحمد ١/١٤١. مجمع الزوائد ٩/١٠٣، قال: رواه أحمد ورجاله رجال الصحيح غير حبة العرنبي، وقد وثق.

(٦) مسند أحمد ١/٩٩. مجمع الزوائد ٩/١٠٢، قال: رواه أحمد وأبو يعلى باختصار والبزار والطبراني في الأوسط، وإسناده حسن. در السحابة، ص ٢٠٦ وحسنه.

(٧) المستدرک ٣/١١٢، وقال: صحيح الإسناد ولم يخرجاه. ووافقه الذهبي. در السحابة، ص ٢٠٧ ووثق رجاله.

علي يوم الثلاثاء^(١).

قال السيوطي: قال ابن عباس وأنس وزيد بن أرقم وسلمان الفارسي وجماعة^(٢): إنه أول من أسلم. ونقل بعضهم الإجماع عليه^(٣).

وقال ابن عبد البر: قال ابن شهاب وعبد الله بن محمد بن عقيل وقتادة وابن إسحاق: أول من أسلم من الرجال علي. واتفقوا على أن خديجة أول من آمن بالله ورسوله، وصدّقه فيما جاء به، ثم علي بعدها.

وقال: سئل محمد بن كعب القرظي عن أول من أسلم، أعلي أم أبو بكر رضي الله عنهما؟ قال: سبحان الله، علي أولهما إسلاماً، وإنما شُبّه على الناس لأن علياً أخفى إسلامه [خوفاً] من أبي طالب، وأسلم أبو بكر فأظهر إسلامه، ولا شك أن علياً عندنا أولهما إسلاماً^(٤).

٢ - علي عليه السلام مولى كل مؤمن ومؤمنة:

أخرج الترمذي وأحمد وغيرهما عن زيد بن أرقم وغيره، عن النبي صلى الله عليه وسلم، قال: من كنت مولاه فعلي مولاه^(٥).

(١) المستدرک ١١٢/٣.

(٢) منهم: أبو ذر والمقداد وخباب وجابر وأبو سعيد كما في أسد الغابة ١٨/٤. والاستيعاب ٢٧/٣. ومنهم: أبو رافع، وعفيف بن عبد الله الكندي، وأبو أيوب الأنصاري، وعبد الرحمن بن عوف، وسعد بن أبي وقاص، وبريدة الأسلمي، والبراء بن عازب، وعبد الله بن مسعود، وحذيفة بن اليمان، وكعب بن زهير، وخزيمة بن ثابت وغيرهم خلق كثير. راجع ترجمة الإمام علي بن أبي طالب من تاريخ دمشق ٤١/١ - ١١٦، الغدير ٢٢٤/٣ وما بعدها.

(٣) تاريخ الخلفاء، ص ١٥٦.

(٤) الاستيعاب ٢٩/٣. للاطلاع على المزيد راجع كتاب الغدير للأميني ٢١٩/٣ - ٢٤٣.

(٥) سنن الترمذي ٦٣٣/٥، كتاب المناقب، باب مناقب علي بن أبي طالب رضي الله عنه. وقال: هذا حديث حديث حسن صحيح. المستدرک ١٠٩/٣، ١١٠ وصحّحه ووافقه الذهبي. مسند أحمد ١/٨٤، ١١٨، ١١٩، ١٥٢، ٣٢١، ٤/٢٨١، ٣٦٨، ٣٧٠، ٣٧٢، ٥/٣٤٧، ٣٦٦، ٤١٩. حلية الأولياء ٤/٢٣، ٥/٢٧، ٣٦٤. سنن ابن ماجه ٤٣/١. مجمع الزوائد ٩/١٠٣ - ١٠٦. كتاب السنة، ص ٥٩٠ - ٥٩٦.

والمراد بالمولى هنا هو الأولى بالتصرف، فالمولى والولي شيء واحد، بدليل ما ورد في كثير من طرق الحديث، أن النبي ﷺ قال: أيها الناس، ألسنت أولى بكم من أنفسكم؟ قالوا: بلى يا رسول الله. قال: فمن كنت مولاه فعلي مولاه.
 وقوله ﷺ: (إن علياً مني وأنا منه، وهو ولي كل مؤمن بعدي)^(١) شاهد على ذلك.

قال المناوي: قال الحرالي: والمولى هو الولي اللازم للولاية، القائم بها، الدائم عليها لمن تولاه، بإسناد أمره إليه فيها هو ليس بمستطيع له^(٢).
 وهذا دليل صحيح واضح على إمامة علي عليه السلام دون سواه.

٣- منزلة علي عليه السلام من النبي ﷺ كمنزلة هارون من موسى:

أخرج البخاري ومسلم وغيرهما عن سعد، قال: قال النبي ﷺ لعلي: أما ترضى أن تكون مني بمنزلة هارون من موسى غير أنه لا نبي بعدي^(٣).

عدّه السيوطي في (قطف الأزهار المتناثرة)، ص ٢٧٧ من الأحاديث المتواترة، وكذا الكتاني في (نظم المتناثر)، ص ٢٠٦، والزبيدي في (لقط اللآلئ المتناثرة)، ص ٢٠٥، والحافظ شمس الدين الجزري في (أسنى المطالب)، ص ٥، والألباني في سلسلته الصحيحة ٣٤٣/٤. وصححه جمع من الأعلام كما سيأتي في الفصل التاسع.

(١) سيأتي تخريج مصادره، في الفصل التاسع.

(٢) فيض القدير ٣٥٨/٤.

(٣) صحيح البخاري ٢٤/٥ باب مناقب علي بن أبي طالب رضي الله عنه. صحيح مسلم ٤/١٨٧٠ - ١٨٧١ باب من فضائل علي بن أبي طالب رضي الله عنه. سنن الترمذي ٦٣٨/٥ وصححه. سنن ابن ماجه ٤٢/١. مسند أحمد ١/١٧٠، ١٧٣، ١٧٤، ١٧٥، ١٧٧، ١٧٩، ١٨٢، ١٨٤، ١٨٥، ٣٣٠، ٣٣٢/٣، ٣٣٨، ٣٦٩/٦، ٤٣٨. المستدرک ٣/١٠٩. وقال: حديث صحيح. ووافقه الذهبي. مجمع الزوائد ١٠٩/٩ ووثق رجال بعض طرقه. حلية الأولياء ٧/١٩٤، ١٩٦ وقال: صحيح مشهور. خصائص النسائي، ص ١٠٦ - ١١٠. فضائل الصحابة ٢/٥٦٦. مسند أبي داود الطيالسي، ص ٢٩. السنن الكبرى ٩/٤٠. وعدّه السيوطي في (قطف الأزهار المتناثرة)، ص ٢٨١ من الأحاديث المتواترة. وكذا الكتاني في (نظم المتناثر)، ص ٢٠٦، والزبيدي في (لقط اللآلئ المتناثرة)، ص ٣١.

وسيأتي لهذا الحديث مزيد بيان في الفصل التاسع إن شاء الله تعالى.

٤- علي عليه السلام يحب الله ورسوله ويحبّانه:

أخرج البخاري ومسلم وغيرهما عن سعد وغيره، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: لأعطين الراية غداً رجلاً يفتح الله على يديه، يحب الله ورسوله، ويحبه الله ورسوله^(١).

٥ - علي عليه السلام مع القرآن والقرآن معه:

أخرج الحاكم وغيره عن أم سلمة قالت: سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله : علي مع القرآن والقرآن مع علي، لن يتفرقا حتى يردا عليّ الحوض^(٢).

٦ - علي عليه السلام مع الحق والحق معه، يدور الحق معه حيثما دار:

أخرج أبو يعلى وغيره عن أبي سعيد الخدري، قال: كنا عند بيت النبي صلى الله عليه وآله في نفر من المهاجرين والأنصار، فقال: ألا أخبركم بخياركم؟ قالوا: بلى. قال: الموفون المطيبون، إن الله يحب الحفي التقي. قال: ومرّ علي بن أبي طالب فقال: الحق مع ذا، الحق مع ذا^(٣).

وأخرج البزار عن حذيفة بن اليمان، قال: انظروا إلى الفرقة التي تدعو إلى أمر علي فالزموها، فإنها على الهدى^(٤).

وأخرج الحاكم عن علي رضي الله عنه، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله : اللهم أدر الحق معه حيث دار^(٥).

(١) صحيح البخاري ٢٢/٥ - ٢٣. صحيح مسلم ١٨٧١/٤ - ١٨٧٢. سنن الترمذي ٦٣٨/٥ وقال: حديث حسن صحيح. مسند أحمد ١/٧٨، ٩٩، ١٣٣، ١٨٥، ٣٣٠، ٣٣٣/٥، ٣٥٨، المستدرک ٣/٣٨، ١٠٩، ٤٣٧ وصحّحه ووافقه الذهبي.

(٢) المستدرک ٣/١٢٤ قال: هذا حديث صحيح الإسناد. ووافقه الذهبي. انظر مصادره في إحقاق الحق ٦٣٩/٥، وترجمة الإمام علي بن أبي طالب من تاريخ دمشق ٣/١٥٩.

(٣) مجمع الزوائد ٧/٢٣٤ - ٢٣٥ قال: رواه أبو يعلى ورجاله ثقات.

(٤) المصدر السابق ٧/٢٣٦ قال: رواه البزار ورجاله ثقات.

(٥) المستدرک ٣/١٢٤ - ١٢٥ قال: هذا الحديث صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه. سنن الترمذي

وأخرج البزار أيضاً عن أبي ذر قال: قال رسول الله ﷺ لعلي: يا علي من فارقني فارق الله، ومن فارقك يا علي فارقني^(١).

قال الفخر الرازي: ومن اقتدى في دينه بعلي بن أبي طالب فقد اهتدى، والدليل عليه قوله ﷺ: اللهم أدر الحق مع علي حيث دار^(٢).

٧- النظر إلى وجه علي ﷺ عبادة:

أخرج الحاكم وغيره عن عبد الله بن مسعود، قال: قال رسول الله ﷺ: النظر إلى وجه علي عبادة^(٣).

٨- علي ﷺ أخو النبي ﷺ في الدنيا والآخرة:

أخرج الترمذي وغيره، عن ابن عمر قال: آخى رسول الله ﷺ بين أصحابه، فجاء علي تدمع عيناه، فقال: يا رسول الله، آخيت بين أصحابك ولم تؤاخ بيني وبين أحد؟ فقال له رسول الله ﷺ: أنت أخي في الدنيا والآخرة^(٤).

أقول: لقد ذكر هذه المؤاخاة كثير ممن ترجم أمير المؤمنين ﷺ وقد تقدم شيء من ذلك.

٩- علي ﷺ باب مدينة العلم:

أخرج البزار والطبراني والترمذي والحاكم عن علي ﷺ وغيره، قال: قال رسول الله ﷺ: أنا مدينة العلم وعلي بابها. فمن أراد العلم فليأت الباب^(٥).

(١) مجمع الزوائد ٩/١٣٥ قال: رواه البزار ورجاله ثقات. در السحابة، ص ٢٢٦ ووثق رجاله. راجع ما كتبه الشيخ الأميني في كتابه (الغدِير) ٣/١٧٦ حول هذا الحديث.

(٢) التفسير الكبير ١/٢٠٥.

(٣) المستدرک ٣/١٤١ - ١٤٢ وصححه ووافقه الذهبي. تاريخ الخلفاء، ص ١٦١ وقال: إسناده حسن. در السحابة، ص ٢٠٤.

(٤) سنن الترمذي ٥/٦٣٦ وقال: هذا حديث حسن غريب. المستدرک ٣/١٤. راجع كتاب (الغدِير) ٣/١١٢ - ١٢٥ لتقف على المزيد من مصادر هذا الحديث.

(٥) سنن الترمذي ٥/٦٣٧ إلا أنه قال: أنا دار الحكمة... المستدرک ٣/١٢٦ - ١٢٧. راجع مصادر هذا

قال الحاكم: هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه.

وقال السيوطي: هذا حديث حسن على الصواب، لا صحيح كما قال الحاكم، ولا موضوع كما قاله جماعة منهم ابن الجوزي والنووي، وقد بينت حاله في التعقيبات على الموضوعات^(١).

وقال ابن حجر في فتاويه: إنه من قسم الحسن، لا يرتقي إلى الصحة، ولا ينحط إلى الكذب^(٢).

وقال الحافظ العلاءي: الصواب أنه حسن باعتبار، لا صحيح ولا ضعيف^(٣).

وقال الزركشي: الحديث ينتهي إلى درجة الحسن المحتج به، ولا يكون ضعيفاً فضلاً عن كونه موضوعاً^(٤).

١ علي عليه السلام لا يجبه إلا مؤمن، ولا يبغضه إلا منافق:

أخرج مسلم والنسائي وابن ماجه والترمذي وأحمد، عن علي عليه السلام قال: والذي فلق الحبة وبرأ النسمة، إنه لعهد النبي الأمي إلى أنه لا يحبني إلا مؤمن، ولا يبغضني إلا منافق^(٥).

وعن أبي سعيد الخدري، قال: إننا كنا لنعرف المنافقين نحن معشر الأنصار يبغضهم علي بن أبي طالب^(٦).

الحديث في كتاب (إحقاق الحق) ٥/٤٦٨، وترجمة الإمام علي عليه السلام من تاريخ ابن عساكر ٢/٤٥٩،

وكتاب (الغدِير) ٦/٦١ - ٨١.

(١) تاريخ الخلفاء، ص ١٥٩.

(٢) عن فيض القدير ٣/٤٦.

(٣) المصدر السابق ٣/٤٧.

(٤) المصدر نفسه.

(٥) سيأتي تحريجه في الفصل التاسع. وللمزيد راجع كتاب الغدير ٣/١٨٢ - ١٨٨، وكتاب إحقاق الحق

٧/١٨٩ - ٢١٥، وترجمة الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام من تاريخ دمشق ٢/١٩٠ - ٢١٠.

(٦) سنن الترمذي ٥/٦٣٥.

١١- علي عليه السلام سيّد العرب:

أخرج الحاكم وأبو نعيم والخطيب البغدادي وغيرهم، عن عائشة وغيرها، أن النبي صلّى الله عليه وآله قال: أنا سيّد ولد آدم، وعلي سيّد العرب ^(١).

١٢- علي عليه السلام خشن في ذات الله:

أخرج أحمد والحاكم وأبو نعيم، عن أبي سعيد الخدري، قال: شكى علي بن أبي طالب الناس إلى رسول الله صلّى الله عليه وآله، فقام فينا خطيباً، فسمعتة يقول: أيها الناس، لا تشكوا علياً. فوالله إنه لأخشن في ذات الله وفي سبيل الله ^(٢).

١٣- علي عليه السلام ممن أمر النبي بحبهم:

أخرج الترمذي وابن ماجه وأحمد وغيرهم، عن بريدة، قال: قال رسول الله صلّى الله عليه وآله: إن الله أمرني بحب أربعة، وأخبرني أنه يحبهم، قيل: يا رسول الله سمّمهم لنا. قال: علي منهم - يقول ذلك ثلاثاً - وأبو ذر والمقداد وسلمان، أمرني بحبهم، وأخبرني أنه يحبهم ^(٣).

١٤- علي عليه السلام ممن تشاقت الجنة إليهم:

أخرج الحاكم والطبراني وأبو نعيم وغيرهم، عن أنس وغيره، قال: قال رسول الله صلّى الله عليه وآله: اشتاقت الجنة إلى ثلاثة: علي وعمار وسلمان ^(٤).

(١) المستدرک ٣/ ١٢٤ وقال: حديث صحيح الإسناد. حلية الأولياء ١/ ٦٣. تاريخ بغداد ١١/ ٨٩. ترجمة

الإمام علي من تاريخ ابن عساکر ٢/ ٢٦١. در السحابة، ص ٢١٤.

(٢) مسند أحمد ٣/ ٨٦. المستدرک ٣/ ١٣٤ قال: هذا حديث صحيح الإسناد. ووافقه الذهبي. حلية الأولياء

١/ ٦٨. در السحابة، ص ٢٢٣ ووثق رجاله.

(٣) سنن الترمذي ٥/ ٦٣٦ وقال: هذا حديث حسن. سنن ابن ماجه ١/ ٥٣، مسند أحمد ٥/ ٣٣٣، ٣٥١،

٣٥٦. المستدرک ٣/ ١٣٠ وقال: هذا حديث صحيح على شرط مسلم. حلية الأولياء ١/ ١٧٢، ١٩٠.

راجع مصادر هذا الحديث في إحقاق الحق ٦/ ٢٠٠، وترجمة الإمام علي عليه السلام من تاريخ ابن عساکر

٢/ ١٧٢.

(٤) المستدرک ٣/ ١٣٧ وقال: هذا حديث صحيح الإسناد. ووافقه الذهبي. حلية الأولياء ١/ ١٤٢، ١٩٠.

١٥- أمر النبي ﷺ بسد الأبواب إلا باب علي الصلاه عليه وآله :

أخرج الترمذي وأحمد والحاكم وغيرهم، عن ابن عباس وغيره، أن رسول الله ﷺ أمر بسد الأبواب إلا باب علي (١).

وعن سعد قال: أمرنا رسول الله ﷺ بسد الأبواب الشارعة في المسجد وترك باب علي رضي الله عنه (٢).

وعن أبي سعيد قال: قال رسول الله ﷺ لعلي: يا علي لا يحل لأحد يجنب في هذا المسجد غيري وغيرك (٣).

وأورد السيوطي بعض طرق حديث سد الأبواب إلا باب علي، وصحح بعضها وحسن بعضها الآخر، ثم قال: قد ثبت بهذه الأحاديث الصحيحة، بل المتواترة، أنه ﷺ منع من فتح باب شارع إلى مسجد، ولم يأذن في ذلك لأحد، ولا لعمه العباس، ولا لأبي بكر، إلا لعلي (٤).

وقال الشوكاني: بالجملة فالحديث ثابت لا يحل لمسلم أن يحكم ببطلانه، وله

مجمع الزوائد ٣٣٠/٩ قال: رواه البزار وإسناده حسن، ٣٤٤/٩ وقال: رواه الطبراني، ورجاله رجال الصحيح، غير أبي ربيعة الأيادي وقد حسن الترمذي حديثه.

(١) سنن الترمذي ٦٤١/٥، المستدرک ١٢٥/٣. وقال: هذا حديث صحيح الإسناد. وأقره الذهبي. مجمع الزوائد ١١٤/٩ قال: وإسناد أحمد حسن. مسند أحمد ١/١٧٥، ٣٣٠، ٢٦/٢، ٤/٣٦٩. راجع مصادر هذا الحديث في كتاب (الغدیر) ٢٠٢/٣ - ٢١٥. وإحقاق الحق ٥/٥٤٠ - ٥٧٠، الحاوي للفتاوي ١٥/٢.

(٢) مسند أحمد بن حنبل ١/١٧٥. قال ابن حجر في فتح الباري ١١/٧: أخرجه أحمد والنسائي وإسناده قوي. ثم ساق بعض طرق هذا الحديث ووثق رجال بعض إسناده، وحسن بعضها آخر منها، ثم قال: وهذه الأحاديث يقوي بعضها بعضاً، وكل طريق منها صالح للاحتجاج فضلاً عن مجموعها.

(٣) سنن الترمذي ٦٣٩/٥ وقال: هذا حديث حسن غريب. السنن الكبرى ٦٦/٧. راجع مصادر هذا الحديث في إحقاق الحق ٥/٥٧٠.

(٤) الحاوي للفتاوي ١٦/٢.

طرق كثيرة جداً^(١).

١٦- علي من النبي ﷺ والنبي منه:

أخرج البخاري والترمذي وابن ماجه والحاكم وأبو نعيم وأحمد، عن حبشي بن جنادة وغيره، أن النبي ﷺ قال لعلي: أنت مني وأنا منك.

وفي بعضها، قال: علي مني، وأنا من علي، ولا يؤدي عني إلا أنا أو علي^(٢).

قال ابن حجر: قوله: وقال لعلي: أنت مني وأنا منك - أي في النسب والصهر والمسابقة والمحبة وغير ذلك من المزايا، ولم يرد محض القرابة، وإلا فجعفر شريكه فيها^(٣). وهو قول الملا علي القاري والمناوي وغيرهما^(٤).

١٧- علي عليه السلام أحب الخلق إلى الله:

أخرج الترمذي والحاكم وأبو نعيم والخطيب البغدادي، عن أنس بن مالك، قال: كان عند النبي ﷺ طير، فقال اللهم ائتني بأحب خلقك إليك يأكل معي هذا الطير. فجاء علي فأكل معه^(٥).

(١) الفوائد المجموعة، ص ٣٦٦.

(٢) صحيح البخاري ٢٢/٥ كتاب المناقب، باب مناقب علي بن أبي طالب. سنن الترمذي ٦٣٦/٥ وقال: حديث حسن. سنن ابن ماجه ٤٤/١. مسند أحمد ٤٨٣/٣، ١٦٤/٤، ١٦٥، ٢٠٤/٥. المستدرک ١١٠/٣ وقال: هذا حديث صحيح على شرط مسلم. وأقره الذهبي. حلية الأولياء ٢٩٤/٦. سلسلة الأحاديث الصحيحة ٢٦١/٥. راجع مصادر هذا الحديث في إحقاق الحق ٢٧٤/٥ - ٣١٧.

(٣) فتح الباري ٤٠٩/٧.

(٤) مرقة المفاتيح ٤٦١/١٠. فيض القدير ٣٥٧/٤.

(٥) سنن الترمذي ٦٣٦/٥. المستدرک ١٣٠/٣ - ١٣٢ وقال: هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه، وقد رواه عن أنس جماعة من أصحابه زيادة على ثلاثين نفساً ثم صحّت الرواية عن علي وأبي سعيد الخدري وسفيينة. خصائص أمير المؤمنين علي بن أبي طالب، ص ٥٠. مجمع الزوائد ١٢٥/٩ - ١٢٦ وقال: رواه البزار والطبراني باختصار، ورجال الطبراني رجال الصحيح غير فطر بن خليفة، وهو ثقة. حلية الأولياء ٣٣٩/٦. تاريخ الإسلام ٦٣٣/٢ وقال: له طرق كثيرة عن أنس متكلم فيها، وبعضها على شرط السنن. تاريخ بغداد ١٧١/٣، ٣٦٩/٩، ٣٧٦/١١. راجع مصادر هذا

أقول: لقد أنكر أكثر القوم هذا الحديث، وضعّفوه مع صحة سنده، وكثرة طرقة التي تلحقه بالحسن على الأقل، وذلك لأنه يخالف المعتقد الموروث بتفضيل غيره عليه. ومن لم يجسر على رد هذا الحديث أوّله بما يخرجه عن أن يكون فضيلة لعلي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ذات شأن.

١٨- من آذى علياً صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فقد آذى رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ :

أخرج أحمد والحاكم وغيرهما، عن عمرو بن ساش الأسلمي - في حديث - أن رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: مَنْ آذى علياً فقد آذاني ^(١).

١٩- مَنْ سَبَّ علياً صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فقد سَبَّ رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ :

أخرج أحمد والحاكم وغيرهما، عن أم سلمة، قالت: سمعت رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يقول: مَنْ سَبَّ علياً فقد سَبَّني، ومن سَبَّني فقد سَبَّ الله تعالى ^(٢).

٢- مَنْ أَحَبَّ علياً صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فقد أَحَبَّ رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَمَنْ أَبْغَضَهُ أَبْغَضَهُ :

أخرج الحاكم والخطيب البغدادي وغيرهما، عن سلمان الفارسي، قال: سمعت رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يقول: من أحب علياً فقد أحبني، ومن أبغض علياً فقد أبغضني ^(٣).

الحديث في إحقاق الحق ٥/٣١٨-٣٦٨.

(١) مسند أحمد ٣/٤٨٣. المستدرک ٣/١٢٢. وقال: هذا حديث صحيح الإسناد. ووافقه الذهبي. مجمع الزوائد ٩/١٢٩ وقال: رواه أحمد والطبراني... ورجال أحمد ثقات... وقال أيضاً: رواه أبو يعلى والبخاري باختصار، ورجال أبي يعلى رجال الصحيح، غير محمود بن خدّاش وقنان، وهما ثقتان. الجامع الصغير ٢/٥٤٧ ورمز له بالصحة. سلسلة الأحاديث الصحيحة ٥/٣٧٣ وقال: وبالجملة، فالحديث صحيح بمجموع هذه الطرق.

(٢) مسند أحمد ٦/٣٢٣. المستدرک ٣/١٢١ وقال: هذا حديث صحيح الإسناد. ووافقه الذهبي. مجمع الزوائد ٩/١٣٠ وقال: رواه أحمد ورجاله رجال الصحيح، غير أبي عبد الله الجليلي، وهو ثقة. الجامع الصغير ٢/٦٠٨ ورمز له بالصحة.

(٣) المستدرک ٣/١٣٠ وقال: هذا حديث صحيح على شرط الشيخين... ووافقه الذهبي. تاريخ بغداد ١٣/٣٢. الجامع الصغير ٢/٥٥٤ ورمز له بالصحة، وتابعه في تصحيح الحديث الألباني في صحيح الجامع الصغير ٢/١٠٣٤، وسلسلة الأحاديث الصحيحة ٣/٢٨٨.

٢١- إن الشمس رُدَّت لعلِّي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:

أخرج الطبراني والطحاوي وغيرهما، عن أسماء بنت عميس قالت: كان رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يوحى إليه ورأسه في حجر علي، فلم يصلِّ العصر حتى غربت الشمس. فقال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: صليت يا علي؟ قال: لا. فقال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: اللهم إنه كان في طاعتك وطاعة نبيِّك فاردد عليه الشمس. قالت أسماء: فرأيتها غربت، ثم رأيتها طلعت بعدما غربت ^(١).

قال السيوطي: الحديث صرَّح جماعة من الأئمة والحفاظ بأنه صحيح. قال القاضي عياض في الشفاء: أخرج الطحاوي في مشكل الآثار عن أسماء بنت عميس من طريقين أن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كان يوحى إليه ورأسه في حجر علي... فذكر الحديث. قال الطحاوي: وهذان الحديثان ثابتان، وروايتها ثقات. وحكى الطحاوي أن أحمد بن صالح كان يقول: لا ينبغي لمن سبيله العلم التخلف عن حفظ حديث أسماء، لأنه من علامات النبوة ^(٢).

ثم قال: وما يشهد بصحة ذلك قول الإمام الشافعي رضي الله عنه وغيره: ما أوتي نبي معجزة إلا أوتي نبينا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ نظيرها أو أبلغ منها. وقد صحَّ أن الشمس حُبست على يوشع ليالي قاتل الجبارين، فلا بد أن يكون لنبينا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ نظير ذلك، فكانت هذه القصة نظير تلك، والله أعلم ^(٣).

أقول: لقد أشع شيخنا الأميني أعلى الله مقامه البحث حول هذا الحديث، فذكر طُرُقَه ومَن صحَّحه من أعلام أهل السنَّة، بما لا يحتاج إلى مزيد، فراجعه فإنه نافع جداً ^(٤).

والحاصل أن فضائل أمير المؤمنين علي بن أبي طالب صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أكثر من أن تُحصَر،

(١) عن شرح الشفا ١/٥٨٩، وفتح الباري ٦/١٦٨، فيض القدير ٥/٤٤٠.

(٢) اللآلئ المصنوعة ١/٣٣٧.

(٣) المصدر السابق ١/٣٤١.

(٤) راجع الكتاب (الغدير) للشيخ عبد الحسين الأميني قدس سرّه ٣/١٢٦ - ١٤١.

وأشهر من أن تُذكر، وأوضح من أن تُنكر، وما ذكرناه فيه الكفاية لنيل المقصود والوصول إلى الغاية.

الإمام الحسن بن علي عليه السلام

(٣ - ٥٠٠ هـ)

قال النووي: هو أبو محمد الحسن بن علي بن أبي طالب عبد مناف بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف القرشي الهاشمي المدني، سبط رسول الله صلى الله عليه وسلم وريحانته وابن فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم سيدة نساء العالمين عليها السلام... وكان حليماً كريماً ورعاً، دعاه ورعه وحلمه إلى أن ترك الدنيا والخلافة لله تعالى^(١).

وقال: ومناقبه رضي الله عنه كثيرة مشهورة^(٢).

وقال الذهبي: وقد كان هذا الإمام سيِّداً وسيماً جميلاً عاقلاً رزيناً جواداً، ممدحاً خيراً ديناً ورعاً محتشماً كبير الشأن^(٣).

(١) تهذيب الأسماء واللغات ١/ ١٥٨.

(٢) المصدر السابق ١/ ١٦٠.

(٣) سير أعلام النبلاء ٣/ ٢٥٣.

وقال السيوطي: الحسن بن علي بن أبي طالب رضي الله عنه، أبو محمد، سبط رسول الله عليه الصلاة والسلام وريحانته وآخر الخلفاء بنصه... روي له عن النبي ﷺ أحاديث، وروت عنه عائشة رضي الله عنها وخلاتق من التابعين... وكان شبيهاً بالنبي ﷺ، وسمّاه النبي ﷺ الحسن، وعقّ عنه يوم سابعه، وحلق شعره، وأمر أن يُتصدّق بزنة شعره فضّة، وهو خامس أهل الكساء^(١).

قال المفضل: إن الله حجب اسم الحسن والحسين حتى سمّي بهما النبي عليه الصلاة والسلام ابنيه الحسن والحسين^(٢).

وقال عبد الله بن عمرو بن العاص: هذا - يعني الحسن - أحب أهل الأرض إلى أهل السماء^(٣).

فضائله:

قد وردت في فضله أحاديث كثيرة صحيحة:

١ - منها ما دلّ على أن النبي ﷺ سمّاه بالحسن، وهو ما أخرجه أحمد بن حنبل في مسنده عن علي، قال: لما وُلد الحسن جاء رسول الله ﷺ فقال: أروني ابني، ما سمّيته؟ قلت: حرباً. قال: بل هو حسن. فلما وُلد الحسين سمّيته حرباً، فجاء رسول الله ﷺ، فقال: أروني ابني ما سمّيته؟ قال: قلت: حرباً. قال: بل هو حسين. فلما وُلد الثالث سمّيته حرباً، فجاء النبي ﷺ فقال: أروني ابني ما سمّيته؟ قلت: حرباً. قال: بل هو محسن. ثم قال: سمّيتهم بأسماء ولد هارون: شبر وشبير ومشبر^(٤).

(١) تاريخ الخلفاء، ص ١٧٥.

(٢) المصدر السابق، ص ١٧٦.

(٣) مجمع الزوائد ١٧٧/٩ وقال: رواه البزار ورجاله رجال الصحيح غير هاشم بن البريد وهو ثقة.

(٤) مسند أحمد بن حنبل ١/٩٨، ١١٨. وأورده الهيثمي في مجمع الزوائد ٨/٥٢ وقال: رواه أحمد والبزار... والطبراني، ورجال أحمد والبزار رجال الصحيح غير هانئ بن هانئ وهو ثقة. وصحّحه ابن حبان (٢٢٢٧) كما في حاشية سير أعلام النبلاء ٣/٢٤٧. راجع الإحسان بترتيب صحيح ابن حبان ٩/٥٥. وصحّحه الحاكم في المستدرک ٣/١٦٥.

٢ - ومنها ما دلّ على أنه يُشبه النبي ﷺ، وهو ما أخرجه البخاري بسنده عن أبي جحيفة، قال: رأيت النبي ﷺ وكان الحسن بن علي عليهما السلام يشبهه...^(١).
وعن أنس بن مالك قال: لم يكن منهم أحد أشبه برسول الله من الحسن بن علي^(٢).

٣ - ومنها ما دلّ على أن النبي ﷺ يحبه ويدعو الله أن يحبه وأن يحب من يحبه، وهو ما أخرجه مسلم بسنده عن أبي هريرة في حديث قال: ... فقال رسول الله ﷺ: اللهم إني أحبه فأحبه وأحب من يحبه^(٣).

٤ - ومنها ما دلّ على أنه وأخاه سيّدا شباب أهل الجنة، وهو ما أخرجه الترمذي والحاكم وغيرهما، عن النبي ﷺ أنه قال: الحسن والحسين سيّدا شباب أهل الجنة^(٤).

(١) صحيح البخاري ٤/٢٢٧، كتاب المناقب، باب صفة النبي ﷺ. ولاحظ قوله: (عليهما السلام) في هذا المورد، وهو جار على ما هو المتعارف عند الشيعة، وسيأتي مثله قريباً إن شاء الله.

(٢) سنن الترمذي ٥/٦٥٩ قال الترمذي: هذا حديث حسن صحيح. المستدرك ٣/١٦٨.

(٣) صحيح مسلم ٤/١٨٨٣، كتاب فضائل الصحابة، باب فضائل الحسن والحسين رضي الله عنهما. وتصريح النبي ﷺ بأنه يحبه ورد في أحاديث كثيرة بلغت حد التواتر كما ذكره الذهبي في سير أعلام النبلاء ٣/٢٥١. راجع إن شئت صحيح البخاري ٥/٣٠ كتاب المناقب، باب ١٨. وسنن الترمذي ٥/٦٦١ حديث ٣٧٨٢، ٣٧٨٣ وقال: حسن صحيح. مجمع الزوائد ٩/١٧٦ وقال: رواه الطبراني ورجاله رجال الصحيح غير يزيد بن نحيس وهو ثقة. والمستدرك ٣/١٦٦.

(٤) سنن الترمذي ٥/٦٥٦، وقال: هذا حديث حسن صحيح. المستدرك ٣/١٦٧ وقال: هذا حديث قد صحّ من أوجه كثيرة، وأنا أتعجب أنها لم يخرجها. ومجمع الزوائد ٩/١٨٢ - ١٨٤ وقال: رواه الطبراني وإسناده حسن. وهو حديث أخرجه كثير من الحفاظ كالإمام أحمد في المسند ٣/٣، ٦٢، ٦٤، ٨٠، ٨٢، والطبراني في معجمه الكبير: الأحاديث ٢٥٩٨ - ٢٦١٨، وأبو نعيم في حلية الأولياء ٧/٥، وابن حبان في صحيحه، حديث ٢٢٢٩، والسيوطي في الجامع الصغير ١/٥٨٩، وقال المناوي في فيض القدير ٣/٤١٥ نقلاً عن السيوطي: متواتر. وعده السيوطي في لقط اللآلئ المتناثرة، ص ٢٨٦، والكتاني في نظم المتناثرة، ص ٢٠٧، والزبيدي في لقط اللآلئ المتناثرة، ص ١٤٩ من الأحاديث المتواترة. وذكره الألباني في سلسلته الصحيحة ٢/٤٣٨ وخرّج طرقه وقال: وبالجملة فالحديث صحيح بلا ريب، بل هو متواتر كما نقله المناوي، وكذلك الزيادات التي سبق تخريجها، فهي صحيحة ثابتة.

٥ - ومنها ما دلّ على أنه وأخاه الحسين عليهما السلام ريجانتا^(١) النبي ﷺ، وهو ما أخرجه البخاري عن ابن أبي نُعم قال: سمعت عبد الله بن عمر وسأله عن المُحرّم، قال شعبة: وأحسبه يقتل الذباب. فقال: أهل العراق يسألون عن الذباب، وقد قتلوا ابن ابنة رسول الله ﷺ، وقال النبي ﷺ: هما ريجانتاي من الدنيا^(٢).

٦ - ومنها ما دلّ على أنه من أهل البيت الذين أذهب الله عنهم الرجس وطهرهم تطهيراً، وهو ما أخرجه مسلم والحاكم، وقد تقدّمت هذه الأحاديث مفصّلة^(٣).

٧ - ومنها ما دلّ على أنه أحد من خرج بهم النبي ﷺ لمباهلة نصارى نجران، وهو ما أخرجه مسلم عن سعد بن أبي وقاص - في حديث طويل - قال: ... ولما نزلت هذه الآية ﴿فقل تعالوا ندع أبناءنا وأبناءكم﴾^(٤) دعا رسول الله ﷺ علياً وفاطمة وحسناً وحسيناً، فقال: اللهم هؤلاء أهلي^(٥).

٨ - ومنها ما دل على أن النبي ﷺ قال: إنه سيّد. وهو ما أخرجه البخاري عن أبي بكر، قال: سمعت النبي ﷺ على المنبر والحسن إلى جنبه، ينظر إلى الناس

(١) قال ابن الأثير: الريحان والريحانة الرزق والراحة، ويُسمى الولد ريجاناً وريحانة لذلك.

(٢) صحيح البخاري ٣٢٥/٥ كتاب المناقب، باب مناقب الحسن والحسين رضي الله عنهما. سنن الترمذي ٦٥٧/٥ وقال: هذا حديث صحيح. مسند أحمد ٩٣/٢، ١١٤. معجم الطبراني حديث ٢٨٨٤. مجمع

الزوائد ١٨١/٩ قال: رواه البزار ورجاله رجال الصحيح.

(٣) في أول الفصل السابع من هذا الكتاب.

(٤) سورة آل عمران، الآية ٦١.

(٥) صحيح مسلم ١٨٧١/٤، كتاب فضائل الصحابة، باب فضائل علي بن أبي طالب رضي الله عنه، المستدرک

١٥٠/٣ وقال: صحيح على شرط الشيخين، ووافقه الذهبي. وذكر خروج النبي ﷺ للمباهلة بعلي

وفاطمة والحسن والحسين رضي الله عنهم أصحاب التفاسير، كابن كثير في تفسيره ٣٧٠/١ - ٣٧١، والطبري في

جامع البيان ٣/٢١١ - ٢١٣، والقرطبي في الجامع لأحكام القرآن ٤/١٠٤، والسيوطي في الدر المنثور

٤/٢٣١ - ٢٣٢، والزنجشيري في الكشف ١/١٩٣، والفخر الرازي في تفسيره الكبير ٨/٨٠، وقال:

واعلم أن هذه الرواية كالمتفق على صحتها بين أهل التفسير والحديث.

مرّة وإليه مرة، ويقول: ابني هذا سيّد، ولعل الله أن يصلح به بين فئتين من المسلمين^(١).

وعن المقبري قال: كنا مع أبي هريرة، فجاء الحسن بن علي رضي الله عنهما، فسلم فردّ عليه القوم، ومعنا أبو هريرة لا يعلم فقيل له: هذا حسن بن علي يسلم. فلحقه فقال: وعليك يا سيدي. فقيل له: تقول يا سيدي؟ فقال: أشهد أن رسول الله صلّى الله عليه وسلّم قال: إنه سيّد^(٢).

٩ - ومنها ما دل على أن النبي صلّى الله عليه وآله يقبله ويحمّله ويضمّه ويشمّه ويدخل لسانه في فيه ويحمّله ويُرّكبه ظهره، وهو ما أخرجه الحاكم في المستدرک عن أبي هريرة، أنه لقي الحسن بن علي فقال: رأيت رسول الله صلّى الله عليه وآله قبّل بطنك، فاكشف الموضع الذي قبّل رسول الله صلّى الله عليه وآله حتى أقبله. قال: وكشف له الحسن فقبله^(٣).

وعن الزبير: أن رسول الله صلّى الله عليه وآله قبّل حسناً وضمّه إليه وجعل يشمّه وعنده رجل من الأنصار، فقال الأنصاري: إن لي ابناً قد بلغ، ما قبّلتَه قط. فقال رسول الله صلّى الله عليه وآله: أرايت إن كان الله نزع الرحمة من قلبك فما ذنبي؟^(٤)

وعن سعيد بن زيد بن نفييل: أن النبي صلّى الله عليه وآله احتضن حسناً، وقال: اللهم إني

(١) صحيح البخاري ٣٢/٥ كتاب المناقب، باب مناقب الحسن والحسين رضي الله عنهما، وفي كتاب الصلح، باب قول النبي صلّى الله عليه وآله للحسن: إن ابني هذا سيّد. وفي كتاب الأنبياء، باب علامات النبوة في الإسلام. وفي كتاب العتق، باب قول النبي صلّى الله عليه وآله للحسن: إن ابني هذا لسيد. سنن الترمذي ٦٥٨/٥. وسنن النسائي ١٠٧/٣. وسنن أبي داود ٢١٦/٤. ومسند أحمد ٣٨/٥، ٤٤، ٤٩، ٥١، صحيح سنن النسائي ٣٠٥/١. صحيح سنن أبي داود ٢١٦/٤.

(٢) مجمع الزوائد ١٧٨/٩ وقال: رواه الطبراني، ورجاله ثقات. المستدرک ١٦٩/٣. وقال: صحيح الإسناد. ووافقه الذهبي.

(٣) المستدرک ١٦٨/٣، قال: هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه. ووافقه الذهبي. مجمع الزوائد ١٧٧/٩ وقال: رواه أحمد والطبراني، ورجالهما رجال الصحيح، غير عمير بن إسحاق، وهو ثقة.

(٤) المستدرک ١٧٠/٣، قال: هذا حديث صحيح الإسناد على شرط الشيخين ولم يخرجاه. ووافقه الذهبي.

أحبّه فأحبّه^(١).

وعن أبي هريرة قال: لا أزال أحب هذا الرجل بعدما رأيت رسول الله ﷺ يصنع ما يصنع. رأيت الحسن في حجر النبي ﷺ وهو يدخل أصابعه في حية النبي ﷺ، والنبي ﷺ يُدخل لسانه في فمه، ثم قال: اللهم إني أحبّه فأحبّه^(٢).

وعن أبي هريرة قال: كنّا نصلي مع رسول الله ﷺ العشاء، فإذا سجد وثب الحسن والحسين على ظهره، وإذا رفع رأسه أخذهما فوضعهما وضعا رقيقا، فإذا عاد عادا، فلما صلى جعل واحدا ههنا وواحدا ههنا...^(٣).

وعن عمر بن الخطاب، قال: رأيت الحسن والحسين على عاتقي النبي ﷺ، فقلت: نعم الفرس تحتكما. فقال النبي ﷺ: ونعم الفارسان^(٤).

١ - ومنها ما دل على أن النبي ﷺ كان يعوذه بكلمات، وهو ما أخرجه الحاكم عن ابن عباس رضي الله عنهما، قال: كان النبي ﷺ يعوذ الحسن والحسين، يقول: أعيدكما بكلمات الله التامة، من كل شيطان وهامة، ومن كل عين لامة. ثم يقول: هكذا كان يعوذ إبراهيم ابنه إسماعيل وإسحاق^(٥).

١١ - ومنها ما دل على أن بغضه بغض للنبي ﷺ، وهو ما أخرجه الحاكم عن أبي هريرة، قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: من أحببها فقد أحبني، ومن أبغضها فقد أبغضني^(٦).

(١) مجمع الزوائد ٩/ ١٧٦، وقال: رواه الطبراني، ورجاله رجال الصحيح غير يزيد بن نحيس وهو ثقة.

(٢) المستدرک ٣/ ١٦٩، قال: هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه. ووافقه الذهبي.

(٣) المصدر السابق ٣/ ١٦٧، قال: هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه. ووافقه الذهبي. مسند أحمد

٥١٣/٢. مجمع الزوائد ٩/ ١٨١، قال: رواه أحمد والبخاري... ورجال أحمد ثقات.

(٤) مجمع الزوائد ٩/ ١٨١، قال: رواه أبو يعلى في الكبير ورجاله رجال الصحيح. وراجع سنن الترمذي

٥/ ٦٦١ حديث ٣٧٨٣، ٣٧٨٤.

(٥) المستدرک ٣/ ١٦٧، وقال: صحيح على شرط الشيخين. ووافقه الذهبي.

(٦) المصدر السابق ٣/ ١٧١، وقال: صحيح الإسناد. ووافقه الذهبي.

١٢ - ومنها ما دل على الأمر بمولاته والتحذير من معاداته، وهو ما أخرجه الهيثمي عن أم سلمة - في حديث - قالت: فجلس النبي ﷺ وعلي وفاطمة والحسن والحسين يأكلون، قالت أم سلمة: وما سامني النبي ﷺ، وما أكل طعاماً وأنا عنده إلا سامنيه قبل ذلك اليوم - تعني سامني: دعاني إليه - فلما فرغ التفّ عليهم بثوبه، ثم قال: اللهم عاد من عاداهم، ووالٍ من والاهم^(١).

١٣ - ومنها ما دلّ على أن النبي راض عنه، وهو ما أخرجه الهيثمي عن علي بن أبي طالب، أنه دخل على النبي ﷺ وقد بسط شملة، فجلس عليها هو وعلي وفاطمة والحسن والحسين، ثم أخذ النبي ﷺ بمجامعه فعدد عليهم، ثم قال: اللهم ارض عنهم كما أنا راض عنهم^(٢).

(١) مجمع الزوائد ٩/١٦٦، قال: رواه أبو يعلى وإسناده جيد.

(٢) المصدر السابق ٩/١٦٩، قال: رواه الطبراني في الأوسط، ورجاله رجال الصحيح غير عبيد بن طفيل

الإمام الحسين بن علي عليه السلام

(٤ - ٦١هـ)

قال الذهبي: الإمام الشريف الكامل، سبط رسول الله صلى الله عليه وسلم وريحانته من الدنيا، ومحبوبه، أبو عبد الله الحسين بن أمير المؤمنين أبي الحسن علي بن أبي طالب...^(١)

وقال النووي: الحسين بن علي بن أبي طالب، أبو عبد الله، سبط رسول الله صلى الله عليه وسلم وريحانته رضي الله عنه، وهو وأخوه الحسن سيّدا شباب أهل الجنة... وقال: وقبره مشهور، يُزار ويُتبرّك به، وحزن الناس عليه كثيراً، وأكثروا فيه المراثي رضي الله عنه^(٢).

وقال ابن حجر: كان الحسين فاضلاً ديناً كثير الصوم والصلاة والحج^(٣). وقال ابن الأثير: الحسين بن علي بن أبي طالب... أبو عبد الله، ریحانة النبي صلى الله عليه وسلم وشبهه من الصدر إلى ما أسفل منه، ولما وُلِدَ أذن النبي صلى الله عليه وسلم في أذنه، فهو سيّد شباب أهل الجنة، وخامس أهل الكساء، أمّه فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم سيدة نساء

(١) سير أعلام النبلاء ٣/ ٢٨٠.

(٢) تهذيب الأسماء واللغات ١/ ١٦٢-١٦٣.

(٣) الإصابة ١/ ٣٧٨.

العالمين، إلا مريم عليها السلام^(١).

وقال: وكان الحسين رضي الله عنه فاضلاً كثير الصوم والصلاة والحج والصدقة وأفعال الخير جميعها^(٢).

وقال ابن كثير: هو... السبط الشهيد بكر بلاء، ابن بنت رسول الله ﷺ فاطمة الزهراء، وريحانته من الدنيا^(٣).

وقال: إن الحسين عاصر رسول الله ﷺ وصحبه إلى أن توفي وهو عنه راضٍ، ولكنه كان صغيراً، ثم كان الصديق يكرمه ويعظمه، وكذلك عمر وعثمان... وكان معظماً موقراً^(٤).

وقال: وليس على وجه الأرض يومئذ أحد يساميه ولا يساويه^(٥).

وقال أيضاً: فكل مسلم ينبغي له أن يُحزنه قتله رضي الله عنه، فإنه من سادات المسلمين، وعلماء الصحابة، وابن بنت رسول الله ﷺ، التي هي أفضل بناته، وكان عابداً وشجاعاً وسخياً^(٦).

فضائله:

وفضائله عليه السلام كثيرة، تقدّم شطر منها في فضائل أخيه الإمام الحسن عليه السلام، وهي على نحو الإجمال:

١ - أن رسول الله ﷺ سمّاه بـ (الحسين).

٢ - أن الحسين وأخاه الحسن عليهما السلام سيّدا شباب أهل الجنة.

(١) أسد الغابة ٢/ ١٨.

(٢) المصدر السابق ٢/ ٢٠.

(٣) البداية والنهاية ٨/ ١٥٢.

(٤) المصدر السابق ٨/ ١٥٣.

(٥) المصدر السابق ٨/ ١٥٤.

(٦) المصدر السابق ٨/ ٢٠٤.

- ٣- أن الحسين وأخاه الحسن عليهما السلام ريجانتا رسول الله ﷺ .
- ٤- أن الحسين عليه السلام من أهل البيت الذين أذهب الله عنهم الرجس وطهرهم تطهيراً.
- ٥- أن الحسين عليه السلام ممن باهل بهم رسول الله ﷺ نصارى نجران.
- ٦- أن رسول الله ﷺ كان يحملة على عاتقه وظهره في الصلاة وغيرها.
- ٧- أن النبي ﷺ كان يعوذه بكلمات كان إبراهيم يعوذ بها ابنه إسماعيل وإسحاق عليهما السلام.
- ٨- أن بعض الحسين عليه السلام بغض للنبي ﷺ ، وحبّه حبه .
- ٩- أن الحسين عليه السلام ممن أمر الناس بموالاتهم، ومثوا عن معاداتهم.
- ١٠- أن الحسين عليه السلام ممن كان النبي ﷺ عنهم راضياً، ودعا الله لهم ليرضى عنهم.

ومن فضائله عليه السلام مما لم نذكره:

- ١- أن الحسين عليه السلام شبيه رسول الله ﷺ :
- أخرج البخاري والترمذي وأحمد، عن أنس وغيره، قال: أتى عبيد الله بن زياد برأس الحسين عليه السلام، فجعل في طست، فجعل ينكت، وقال في حسنه شيئاً، فقال أنس: كان أشبههم برسول الله ﷺ ، وكان مخضوباً بالوسمة^(١).
- وأخرج الترمذي وغيره عن علي، قال: الحسن أشبه برسول الله ﷺ ما بين الصدر إلى الرأس، والحسين أشبه بالنبي ﷺ ما كان أسفل من ذلك^(٢).
- ٢- أن رسول الله ﷺ كان يحب الحسين عليه السلام :

(١) صحيح البخاري ٣٢/٥ كتاب المناقب، باب مناقب الحسن والحسين رضي الله عنهما. سنن الترمذي ٦٥٩/٥ وقال: هذا حديث حسن صحيح غريب. مسند أحمد ١/٩٩، ١٠٨، ٣/٢٦١.

(٢) سنن الترمذي ٦٦٠/٥ وقال: هذا حديث حسن صحيح غريب.

أخرج الترمذي وأحمد وغيرهما، عن البراء: أن النبي ﷺ أبصر حسناً وحسيناً فقال: اللهم إني أحبهما فأحبهما^(١).

وأخرج الحاكم وغيره عن أبي هريرة، قال: رأيت رسول الله ﷺ وهو حامل الحسين بن علي وهو يقول: اللهم إني أحبه فأحبه^(٢).

٣- أن رسول الله ﷺ كان يلثم فم الحسين الصَّلاه عليه وآله:

أخرج الحاكم عن أبي هريرة، قال: ... إن رسول الله ﷺ خرج يوماً... فجلس في المسجد... فأتى حسين يشد حتى وقع في حجره، ثم أدخل يده في حية رسول الله ﷺ، فجعل رسول الله ﷺ يفتح فم الحسين، فيدخل فاه فيه، ويقول: اللهم إني أحبه فأحبه^(٣).

وأخرج الطبراني عن أنس، قال: لما أتى عبيد الله بن زياد برأس الحسين جعل ينكت بالقضيب ثناياه، يقول: لقد كان - أحسبه قال - جميلاً، فقلت: والله لأسوأئك، إني رأيت رسول الله ﷺ يلثم حيث يقع قضيبك. قال: فانقبض^(٤).

٤- الحسين الصَّلاه عليه وآله من النبي ﷺ، والنبي منه:

أخرج الترمذي وابن ماجه والحاكم وأحمد وغيرهم، عن يعلي بن مرّة، قال: قال رسول الله ﷺ: حسين مني، وأنا من حسين، أحب الله من أحبّ حسيناً، حسين سبط من الأسباط^(٥).

(١) سنن الترمذي ٦٦١/٥ وقال: هذا حديث حسن صحيح. مسند أحمد ٢١٠/٥. مجمع الزوائد ١٧٩/٩ وقال: رواه أحمد ورجاله رجال الصحيح. وفي ص ١٨٠ قال: رواه البزار وإسناده جيد. وروى هذا الحديث أيضاً عن أبي هريرة، وقال: رواه البزار وإسناده حسن.

(٢) المستدرک ١٧٧/٣ وقال: هذا حديث صحيح الإسناد. ووافقه الذهبي.

(٣) المستدرک ١٧٨/٣ وقال: هذا حديث صحيح الإسناد. ووافقه الذهبي.

(٤) عن مجمع الزوائد ١٩٥/٩ وقال: رواه البزار والطبراني بأسانيد، ورجاله وثقوا.

(٥) سنن الترمذي ٦٥٨/٥ قال: هذا حديث حسن. سنن ابن ماجه ٥١/١. صحيح سنن ابن ماجه ٣٠/١، المستدرک ١٧٧/٣ قال: هذا حديث صحيح الإسناد. ووافقه الذهبي. مجمع الزوائد ١٨١/٩ وقال:

٥- أن النبي ﷺ أخبر بقتل الحسين وبكى عليه:

أخرج أحمد وغيره - في حديث - أن علياً عليه السلام قال: دخلت على النبي صلى الله عليه وسلم ذات يوم وإذا عيناه تذرفان. قلت: يا نبي الله، أغضبك أحد؟ ما شأن عينيك تفيضان؟ قال: بل قام من عندي جبريل عليه السلام قبل، فحدثني أن الحسين يُقتل بشط الفرات. قال: فقال: هل لك أن أشمك من تربته؟ قلت: نعم. قال: فمد يده، فقبض قبضة من التراب فأعطانيها، فلم أملك عيني أن فاضتاً^(١).

رواه الطبراني، وإسناده حسن. مسند أحمد ٤/ ١٧٢.

(٢) مسند أحمد ١/ ٨٥. مجمع الزوائد ٩/ ١٨٧ قال: رواه أحمد وأبو يعلى والبزار والطبراني، ورجاله ثقات. ورواه عن أم سلمة، ص ١٨٨ وقال: رواه الطبراني بأسانيد، ورجال أحدها ثقات. وعن أبي الطفيل، ص ١٩٠ وقال: رواه الطبراني وإسناده حسن. وعن ابن عباس ص ١٩١ وقال: رواه البزار ورجاله ثقات... وعن غيرهم. راجع مصادر هذا الحديث في (إحقاق الحق) ١١/ ٣٣٩-٤١٦.

الإمام علي بن الحسين زين العابدين عليه السلام

(٣٨-٩٥هـ)

قال ابن حجر: علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب الهاشمي زين العابدين، ثقة ثبت عابد فقيه فاضل مشهور^(١).

وقال: قال ابن سعد: وكان ثقة مأموناً كثير الحديث عالياً رفيعاً ورعاً^(٢).

وقال الزهري: ما رأيت قرشياً (أو هاشمياً) أفضل من علي بن الحسين^(٣).

وقال أيضاً: ما رأيت أحداً كان أفقه من علي بن الحسين^(٤).

وقال: كان علي بن الحسين من أفضل أهل بيته وأحسنهم طاعة^(٥).

وقال: لم أدرك من أهل البيت أفضل من علي بن الحسين^(٦).

(١) تقريب التهذيب، ص ٤٠٠.

(٢) تهذيب التهذيب ٧/٢٦٩، تهذيب الأسماء واللغات ١/٣٤٣.

(٣) تهذيب التهذيب ٧/٢٦٩. طبقات الحفاظ، ص ٣٧.

(٤) تهذيب التهذيب ٧/٢٦٩. تذكرة الحفاظ ١/٧٥.

(٥) سير أعلام النبلاء ٤/٣٨٩.

(٦) سير أعلام النبلاء ٤/٣٨٩.

وقال مالك: لم يكن في أهل بيت رسول الله ﷺ مثل علي بن الحسين^(١).
وقال: كان من أهل الفضل^(٢).

وقال: بلغني أنه كان يصلي في كل يوم وليلة ألف ركعة إلى أن مات، وكان
يسمى (زين العابدين) لعبادته^(٣).

وقال أبو حازم الأعرج: ما رأيت هاشمياً أفضل منه^(٤).

وقال الذهبي: وكان له جلالة عجيبة، وحق له والله ذلك، فقد كان أهلاً
للإمامة العظمى، لشرفه وسؤدده وعلمه وتأهله وكمال عقله^(٥).

وقال محمد بن إسحاق: كان ناس من أهل المدينة يعيشون لا يدرون من أين
كان معاشهم، فلما مات علي بن الحسين فقدوا ما كانوا يؤتون به في الليل^(٦).

وقال الواقدي: كان من أروع الناس وأعبدهم وأتقاهم لله عز وجل^(٧).

وقال النووي: أجمعوا على جلالته في كل شيء^(٨).

وقال ابن عائشة: قال أبي: سمعت أهل المدينة يقولون: ما فقدنا صدقة السر
حتى مات علي بن الحسين^(٩).

وقال يحيى بن سعيد: سمعت علي بن الحسين وكان أفضل هاشمي أدركته^(١٠).

(١) تهذيب التهذيب ٧/٢٦٩.

(٢) طبقات الحفاظ، ص ٣٧.

(٣) تهذيب التهذيب ٧/٢٦٩. تذكرة الحفاظ ١/٧٥.

(٤) تذكرة الحفاظ ١/٧٥.

(٥) سير أعلام النبلاء ٤/٣٩٨.

(٦) حلية الأولياء ٣/١٣٦.

(٧) البداية والنهاية ٩/١١٠.

(٨) تهذيب الأسماء واللغات ١/٣٤٣.

(٩) حلية الأولياء ٣/١٣٦.

(١٠) تهذيب التهذيب ٧/٢٦٩.

وقال سعيد بن المسيب: ما رأيت أروع منه^(١).

وقال العجلي: تابعي ثقة، وكان رجلاً صالحاً^(٢).

وقال ابن تيمية: وأما علي بن الحسين فمن كبار التابعين وساداتهم علماً وديناً^(٣).

وديناً^(٣).

وقال: ولهذا من يتبع المنقول الثابت عن النبي ﷺ وخلفائه وأصحابه وأئمة أهل بيته، مثل الإمام علي بن الحسين زين العابدين، وابنه الإمام أبي جعفر محمد بن علي الباقر، وابنه أبي عبد الله جعفر بن محمد الصادق شيخ علماء الأمة، ومثل أنس بن مالك والثوري وطبقتهما، وجد ذلك جميعه متفقاً مجتمعاً في أصول دينهم... الخ^(٤).

وقال الذهبي: علي بن الحسين... السيد الإمام زين العابدين الهاشمي العلوي

المدني^(٥).

وقال: مناقبه كثيرة من صلواته وخشوعه وحبّه وفضله رضي الله عنه^(٦).

وقال ابن حبان: وكان من أفاضل بني هاشم، من فقهاء أهل المدينة

وعبّادهم... وكان يقال بالمدينة: إن علي بن الحسين سيد العابدين في ذلك الزمان^(٧).

وقال الشبراوي^(٨): وكان [زين العابدين] رضي الله عنه عابداً زاهداً ورِعاً

(١) تهذيب التهذيب ٧/ ٢٦٩، طبقات الحفاظ، ص ٣٧.

(٢) تاريخ الثقات، ص ٣٤٤.

(٣) منهاج السنة ٢/ ١٢٣.

(٤) حقوق آل البيت، ص ٤٠.

(٥) سير أعلام النبلاء ٤/ ٣٨٦.

(٦) العير في خبر من غبر ١/ ٨٣.

(٧) كتاب الثقات ٥/ ١٥٩.

(٨) قال في معجم المؤلفين ٦/ ١٢٤: عبد الله بن محمد بن عامر بن شرف الدين الشبراوي القاهري الشافعي

الشافعي [١٠٩٢-١١٧١ هـ]... محدث فقيه أصولي متكلم أديب شاعر مشارك في بعض العلوم. ولد

سنة ١٠٩٢ هـ تقريباً، وولي مشيخة الأزهر، وتوفي في ٦ ذي الحجة. من مؤلفاته: عنوان البيان وبستان

الأذهان، ديوان شعر، نزهة الأبصار في رقائق الأشعار، شرح الصدور بغزوة أهل بدر، والإتحاف بحب

متواضعاً حسن الأخلاق، وكان إذا توضعاً للصلاة اصفرّ لونه، فقيل له: ما هذا الذي نراه يعتريك عند الوضوء؟ فقال: أما تدرّون بين يدي مَنْ أريد [أن] أقف؟! وكان يصلي في اليوم والليلّة ألف ركعة... وكان يتصدق سرّاً ويقول: صدقة السر تطفئ غضب الرب^(١).

وقال ابن خلكان: وفصائل زين العابدين ومناقبه أكثر من أن تحصر^(٢).

الأشراف.

(١) الإتحاف بحب الأشراف، ص ١٣٦.

(٢) وفيات الأعيان ٣/ ٢٦٩.

الإمام محمد بن علي الباقر عليه السلام

(٥٧ - ١١٤ هـ)

قال الذهبي: أبو جعفر الباقر محمد بن علي بن الحسين، الإمام الثبت الهاشمي العلوي المدني، أحد الأعلام... وكان سيّد بني هاشم في زمانه، اشتهر بالباقر من قولهم: (بَقَرَ العلم) يعني: شَقَّه فعلم أصله وَخَفِيَّه. وقيل: إنه كان يصلي في اليوم واللييلة مائة وخمسين ركعة^(١).

وقال: وكان أحد من جمع بين العلم والعمل والسؤدد والشرف والثقة والرزانة، وكان أهلاً للخلافة، وهو أحد الأئمة الاثني عشر الذين تبجّلهم الشيعة الإمامية وتقول بعصمتهم ومعرفتهم بجميع الدين... ولقد كان أبو جعفر إماماً مجتهداً تالياً لكتاب الله كبير الشأن...^(٢).

وقال: وقد عدّه النسائي وغيره من فقهاء التابعين بالمدينة، واتفق الحفاظ على الاحتجاج بأبي جعفر^(٣).

(١) تذكرة الحفاظ ١/١٢٤.

(٢) سير أعلام النبلاء ٤/٤٠٢.

(٣) نفس المصدر ٤/٤٠٣.

وقال ابن سعد: وكان ثقة كثير العلم والحديث^(١).

وقال العجلي: مدني تابعي ثقة^(٢).

وقال ابن البرقي: كان فقيهاً فاضلاً^(٣).

وقال الزبير بن بكار: كان يقال لمحمد (باقر العلم)^(٤).

وقال محمد بن المنكدر: ما رأيت أحداً يفضل على علي بن الحسين حتى رأيت ابنه محمداً، أردت يوماً أن أعظه فوعظني^(٥).

وقال السيوطي: وثقه الزهري وغيره، وذكره النسائي في فقهاء التابعين من أهل المدينة^(٦).

وقال عبد الله بن عطاء: ما رأيت العلماء عند أحد أصغر علماً منهم عند أبي جعفر، لقد رأيت الحكم عنده كأنه متعلم^(٧).

وقال ابن كثير: وهو تابعي جليل، كبير القدر كثيراً، أحد أعلام هذه الأمة علماً وعملاً وسيادة وشرفاً.

وقال: وسمي الباقر لقبه العلوم واستنباطه الحكم، كان ذاكراً خاشعاً صابراً، وكان من سلالة النبوة، رفيع النسب عالي الحسب، وكان عارفاً بالخطرات، كثير البكاء والعبرات، معرضاً عن الجدال والخصومات^(٨).

وقال ابن خلكان: كان الباقر عالماً سيذاً كبيراً، وإنما قيل له (الباقر) لأنه تبقر في

(١) الطبقات الكبرى ٥ / ٣٢٤.

(٢) تاريخ الثقات، ص ٤١٠. تهذيب التهذيب ٩ / ٣١٢.

(٣) تهذيب التهذيب ٩ / ٣١٢.

(٤) نفس المصدر ٩ / ٣١٣.

(٥) نفس المصدر ٩ / ٣١٣.

(٦) طبقات الحفاظ، ص ٥٦.

(٧) حلية الأولياء ٣ / ١٨٦، صفة الصفوة ٢ / ١١٠، البداية والنهاية ٩ / ٣٢٣.

(٨) البداية والنهاية ٩ / ٣٢١.

العلم أي توسّع، والتبّقّر: التوسّع. وفيه يقول الشاعر:

يا باقرَ العلمِ لأهلِ التقى وخيرَ مَنْ لَبَّى على الأَجْبَلِ^(١)

وقال ابن تيمية: أبو جعفر محمد بن علي من خيار أهل العلم والدين، وقيل: إنما سُمي (الباقر) لأنه بقر العلم^(٢).

وقال الشبراوي: وله [يعني زين العابدين عليه السلام] من الأولاد خمسة عشر ما بين ذكر وأنثى، أجّلهم وأفضلهم، بل أشرف آل البيت وأنبلهم وأعزّهم وأكملهم الخامس من الأئمة: محمد الباقر بن علي زين العابدين... ولُقّب بالباقر لبقره العلم، يقال: بقر الشيء: فجّره. سارت بذكر علومه الأخبار، وأنشدت في مدائحه الأشعار^(٣).

وقال: ومناقبه رضي الله عنه باقية على ممر الأيام، وفضائله قد شهد بها الخاص والعام^(٤).

(١) وفيات الأعيان ٤ / ١٧٤.

(٢) منهاج السنة ٢ / ١٢٣.

(٣) الإتحاف بحب الأشراف، ص ١٤٣.

(٤) نفس المصدر، ص ١٤٥.

الإمام جعفر بن محمد الصادق عليه السلام

(٨٣-١٤٨ هـ)

قال الذهبي: جعفر بن محمد بن علي بن الشهيد الحسين بن علي بن أبي طالب، الهاشمي الإمام أبو عبد الله العلوي المدني الصادق، أحد السادة الأعلام.

وقال: مناقب هذا السيّد جمّة^(١).

وقال: أحد الأئمة الأعلام، برّ صادق كبير الشأن^(٢).

وقال: وكانا - أي جعفر بن محمد وأبوه - من جلة علماء المدينة^(٣).

وقال يحيى بن معين: جعفر ثقة مأمون^(٤).

وقال النسائي في الجرح والتعديل: ثقة^(٥).

(١) تذكرة الحفاظ ١/١٦٦.

(٢) ميزان الاعتدال ١/٤١٤.

(٣) سير أعلام النبلاء ٦/٢٥٥.

(٤) ميزان الاعتدال ١/٤١٥.

(٥) تهذيب التهذيب ٢/٨٩.

وقال ابن أبي حاتم: سمعت أبي يقول: جعفر بن محمد ثقة لا يُسأل عن مثله^(١).
وقال: سمعت أبا زرعة وسُئل عن جعفر بن محمد عن أبيه، وسهيل بن أبي صالح عن أبيه، والعلاء عن أبيه: أيما أصح؟ قال: لا يُقرن جعفر إلى هؤلاء - يريد جعفر أرفع من هؤلاء في كل معنى^(٢).

وسُئل الشافعي: كيف جعفر بن محمد عندك؟ فقال: ثقة^(٣).

وسئل أبو حنيفة: من أفضه من رأيت؟ فقال: ما رأيت أحداً أفضه من جعفر بن محمد^(٤).

وذكره ابن حبان في الثقات وقال: كان من سادات أهل البيت فقهياً وعلماً وفضلاً، روى عنه الثوري ومالك وشعبة والناس^(٥).

وقال الساجي: كان صدوقاً مأموناً، إذا حدث عنه الثقات فحديثه مستقيم^(٦).
وقال عمرو بن أبي المقدام: كنت إذا نظرت إلى جعفر بن محمد علمت أنه من سلالة النبيين^(٧).

وقال مالك: اختلفت إليه زماناً، فما كنت أراه إلا على ثلاث خصال: إما مصلاً، وإما صائماً، وإما يقرأ القرآن، وما رأيت يحدّث إلا على طهارة^(٨).

وقال ابن تيمية: وجعفر الصادق رضي الله عنه من خيار أهل العلم والدين^(٩).

(١) الجرح والتعديل ٢/ ٤٨٧.

(٢) المصدر السابق.

(٣) المصدر السابق.

(٤) تهذيب الكمال ٥/ ٧٩، سير أعلام النبلاء ٦/ ٢٥٧.

(٥) الثقات ٦/ ١٣١.

(٦) تهذيب التهذيب ٢/ ٨٩.

(٧) تهذيب التهذيب ٢/ ٨٨، حلية الأولياء ٣/ ١٩٣، منهاج السنة ٢/ ١٢٤، تهذيب الكمال ٥/ ٧٨، تهذيب

تهذيب الأسماء واللغات ١/ ١٥٠.

(٨) تهذيب التهذيب ٢/ ٨٩.

والدين^(١).

وقال الشهرستاني: وهو ذو علم غزير في الدين، وأدب كامل في الحكمة، وزهد بالغ في الدنيا، وورع تام عن الشهوات، وقد أقام بالمدينة مدة يفيد الشيعة المتتمين إليه، ويفيض على المواليين له أسرار العلوم^(٢).

وقال ابن العماد الحنبلي في أحداث سنة ١٤٨ هـ من شذراته: وفيها توفي الإمام سلالة النبوة أبو عبد الله جعفر الصادق بن محمد الباقر بن زين العابدين علي بن الحسين الهاشمي العلوي... وكان سيد بني هاشم في زمنه^(٣).

وقال الذهبي: مناقب جعفر كثيرة، وكان يصلح للخلافة لسؤدده وفضله وعلمه وشرفه رضي الله عنه^(٤).

وقال في ردّه على يحيى بن سعيد القطان الذي قال: (إن في نفسه من جعفر شيء، ومجالد أحب إليه منه): هذه من زلقات يحيى القطان، بل أجمع أئمة هذا الشأن على أن جعفرأ أوثق من مجالد، ولم يلتفتوا إلى قول يحيى^(٥).

وقال: قال أبو أحمد بن عدي: له حديث كثير عن أبيه عن جابر وعن آبائه، ونُسَخُ لأهل البيت، وقد حدّث عنه الأئمة، وهو من ثقات الناس كما قال ابن معين^(٦).

وقال ابن خلكان: وكان من سادات أهل البيت، ولُقّب بالصادق لصدقه في مقالته، وفضله أشهر من أن يُذكر^(٧).

(١) منهاج السنة ٢/١٢٣.

(٢) الملل والنحل ١/١٦٦.

(٣) شذرات الذهب ١/٢٢٠.

(٤) تاريخ الإسلام: حوادث ووفيات سنة ١٤١ - ١٦٠ هـ، ص ٩٣.

(٥) سير أعلام النبلاء ٦/٢٥٦.

(٦) نفس المصدر ٦/٢٥٧.

(٧) وفيات الأعيان ١/٣٢٧.

وقال النووي: اتفقوا على إمامته وجلالته وسيادته^(١).

وقال الشبراوي: أبو عبد الله، السادس من الأئمة، جعفر الصادق، ذو المناقب الكثيرة والفضائل الشهيرة، روى عنه الحديث أئمة كثيرون، مثل مالك بن أنس، وأبو حنيفة، ويحيى بن سعيد، وابن جريج، والثوري، وابن عيينة، وشعبة، وغيرهم.

وقال: وعُزِّر فضائله وشرفه على جبهات الأيام كاملة، وأندية المجد والعز بمفاخره ومآثره أهلة^(٢).

وقال ابن خلكان: وتوفي في شوال سنة ثمان وأربعين ومائة بالمدينة، ودُفن بالبقيع في قبر فيه أبوه محمد الباقر، وجدّه علي زين العابدين، وعم جدّه الحسن بن علي رضي الله عنهم أجمعين، فلله درّه من قبر ما أكرمه وأشرفه^(٣).

(١) تهذيب الأسماء واللغات ١/ ١٥٠.

(٢) الإتحاف بحب الأشراف، ص ١٤٦.

(٣) وفيات الأعيان ١/ ٣٢٧.

الإمام موسى بن جعفر عليه السلام

(١٢٨-١٨٣هـ)

قال ابن حجر: موسى بن جعفر بن محمد بن علي بن الحسين بن علي، أبو الحسن الهاشمي، المعروف بالكاظم، صدوق عابد^(١).

وقال: ومناقبه كثيرة^(٢).

وقال أبو حاتم: ثقة صدوق، إمام من أئمة المسلمين^(٣).

وقال الذهبي: كان صالحاً عابداً جواداً حليماً كبير القدر^(٤).

وقال: وقد كان موسى من أجود الحكماء ومن العبّاد الأتقياء، وله مشهد معروف ببغداد^(٥).

وقال: أجلّ آل جعفر وأشرفهم ابنه موسى الكاظم، الإمام القدوة السيد أبو

(١) تقريب التهذيب، ص ٥٥٠.

(٢) تهذيب التهذيب ١٠/٣٠٣.

(٣) الجرح والتعديل ٨/١٣٩.

(٤) العبر في خبر من غير ١/٢٢٢.

(٥) ميزان الاعتدال ٤/٢٠٢.

الحسن العلوي والد الإمام علي بن موسى الرضا، مدني نزل ببغداد^(١).

وقال: روى أصحابنا أنه دخل مسجد رسول الله ﷺ فسجد سجدة في أول الليل، فسمع وهو يقول في سجوده: (عَظُمَ الذَّنْبُ عِنْدِي، فليحسن العفو من عندك، يا أهل التقوى ويا أهل المغفرة)، فجعل يردّها حتى أصبح. وكان سخياً كريماً، يبلغه عن الرجل أنه يؤذيه، فيبعث إليه بصرّة فيها ألف دينار^(٢).

وقال يحيى بن الحسن بن جعفر النسابة: كان موسى بن جعفر يُدعى العبد الصالح من عبادته واجتهاده^(٣).

وقال ابن الجوزي: كان يُدعى العبد الصالح، لأجل عبادته واجتهاده وقيامه بالليل، وكان كريماً حليماً، إذا بلغه عن رجل أنه يؤذيه بعث إليه بهال^(٤).

وقال ابن كثير: كان كثير العبادة والمروءة، إذا بلغه عن أحد أنه يؤذيه أرسل له بالذهب والتحف^(٥).

وقال ابن تيمية: وموسى بن جعفر مشهور بالعبادة والنسك^(٦).

وقال السويدي: هو الإمام الكبير القدر، الكثير الخير، كان يقوم ليله، ويصوم نهاره، وسُمي كاظماً لفرط تجاوزه عن المعتدين... وكانت له كرامات ظاهرة، ومناقب لا يسع مثل هذا الموضع ذكرها^(٧).

(١) سير أعلام النبلاء ٦/٢٧٠.

(٢) نفس المصدر ٦/٢٧١.

(٣) تهذيب التهذيب ١٠/٣٠٢.

(٤) صفة الصفوة ٢/١٨٤.

(٥) البداية والنهاية ١٠/١٨٩.

(٦) منهاج السنة ٢/١٢٤.

(٧) سبائك الذهب، ص ٧٥.

الإمام علي بن موسى الرضا عليه السلام

(١٤٨-٢٠٢ هـ)

قال الذهبي: علي الرضا، الإمام السيد، أبو الحسن علي الرضا بن موسى الكاظم بن جعفر الصادق بن محمد الباقر بن علي بن الحسين، الهاشمي العلوي المدني^(١).

وقال: وقد كان علي الرضا كبير الشأن، أهلاً للخلافة^(٢).

وقال السمعاني: والرضا كان من أهل العلم والفضل مع شرف النسب^(٣).

وعده ابن حبان في الثقات، وقال: علي بن موسى الرضا... من سادات أهل البيت وعقلائهم، وجملة الهاشميين ونبلائهم، يجب أن يعتبر حديثه... لأنه في نفسه كان أجلاً من أن يكذب، ومات علي بن موسى الرضا بطوس... وقبره بسناباذ خارج النوقان مشهور يُزار، بجانب قبر الرشيد، قد زرته مراراً كثيرة، وما حلت بي شدة في

(١) سير أعلام النبلاء ٩/ ٣٨٧.

(٢) نفس المصدر ٩/ ٣٩٢.

(٣) الأنساب ٣/ ٧٤، تهذيب التهذيب ٧/ ٣٣٩.

وقت مقامي بطوس، فزرت قبر علي بن موسى الرضا صلوات الله على جدّه وعليه، ودعوت الله إزالتها عني، إلا استجيب لي، وزالت عني تلك الشدّة، وهذا شيء جرّبته مراراً فوجدته كذلك، أماتنا الله على محبّة المصطفى وأهل بيته صلى الله عليه وعليهم أجمعين^(١).

وقال الحاكم النيسابوري: وكان يفتي في مسجد رسول الله ﷺ وهو ابن نيّف وعشرين سنة، روى عنه من أئمة الحديث آدم بن أبي إياس، ونصر بن علي الجهضمي، ومحمد بن رافع القشيري وغيرهم^(٢).

وقال: سمعت أبا بكر محمد بن المؤمل بن الحسن بن عيسى يقول: خرجنا مع إمام أهل الحديث أبي بكر بن خزيمة^(٣)، وعديله أبي علي الثقفي مع جماعة من مشايخنا، وهم إذ ذاك متوافرون، إلى زيارة قبر علي بن موسى الرضا بطوس، فرأيت من تعظيمه - يعني ابن خزيمة - لتلك البقعة وتواضعه لها وتصرّعه عندها ما تحيّرنا^(٤).

وقال ابن تيمية: إن علي بن موسى له من المحاسن والمكارم المعروفة والمباح المناسبة للحالة اللاتقة به ما يعرفه بها أهل المعرفة^(٥).

وقال يوسف النبهاني: أحد أكابر الأئمة ومصايح الأمة من أهل بيت النبوة،

(١) الثقات ٤٥٦/٨.

(٢) تهذيب التهذيب ٣٣٩/٧.

(٣) قال الذهبي في تذكرة الحفاظ ١/٧٢٠: ابن خزيمة الحافظ الكبير إمام الأئمة شيخ الإسلام. وقال أيضاً في ص ٧٢٣: هذا الإمام كان فريد عصره.

وقال أبو حاتم محمد بن حبان البستي: ما رأيت على وجه الأرض من يحسن صناعة السنن ويحفظ ألفاظها الصحاح وزياتها حتى كأن السنن بين عينيه إلا محمد بن إسحاق بن خزيمة فقط (ص ٧٢٣). وقال الدارقطني: كان ابن خزيمة إماماً ثبتاً معدوم النظر (ص ٧٢٨). وقال ابن حبان في كتابه الثقات ١٥٦/٩: كان رحمه الله أحد أئمة الدنيا علماً وفقهاً وحفظاً وجمعاً واستنباطاً حتى تكلم في السنن بإسناد لا نعلم سبق إليها غيره من أئمتنا مع الإتقان الوافر والدين الشديد إلى أن توفي رحمه الله.

(٤) تهذيب التهذيب ٣٣٩/٧.

(٥) منهاج السنة ١٢٥/٢.

ومعادن العلم والكرم والفتوة، كان عظيم القدر، مشهور الذكر، وله كرامات كثيرة^(١).

وقال الواقدي: سمع علي - أي الرضا - الحديث من أبيه وعمومته وغيرهم، وكان ثقة يفتي بمسجد رسول الله ﷺ وهو ابن نيف وعشرين سنة، وهو من طبقة الثامنة من التابعين من أهل المدينة^(٢).

وقال الشبراوي: كان لموسى الكاظم من الأولاد سبعة وثلاثون ولداً ما بين ذكر وأنثى، أجّلهم وأفضلهم وأشرفهم وأكملهم الثامن من الأئمة علي الرضا، كان رضي الله عنه كريماً جليلاً مهاباً^(٣).

وقال: كانت مناقبه عليّة، وصفاته سنيّة، ونفسه الشريفة هاشمية، وأرومته الكريمة نبوية، كراماته أكثر من أن تُحصّر، وأشهر من أن تُذكر...
ثم ساق بعض كراماته^(٤).

وقال السويدي: علي الرضا كانت أخلاقه عليّة، وصفاته سنيّة... وكراماته كثيرة، ومناقبه شهيرة، لا يسعها مثل هذا الموضوع^(٥).

(١) جامع كرامات الأولياء ٢/١٥٦.

(٢) تذكرة الخواص، ص ٣١٥.

(٣) الإتحاف بحب الأشراف، ص ١٥٥.

(٤) نفس المصدر، ص ١٥٦.

(٥) سبائك الذهب، ص ٧٥.

الإمام محمد بن علي الجواد عليه السلام
(١٩٥-٢٢٢هـ)

قال صلاح الدين الصفدي: محمد بن علي هو الجواد بن الرضا بن الكاظم موسى بن جعفر رضي الله عنهم، كان يلقَّب بالجواد وبالقانع وبالمرتضى، وكان من سروات أهل بيت النبوة.

وقال: وكان من الموصوفين بالسخاء، ولذلك لُقِّب الجواد، وهو أحد الأئمة الاثني عشر^(١).

وقال ابن تيمية: محمد بن علي الجواد كان من أعيان بني هاشم، وهو معروف بالسخاء والسؤدد، ولهذا سُمِّي الجواد^(٢).

وقال سبط ابن الجوزي: وكان على منهاج أبيه في العلم والتقوى والزهد

(١) الوافي بالوفيات ٤/١٠٥.

(٢) منهاج السنة ٢/١٢٧.

والجود^(١).

وقال يوسف النبهاني: محمد الجواد بن علي الرضا، أحد أكابر الأئمة ومصايح الأئمة من ساداتنا أهل البيت، ذكره الشبراوي في (الإتحاف بحب الأشراف)^(٢)، وبعد أن أثنى عليه الثناء الجميل، وذكر شيئاً من مناقبه وما جرى له مما دلّ على فضله وكماله، وأن المأمون العباسي زوّجه بنته أم الفضل، حكى أنه لما توجّه رضي الله عنه من بغداد إلى المدينة الشريفة خرج معه الناس يشيّعونه للوداع، فسار إلى أن وصل باب الكوفة عند دار المسيب، فنزل هناك مع غروب الشمس، ودخل إلى مسجد قديم مؤسس بذلك الموضع يصلي فيه المغرب، وكان في صحن المسجد شجرة نبق^(٣) لم تثمر قط، فدعا بكوز فيه ماء، فتوضأ في أصل الشجرة، فقام وصلى مع الناس المغرب... ثم بعد فراغه جلس هنيهة يذكر الله، وقام فتنقّل بأربع ركعات، وسجد معهن سجدتي الشكر، ثم قام فودّع الناس وانصرف، فأصبحت النبقة وقد حملت من ليلتها حملاً حسناً، فرآها الناس وتعجبوا من ذلك غاية العجب، وكان ما هو أغرب من ذلك، وهو أن نبق هذه الشجرة لم يكن لها عجم، فزاد تعجبهم من ذلك، وهذا من بعض كراماته الجليلة ومناقبه الجميلة^(٤).

وقال الشبراوي قبل ذكره للقصة المذكورة: وكراماته رضي الله عنه كثيرة ومناقبه شهيرة^(٥).

وقال الشبلنجي: قال صاحب كتاب مطالب السؤول في مناقب آل الرسول صلّى الله عليه وسلّم: هذا محمد أبو جعفر الثاني... وإن كان صغير السن فهو كبير القدر، رفيع

(١) تذكرة الخواص، ص ٣٢١.

(٢) الإتحاف بحب الأشراف، ص ١٦٨.

(٣) هو ثمر السدر.

(٤) جامع كرامات الأولياء ١/١٠٠.

(٥) الإتحاف بحب الأشراف، ص ١٦٨.

الذِّكر، ومناقبه رضي الله عنه كثيرة^(١).

وقال القرماني: وأما مناقبه فما امتدت أوقاتها، ولا تأخر ميقاتها، بل قضت عليه الأقدار الإلهية بقلة بقاءه في الدنيا، فقل مقامه، وعاجله حمّاه، ولم تطل أيامه، غير أن الله عزَّ وجلَّ خصَّه بمنقبة شريفة وآية منيفة...

ثم ساق قضية وقعت له في صباه مع المأمون العباسي^(٢).

(١) نور الأبصار، ص ٣٨٢.

(٢) أخبار الدول وآثار الأول، ص ١١٥.

الإمام علي بن محمد الهادي عليه السلام

(٢١٢ - ٢٥٤ هـ)

ذكره الذهبي في أحداث سنة ٢٥٤ هـ، فقال: وفيها [توفي] أبو الحسن علي بن الجواد محمد، بن الرضا علي، بن الكاظم موسى، بن الصادق جعفر، العلوي الحسيني المعروف بالهادي، توفي بسامراء وله أربعون سنة، وكان فقيهاً إماماً متعبداً، استفتاه المتوكل مرة، ووصله بأربعة آلاف دينار^(١).

وقال أيضاً: كان مفتياً صالحاً، وصله المتوكل مرة بأربعة آلاف دينار، وعاش أربعين سنة^(٢).

وقال ابن العماد الحنبلي في أحداث السنة المذكورة: وفيها [توفي] أبو الحسن علي بن الجواد... المعروف بالهادي، كان فقيهاً إماماً متعبداً، سُعي به إلى المتوكل وقيل له: إن في بيته سلاحاً وعدة ويريد القيام. فأمر من هجم عليه منزله، فوجده في بيت مغلق

(١) العبر في خبر من غير ١ / ٣٦٤.

(٢) دول الإسلام، ص ١٣٨.

وعليه مدرعة من شعر، يصلي ليس بينه وبين الأرض فراش، وهو يترنم بآيات من القرآن في الوعد الوعيد، فحَمِلَ إليه ووُصِفَ له حاله، فلما رآه عَظَّمَهُ وأَجْلَسَهُ إلى جنبه وناولَه شراباً، فقال: ما خامر لحمي ولا دمي فاعفني منه. فأعفاه. وقال له: أنشدني شعراً. فأنشده أبياتاً أبكاه بها، فأمر بأربعة آلاف دينار، وردّه مكرماً^(١).

وقال ابن كثير: وكان عابداً زاهداً، نقله المتوكل إلى سامراء، فأقام بها أزيد من عشرين سنة بأشهر^(٢).

وقال ابن حجر الهيتمي: كان وارث أبيه علماً وسخاءً^(٣).

وقال الشبلنجي: ومناقبه رضي الله عنه كثيرة^(٤).

وقال السويدي: علي الهادي وُلد بالمدينة، وكنيته أبو الحسن ولقبه الهادي... ومناقبه كثيرة^(٥).

(١) شذرات الذهب ١٢٨/٢. راجع تفصيل هذه القضية في مروج الذهب ١٠/٤، وفيات الأعيان

٢٧٢/٣، البداية والنهاية ١١/١٧.

(٢) البداية والنهاية ١١/١٧.

(٣) الصواعق المحرقة، ص ٢٣٩.

(٤) نور الأبصار، ص ٢٩٠.

(٥) سبائك الذهب، ص ٧٧.

الإمام الحسن العسكري عليه السلام

(٢٣٢ - ٢٦٠هـ)

قال يوسف النبهاني: الحسن العسكري أحد أئمة ساداتنا آل البيت العظام، وساداتهم الكرام، رضي الله عنهم أجمعين.

وقال: وقد رأيت له كرامة بنفسي، هي أنه في سنة ١٢٩٦ هجرية، سافرت إلى بغداد من بلدة كوي سنجد إحدى قواعد بلاد الأكراد، وكنت قاضياً فيها، ففارقتها قبل أن أكمل المدة المعينة، لشدة ما وقع فيها من الغلاء والقحط الذي عمّ بلاد العراق في تلك السنة، فسافرت في الكلّك، وهو ظروف يشدّون بعضها إلى بعض ويربطون فوقها الأخشاب، ويجلسون عليها ويسافرون، فلما وصل الكلّك قبالة مدينة سامراء، وكانت مقرّاً لخلفاء العباسيين، أحيينا أن نزور الإمام الحسن العسكري المذكور، وهو مدفون فيها، فوقف الكلّك هناك، وخرجنا لزيارته رضي الله عنه، فحينما دخلت على قبره الشريف حصلت لي حالة روحانية لم يحصل لي مثلها قط، إلا حينما زرت نبي الله يونس في الموصل، فقد حصلت لي تلك الحالة أيضاً، وهذه كرامة له رضي الله عنه^(١).

وقال سبط ابن الجوزي: كان عالماً ثقة، روى الحديث عن أبيه عن جدّه، ومن جملة مسانيد حديث في الخمر عزيز، ذكره جدّي أبو الفرج [ابن الجوزي] في كتابه

(١) جامع كرامات الأولياء ١/٣٨٩.

المسّمَى بـ (تحريم الخمر) ونقلته من خطّه وسمّعه يقول: أشهد بالله لقد سمعت أبا عبد الله الحسين بن علي يقول: ... أشهد بالله لقد سمعت الحسن بن علي العسكري يقول: أشهد بالله لقد سمعت أبي، عليّ بن محمد يقول: أشهد بالله لقد سمعت أبي، محمد بن علي بن موسى الرضا يقول: أشهد بالله لقد سمعت أبي، عليّ بن موسى يقول: أشهد بالله لقد سمعت أبي، موسى يقول: أشهد بالله لقد سمعت أبي، جعفر بن محمد يقول: أشهد بالله لقد سمعت أبي، محمد بن علي يقول: أشهد بالله لقد سمعت أبي، عليّ بن الحسين يقول: أشهد بالله لقد سمعت أبي، الحسين بن علي يقول: أشهد بالله لقد سمعت أبي، عليّ بن أبي طالب عليه السلام يقول: أشهد بالله لقد سمعت محمداً رسول الله صلّى الله عليه وآله يقول: أشهد بالله لقد سمعت جبرئيل يقول: أشهد بالله لقد سمعت ميكائيل يقول: أشهد بالله لقد سمعت إسرافيل يقول: أشهد بالله على اللوح المحفوظ أنه قال: سمعت الله يقول: شارب الخمر كعابد الوثن ^(١).

قال: ولما روى جدّي هذا الحديث في كتاب تحريم الخمر قال: قال أبو نعيم الفضل بن دكين: هذا حديث صحيح ثابت روته العترة الطيبة الطاهرة ^(٢).

وأخرجه أبو نعيم الأصفهاني في حليته بتغيّر طفيف، وقال: هذا حديث صحيح ثابت روته العترة الطيبة ^(٣).

وقال شمس الدين بن طولون: هذا حديث جليل القدر من رواية هذه السادة الأخيار، الأئمة الأطهار رضي الله عنهم ^(٤).

ومما قيل فيه عليه السلام أيضاً ما قاله الشبلنجي، قال: ومناقبه رضي الله عنه كثيرة...

ثم ساق له بعض الكرامات ^(٥).

(١) تذكرة الخواص، ص ٣٢٤.

(٢) المصدر السابق.

(٣) حلية الأولياء ٣/٢٠٤.

(٤) الأئمة الاثنا عشر، ص ١٢٠.

(٥) نور الأبصار، ص ٢٩٤.

الإمام محمد بن الحسن المهدي عليه السلام

(٢٥٥هـ - حي يُرزق)

وهو مهدي هذه الأمة، الذي يملأ الأرض قسطاً وعدلاً بعدما مُلئت ظلماً وجوراً، وقد بشر به النبي صلّى الله عليه وآله، وأخبر بخروجه في أحاديث كثيرة بلغت حد التواتر كما مرّ عليك في الفصل السابع مفصلاً.

وهذه مسألة كثر فيها الكلام، واحتدم حولها النزاع حتى صارت محلاً للسباب والسخرية، مع أن أصحاب المذاهب قد اتفقوا على اسمه وكنيته، وأنه من أهل البيت عليهم السلام، ومن ولد فاطمة عليها السلام بالخصوص.

فالذي عليه الشيعة هو أن المهدي المنتظر هو محمد بن الحسن العسكري عليه السلام، المولود في سامراء سنة ٢٥٥ هـ، وأنه حي غائب عن الأنظار، إلى أن يأذن الله له بالخروج.

والذي عليه أكثر أهل السنة أنه رجل آخر غيره.

وتحرير هذه المسألة يستدعي الإطالة، ونحن نحاول أن نتجنبها ما استطعنا إلى

ذلك سيلاً، ولكن إتماماً للبحث نستعرض أمرين مهمين يناسبان المنهج الذي سرنا عليه في هذا الكتاب، وفيهما غنى وكفاية، ومن أراد التفصيل فليراجع الكتب التي عنيت بهذا الشأن.

الأمر الأول: في بيان أن المهدي عليه السلام هو إمام هذا العصر.

الأمر الثاني: في بيان ما أورده حول الإمام المهدي عليه السلام من الشبه والإشكالات.

المهدي عليه السلام هو إمام العصر

ونستدل على ذلك بخمسة أدلة:

الدليل الأول: أن الإمام يجب أن يكون معصوماً، ويدل على ذلك أمور:

١ - أن غير المعصوم لا يوثق بصحة قوله، ويُشك في نفاذ أمره وحكمه، لاحتمال خطئه ونسيانه وغفلته وجهله وتعمده الكذب، فلا يتوجه الأمر بطاعته مطلقاً في قوله تعالى ﴿يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولي الأمر منكم﴾^(١)، الذي ساوى فيه الله سبحانه بين طاعته، وطاعة أولي الأمر - وهم الأئمة عليهم السلام - لانتهاء الخطأ في الكل.

٢ - أن غير المعصوم ظالم لنفسه، لوقوع المعاصي منه، وكل من ارتكب معصية فقد ظلم نفسه على الأقل، فلا يصلح للإمامة، لقوله جلّ وعلا ﴿قال إني جاعلكم للناس إماماً قال ومن ذريتي قال لا ينال عهدي الظالمين﴾^(٢)، فذكر الظالمين بصيغة العموم يشمل من ظلم نفسه ومن ظلم غيره، ومراده بالعهد في الآية هو الإمامة، بدليل الكلام المتقدم.

٣ - أن الإمامة العظمى والخلافة الكبرى التي يتوقف عليها بقاء الدين

(١) سورة النساء، الآية ٥٩.

(٢) سورة البقرة، الآية ١٢٤.

واستقامة أمور المسلمين، لا يصح أن توكل إلى إمام يخطئ ويصيب، ويحكم في القضية بحكم ثم ينقضه، ويفتي في المسألة بفتوى ثم يبدها، فيمنح حق الدين وتبديل الأحكام مع توالي الأئمة وتداول الأزمنة، ولهذا عصم الله سبحانه أنبياءه ورسله من كل ذلك، لأنهم القائمون بتبليغ الشرائع والأحكام، حياطةً لدينه القويم وصراطه المستقيم.

والمهدي عليه السلام معصوم بنص النبي صلى الله عليه وآله، إذ قال: (يملاًها قسطاً وعدلاً بعدما ملئت ظلماً وجوراً)، وذلك لا يتم إلا بعصمته وتمام معرفته بشرائع الله وأحكامه.

قال البرزنجي: [هذه] تكملة في فوائد تضمنها الأحاديث ودل عليها الكشف الصحيح، لخصتها من كلام إمام المحققين محيي الملة والدين محمد بن العربي الطائي الحاقمي الأندلسي. قال رحمه الله ورضي عنه في الباب السادس والستين وثلاثمائة من الفتوحات المكية ما ملخصه: إن الله خليفة يخرج وقد امتلأت الأرض جوراً وظلماً، فيملأها قسطاً وعدلاً، يقفو أثر رسول الله صلى الله عليه وآله، له ملك يسدده من حيث لا يراه...^(١).

ثم قال: وأما عصمة المهدي ففي حكمه^(٢).

وقال أيضاً: لا يحكم المهدي إلا بما يلقي إليه الملك من عند الله الذي بعثه الله إليه يسدده، وذلك هو الشرع الحنفي المحمدي، الذي لو كان محمد صلى الله عليه وآله حياً ورُفعت إليه تلك النازلة لم يحكم فيها إلا بحكم هذا الإمام... ولذا قال صلى الله عليه وآله في صفته: (يقفو أثري لا يخطئ)، فعرفنا أنه متبع لا مشرّع وأنه معصوم، ولا معنى للمعصوم في الحكم إلا أنه معصوم من الخطأ، فإن حكم الرسول لا يُنسب إليه الخطأ، فإنه لا ينطق عن الهوى، إن هو وحي يوحى^(٣).

وعليه، فإن قلنا بعصمة الإمام المهدي عليه السلام ووجوده في هذا العصر تعيّن

(١) الإضاءة لأشراط الساعة، ص ١٠٧. راجع الفتوحات المكية ٣/٣٢٧.

(٢) الإضاءة لأشراط الساعة، ص ١٠٨.

(٣) نفس المصدر، ص ١١٠.

إمامته، لأن الأمة أجمعت على أن غير المهدي في هذا الزمان ليس بمعصوم، وإلا فقد خلا الزمان ممن يصلح للإمامة، وهذا باطل باتفاق المسلمين.



الدليل الثاني: أن الإمام لا بد أن يكون منصوباً عليه، ويدل على ذلك:

١ - أنه قد ثبت اشتراط العصمة في الإمام، والعصمة أمر نفساني لا يعلمه الناس، فلا بد من نصّ العالم بخفايا النفوس وخبايا القلوب جلّ وعلا.

٢ - أن ترك النص يفتح باب الخلاف ويفضي إلى النزاع، كما وقع في سقيفة بني ساعدة، واستمر منها الخلاف في الخلافة إلى يومنا هذا، والله سبحانه أمر بالألفة ونبذ الفرقة، إذ قال ﴿واعتصموا بحبل الله جميعاً ولا تفرقوا﴾^(١)، وقال ﴿ولا تنازعوا فتفشلوا وتذهب ريحكم﴾^(٢)، فمن غير المقبول بحال أن يفتح لهم باباً واسعاً للفرقة والنزاع، فيجعل اختيار الخليفة موكولاً إليهم يتنازعون فيه.

٣ - أن غير النص - وهو الشورى - لا يفضي إلى تنصيب الأفضل، لأن اختيار الخليفة قد يكون بدافع المنافع الشخصية والمصالح الفردية، أو بباعث العصبية، أو الميول النفسية.

وأفضل الأمة قد ينصرف عنه أكثر الناس إذا كان حازماً في الحق، قليل العشيرة والأعوان.

هذا كله إذا عرفوه، وربما لا يميّزه الناس ولا يشخصّونه، ولا سيما إذا كان بعيداً عن دائرة الضوء وأماكن الأحداث.

فإذا كان الأمر كذلك فلا يصح أن يوكل الله سبحانه أمر الإمامة العظمى إلى الناس الذين وصف أكثرهم في كتابه العزيز بنعوت قبيحة، فقال ﴿وإن تطع أكثر من

(١) سورة آل عمران، الآية ١٠٣.

(٢) سورة الأنفال، الآية ٤٦.

في الأرض يضلّوك عن سبيل الله^(١)، ﴿وما أكثر الناس ولو حرصت بمؤمنين﴾^(٢)،
 ﴿ولكن أكثر الناس لا يشكرون﴾^(٣)، ﴿ولكن أكثر الناس لا يعلمون﴾^(٤)، ﴿ولكن
 أكثر الناس لا يؤمنون﴾^(٥)، ﴿فأبى أكثر الناس إلا كفوراً﴾^(٦)، ﴿وأكثرهم للحق
 كارهون﴾^(٧).

فاللازم حيثئذ هو النص على الإمام، فإنه سبحانه هو العالم بأفضل خلقه،
 وبأولاهم بالإمامة، وأجدرهم بالخلافة.

٤ - أن الإمامة خلافة لله ورسوله، والإمام خليفة الله ورسوله، ولا تكون
 الخلافة عنهما إلا بقولهما.

٥ - أن الله جلّ وعلا نصّ في محكم كتابه على أن جعل النبي والإمام والوزير
 والخليفة يكون من الله، ولم نجد آية واحدة في كتاب الله العزيز أشارت إلى أن شيئاً من
 ذلك موكول إلى الناس.

أما جعل الأنبياء فيدل عليه قوله تعالى ﴿اذكروا نعمة الله عليكم إذ جعل فيكم
 أنبياء﴾^(٨)، ﴿وهبنا له إسحاق ويعقوب وكلاً جعلنا نبياً﴾^(٩)، ﴿وهبنا له إسحاق
 ويعقوب وجعلنا في ذريته النبوة والكتاب وآتيناه أجره في الدنيا وإنه في الآخرة لمن

(١) سورة الأنعام، الآية ١١٦.

(٢) سورة يوسف، الآية ١٠٣.

(٣) سورة يوسف، الآية ٣٨، سورة البقرة، الآية ٢٤٣، سورة غافر، الآية ٦١.

(٤) سورة الأعراف، الآية ١٨٧، سورة يوسف، الآيات ٢١، ٤٠، ٦٨، سورة النحل، الآية ٣٨، سورة
 الروم، الآيتان ٦، ٣٠، سورة سبأ، الآية ٢٨ وغيرها.

(٥) سورة هود، الآية ١٧، سورة الرعد، الآية ١، سورة غافر، الآية ٥٩.

(٦) سورة الإسراء، الآية ٨٩، سورة الفرقان، الآية ٥٠.

(٧) سورة المؤمنون، الآية ٧٠.

(٨) سورة المائدة، الآية ٢٠.

(٩) سورة مريم، الآية ٤٩.

الصالحين ﴿^(١)﴾، ﴿إنا رآدوه إليك وجاعلوه من المرسلين﴾ ^(٢)، ﴿الله أعلم حيث يجعل يجعل رسالته﴾ ^(٣)، ﴿ولقد أرسلنا نوحاً وإبراهيم وجعلنا في ذريتهما النبوة والكتاب﴾ والكتاب﴾ ^(٤).

وأما جعل الخليفة والإمام والوزير فيدل عليه قوله تعالى ﴿يا داود إنا جعلناك خليفة في الأرض﴾ ^(٥)، ﴿وإذ قال ربك للملائكة إني جاعل في الأرض خليفة﴾ ^(٦)، ﴿وجعلناهم أئمة يهدون بأمرنا وأوحينا إليهم فعل الخيرات وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة وكانوا لنا عابدين﴾ ^(٧)، ﴿قال إني جاعلك للناس إماماً قال ومن ذريتي قال لا ينال عهدي الظالمين﴾ ^(٨)، ﴿واجعلنا للمتقين إماماً﴾ ^(٩)، ﴿وجعلنا منهم أئمة يهدون بأمرنا بأمرنا لما صبروا﴾ ^(١٠)، ﴿واجعل لي وزيراً من أهلي ﴿ هارون أخي﴾ ^(١١).

وهذه هي سنة الله جلّ وعلا الجارية في خلقه والثابتة في دينه ﴿سنة الله التي خلقت من قبل ولن تجد لسنة الله تبديلاً﴾ ^(١٢).

وحينئذ فإما أن يكون المهدي عليه السلام هو الإمام المنصوص عليه في هذا الزمان، فيثبت المطلوب، وإن لم نقل بوجوده فضلاً عن النص عليه فقد خلا الزمان ممن يصلح للإمامة، لأن غير المهدي عليه السلام قد أجمعت الأمة على عدم النص عليه، وخلو الزمان من

(٣) سورة العنكبوت، الآية ٢٧.

(٢) سورة القصص، الآية ٧.

(٣) سورة الأنعام، الآية ١٢٤.

(٤) سورة الحديد، الآية ٢٦.

(٥) سورة ص، الآية ٢٦.

(٦) سورة البقرة، الآية ٣٠.

(٧) سورة الأنبياء، الآية ٧٣.

(٨) سورة البقرة، الآية ١٢٤.

(٩) سورة الفرقان، الآية ٧٤.

(١٠) سورة السجدة، الآية ٢٤.

(١١) سورة طه، الآيتان ٢٩ - ٣٠.

(١٢) سورة الفتح، الآية ٢٣.

متأهل للإمامة باطل بإجماع المسلمين.



الدليل الثالث: حديث الثقلين المتقدم الدال على لزوم التمسك بإمام صالح للإمامة من أهل بيت النبي صلى الله عليه وآله، لا يفترق عن كتاب الله في قوله أو فعله، ويفهم معاني الكتاب ظاهرها وباطنها، ويعرف الناسخ والمنسوخ، والمحكم والمتشابه، والخاص والعام، والمطلق والمقيد، والمجمل والمبين وغيرها. وهو مع كل ذلك يعمل بما فيه في جميع شؤونه وكافة أحواله، فلا يجيد عنه، ولا يميل إلى سواه، ولا يبدر منه ما يخالفه. وقد تقدّم بيان كل ذلك مفصلاً، فراجعه فإنه مهم^(١).

وعليه، فلا بد أن يكون الإمام المهدي عليه السلام موجوداً في هذا العصر، وهو المتعين للإمامة، لأنه أهل للتمسك به، وغيره قد أجمعت الأمة على أنه يفترق عن القرآن قولاً وفعلاً، لعدم عصمته، وإلا فلا يوجد من يصلح للإمامة من أهل بيت النبي صلى الله عليه وآله وغيرهم في هذا الزمان، وهو باطل بالاتفاق.



الدليل الرابع: اعتراف جمع من علماء أهل السنة بأن المهدي الموعود هو محمد بن الحسن العسكري، وأنه باقٍ إلى الآن. ومع أن هذا المعتقد مخالف لما عليه أكثر علماء أهل السنة، إلا أن هؤلاء رأوه مذهباً حقاً يعتنقونه ويذّبون عنه، فذكروه في مصنفاتهم التي نكتفي بذكر بعض منها^(٢).

ومن هؤلاء المذكورين:

(١) في الفصل السادس، الطائفة الرابعة من الأحاديث المبيّنة للفرقة الناجية.

(٢) عليك بمراجعة كتاب كشف الأستار للميرزا حسين النوري قدّس سره، ففيه فوائد جمّة لا يستغني عنها

١ - ابن طلحة الشافعي^(١): ذكر محمد بن الحسن العسكري عليه السلام في كتابه (مطالب السؤول) في الباب الثاني عشر، ووصفه بأنه المهدي الحجة الخلف الصالح المنتظر.

ثم قال: فأما مولده فبسر من رأى، في ثالث وعشرين سنة ٢٥٨ هـ... وأخرج بعض الأحاديث الواردة فيه، وذكر بعض الشبهات وأجاب عليها.

٢ - الكنجي الشافعي^(٢): ذكر ذلك في (كتابه البيان في أخبار صاحب الزمان) في الباب الأخير منه، في الدلالة على جواز بقاء المهدي عليه السلام منذ غيبته.

٣ - ابن الصبَّاح المالكي^(٣): ذكر ذلك في كتابه (الفصول المهمة)، في الفصل الثاني عشر منه^(٤)، وقال: خلَّف أبو محمد الحسن من الولد ابنه الحجة القائم المنتظر لدولة الحق، وكان قد أخفى مولده وستر أمره لصعوبة الوقت وخوف السلطان وتطلبه للشيعة...^(٥).

(١) هو كمال الدين محمد بن طلحة بن محمد بن الحسن القرشي النصيبي الشافعي (٥٨٢ - ٦٥٢ هـ). قال عنه الذهبي في العبر ٣/٢٦٩: كان رئيساً محتشماً بارعاً في الفقه والخلاف. وقال السبكي في طبقات الشافعية ٨/٦٣: تفقه وبرع في المذهب. وقال ابن العماد الحنبلي في شذرات الذهب ٥/٢٥٩: تفقه فبرع في الفقه والأصول والخلاف. ونصَّ على نسبة (مطالب السؤول) له إسماعيل البغدادي في إيضاح المكنون ٢/٤٩٩، وهدية العارفين ٢/١٢٥.

(٢) هو أبو عبد الله محمد بن يوسف بن محمد الكنجي الشافعي (... - ٦٥٨ هـ)، قال صلاح الدين الصفدي في الوافي بالوفيات ٥/٢٥٤: عُني بالحديث وسمع ورحل وحصل، كان إماماً محدثاً. ونصَّ على نسبه الكتاب له عمر رضا كحالة في معجم المؤلفين ١٢/١٣٤، والزركلي في الأعلام ٧/١٥٠، وحاجي خليفة في كشف الظنون ١/٢٦٣.

(٣) قال كحالة في معجم المؤلفين ٧/١٧٨: علي بن محمد بن أحمد نور الدين بن الصبَّاح [٧٨٤ - ٨٥٥ هـ] فقيه مالكي، أصله من سفاقس، ولد وتوفي بمكة، من تصانيفه: الفصول المهمة لمعرفة الأئمة وفضلهم ومعرفة أولادهم ونسلهم. راجع الأعلام للزركلي ٥/٨ وكشف الظنون ٢/١٢٧١.

(٤) ص ٢٨٧.

(٥) ص ٢٨٦.

٤ - سبط ابن الجوزي^(١): فإنه قال في تذكرة الخواص في الفصل المعقود للإمام المهدي عليه السلام: هو محمد بن الحسن بن علي بن محمد بن علي بن موسى الرضا بن جعفر بن محمد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب عليه السلام، وكنيته أبو عبد الله وأبو القاسم، وهو الخلف الحجة صاحب الزمان القائم والمنتظر والتالي، وهو آخر الأئمة، أنبأنا عبد العزيز بن محمود البزاز، عن ابن عمر، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: يخرج في آخر الزمان رجل من ولدي، اسمه كاسمي وكنيته ككنيتي، يملأ الأرض عدلاً كما ملئت جوراً، فذلك هو المهدي، وهو حديث مشهور... إلى آخر كلامه^(٢).

٥ - عبد الوهاب الشعراني^(٣): قال في الباب الخامس والستين من الجزء الثاني من كتابه (اليواقيت والجواهر) بعد كلام طويل: ... إلى أن يصير الدين غريباً كما بدأ... فهناك يُتَرَقَّب خروج المهدي عليه السلام، وهو من أولاد الإمام الحسن العسكري عليه السلام، ومولده عليه السلام ليلة النصف من شعبان سنة خمس وخمسين ومائتين هجرية، وهو باقٍ إلى أن يجتمع بعيسى بن مريم عليه السلام... هكذا أخبرني الشيخ حسن العراقي... عن الإمام المهدي حين اجتمع به، ووافقه على ذلك سيدي علي الخواص^(٤).

٦ - محيي الدين ابن العربي^(٥): قال في كتابه (الفتوحات المكية) في الباب

(١) هو يوسف بن قزاعلي بن عبد الله البغدادي الحنفي (٥٨١ - ٦٥٤ هـ). قال ابن العماد الحنبلي في شذرات الذهب ٢٦٦/٥: سبط ابن الجوزي العلامة الواعظ المؤرخ... الحنفي سبط الشيخ أبي الفرج بن الجوزي... قدم دمشق سنة بضع وستمائة، فوعظ بها وحصل له القبول العظيم، للطف شأئله وعذوبة وعظه، قال: ولو لم يكن له إلا كتابه (مرآة الزمان) لكفاه شرفاً. راجع الأعلام ٨/٢٤٦.

(٢) ص ٣٢٥.

(٣) قال في شذرات الذهب ٣٧٢/٨: قال الشيخ عبد الرؤوف المناوي في طبقاته: هو شيخنا الإمام العامل العابد الزاهد الفقيه المحدث الأصولي الصوفي المربي المسلك... لم يكن عنده جود المحدثين ولا لدونة النقلة، بل هو فقيه النظر، صوفي الخبر، له دربة بأقوال السلف ومذاهب الخلف.

(٤) عن إسعاف الراغبين، ص ١٥٤.

(٥) قال في معجم المؤلفين ٤٠/١١: محمد بن علي بن محمد بن أحمد بن عبد الله الطائي الحاتمي المرسي، المعروف بابن عربي، محيي الدين الشيخ الأكبر حكيم صوفي متكلم فقيه مفسر أديب شاعر، مشارك في علوم أخرى... راجع الأعلام ٦/٢٨١.

السادس والستين وثلاثمائة: واعلموا أنه لا بد من خروج المهدي عليه السلام... وهو من عترة رسول الله صلى الله عليه وسلم، من ولد فاطمة رضي الله عنها، جدّه الحسين بن علي بن أبي طالب عليها السلام، ووالده الحسن العسكري بن الإمام علي النقي بن الإمام محمد التقي بن الإمام علي الرضا بن الإمام موسى الكاظم... إلى آخر كلامه^(١).

٧- سليمان القندوزي الحنفي^(٢): فإنه اجتهد في كتابه (ينابيع المودة) في إثبات أن المهدي الموعود هو محمد بن الحسن العسكري عليها السلام، وعقد لذلك أبواباً، منها باب في ذكر ولادة المهدي، وباب في خوارقه وكراماته التي ظهرت للناس، وباب في أن الإمام العسكري أرى ولده المهدي لخواص شيعته وأعلمهم أنه هو الإمام من بعده، وباب في بيان من رأى المهدي بعد غيبته الكبرى، وباب في إيراد أقوال علماء الحروف والمحدثين في أن المهدي الموعود هو ابن الإمام الحسن العسكري عليه السلام^(٣).

٨- الحافظ خواجه بارسا^(٤): قال في كتابه (فصل الخطاب): ومن أئمة أهل البيت الطيبين أبو محمد الحسن العسكري، ولد سنة إحدى وثلاثين ومائتين يوم الجمعة السادس من ربيع الأول، ودفن بجنب أبيه، وكانت مدة بقاء الحسن العسكري بعد أبيه رضي الله عنهما ست سنين، ولم يخلف ولداً غير أبي القاسم محمد المنتظر المسمى بالقائم والحجة والمهدي وصاحب الزمان وخاتم الأئمة الاثني عشر عند الإمامية، وكان مولد المنتظر ليلة النصف من شعبان سنة خمس وخمسين ومائتين، أمه

(٣) عن إسعاف الراغبين، ص ١٥٤.

(٢) قال في الأعلام ١٢٥/٣: سليمان بن خوجه إبراهيم قبان الحسيني الحنفي النقشبندي القندوزي [١٢٢٠-١٢٧٠هـ]: فاضل من أهل بلخ، مات في القسطنطينية، له (ينابيع المودة) مطبوع، في سئال الرسول صلى الله عليه وسلم وأهل البيت. راجع معجم المؤلفين ٢٥٢/٤، هدية العارفين ٤٠٨/١، إيضاح المكنون ٧٣١/٢.

(٣) ينابيع المودة، من ص ٤٤٩ إلى ص ٤٧١، باب ٧٩ وما بعده.

(٤) قال في معجم المؤلفين ٣٠٠/١١: محمد بن محمد بن محمود الحافظي البخاري المعروف بخواجه بارسا [٧٥٦-٨٦٥هـ] صوفي محدث فقيه، توفي بالمدينة ودفن بها. ووصفه حاجي خليفة في كشف الظنون ١٢٦٠/٢ بالحافظ الزاهد. راجع هدية العارفين ١٨٣/٢.

أم ولد يقال لها نرجس، توفي أبوه وهو ابن خمس سنين، فاختمني إلى الآن، وأبو محمد الحسن العسكري ولده محمد المنتظر المهدي رضي الله عنهما معلوم عند خاصة أصحابه وثقات أهله^(١).

٩ - صلاح الدين الصفدي^(٢): قال القندوزي في ينابيعه: وقال الشيخ الكبير الكامل [العالم] بأسرار الحروف صلاح الدين الصفدي في شرح الدائرة: إن المهدي الموعود هو الإمام الثاني عشر من الأئمة، أولهم سيدنا علي، وآخرهم المهدي، رضي الله عنهم ونفعنا الله بهم^(٣).

١ - محمد بن طولون: ذكر في كتابه (الأئمة الاثنا عشر) آياتاً من نظمه تدل على ذلك، ذكرناها في آخر الفصل السابع من هذا الكتاب فراجع.

هذا وقد ذكر الميرزا حسين النوري قدس سره في كتابه (كشف الأستار) أربعين من علماء أهل السنة ممن عثر على بعض مؤلفاتهم التي يعترفون فيها بأن المهدي الموعود هو الإمام محمد بن الحسن العسكري عليهما السلام، مع اعترافه بقلة المصادر لديه وكثرة كتب علماء أهل السنة وتفرّقها في البلدان، ولعل من وقف على أكثرها يجد أضعاف هذا العدد^(٤).



الدليل الخامس: أن جملة كبيرة جداً من فضلاء الشيعة وعلمائهم فازوا بلقاء

(١) عن ينابيع المودة، ص ٤٥١.

(٢) قال السبكي في طبقات الشافعية ٥/١٠: الشيخ صلاح الدين الصفدي [٦٩٦-٧٦٤هـ] الإمام الأديب الناظم النائر، أديب العصر... برع في الأدب نظماً ونثراً وكتابةً وجمعاً وعُني بالحديث. وقال في شذرات الذهب ٦/٢٠١: ذكره شيخه الذهبي في المعجم المختص، فقال: الإمام العالم الأديب البليغ الأكمل، طلب العلم وشارك في الفضائل، وساد في علم الرسائل، وقرأ الحديث وكتب المنسوب، وجمع وصنف، والله يمدّه بتوفيقه، سمع مني وسمعت منه، وله تأليف وكتب وبلاغة.

(٣) ينابيع المودة، ص ٤٧١.

(٤) كشف الأستار، ص ٨٩.

المهدي عليه السلام ومقابلته منذ ولادته عليه السلام، في عهد أبيه الإمام العسكري عليه السلام وبعد غيبته الصغرى والكبرى، وقد أورد علماء الشيعة في مصنفاتهم روايات كثيرة عن رجال ثقات تشرفوا بمقابلته، حتى أن الميرزا حسين النوري رحمه الله وطيب ثراه ألف كتاباً أسماه (جنة المأوى في ذكر من فاز بلقاء الحجة عليه السلام في غيبته الكبرى) ذكر فيه حكايات كثيرة مسندة عمن رأى المهدي المنتظر عليه السلام من العلماء وغيرهم، مستدركاً به على ما ذكره العلامة المجلسي في المجلد الثاني والخمسين من موسوعته (بحار الأنوار)، وهذا الكتاب مطبوع في ذيل المجلد الثالث والخمسين من هذه الموسوعة.

وقد اعترف بعض علماء أهل السنة برويته عليه السلام ولقائه كما سمعت من كلام عبد الوهاب الشعراني في (اليواقيت والجواهر) عن الشيخ حسن العراقي الذي اجتمع بالمهدي عليه السلام وراه.

إشكالات حول المهدي عليه السلام

لقد أُورد على هذا المعتقد في الإمام المهدي عليه السلام عدة إشكالات، نستعرض أهمها ونجيب عليها إن شاء الله تعالى بإيجاز.

الإشكال الأول: في طول عمر المهدي عليه السلام:

وهذا الإشكال يستلزمه القول بولادته سنة ٢٥٥ هـ، إذ أنه من غير المألوف أن يعمر الإنسان ما ينيف على ألف عام. ولهذا صار الاعتقاد ببقاء المهدي عليه السلام هذه المدة الطويلة أمراً يشنّع به خصوم الشيعة عليهم. قال بعضهم مخاطباً الشيعة:

ما آن للسرّابِ أن يلدَ الذي كلّمتموه بجهلِكم ما أنا
فعلى عقولِكم العفاءُ فإنكم ثلثتم العنقاء والغيلانا^(١)

والجواب يتضح بأمور:

الأول: أن بقاء المهدي عليه السلام إلى هذا الوقت إنما هو بقدرة الله تعالى، وقدرة الله تتعلق بالممكنات، وهذا أمر ممكن، بل واقع كما سيأتي، فلا مانع من تعلق قدرة الله تعالى به، بل لا مفرّ من ذلك، لتعيّن الإمامة فيه دون غيره.

قال فخر الدين الرازي: قال بعض الأطباء: العمر الإنساني لا يزيد على مائة وعشرين سنة. وقوله ﴿ولقد أرسلنا نوحاً إلى قومه فلبث فيهم ألف سنة إلا خمسين

(١) الصواعق المحرقة، ص ١٩٨.

عاماً^(١) يدل على خلاف قولهم، والعقل يوافقهم، وإلا لما بقي نوح هذه المدة، والمؤثر في بقاء الإنسان عمراً طويلاً إما أن يكون هو الله سبحانه أو ينتهي إليه، والله سبحانه دائم، فتأثيره يجوز أن يكون دائماً، فالبقاء إذن ممكن في ذاته.

وقال: ثم نقول: لا نزاع بيننا وبينهم، لأنهم يقولون: العمر الطبيعي لا يكون أكثر من مائة وعشرين. ونحن نقول: هذا العمر ليس طبيعياً، بل هو عطاء إلهي، وأما العمر الطبيعي فلا يدوم عندنا ولا لحظة، فضلاً عن مائة أو أكثر^(٢).

والأمر الذي لا نختلف فيه هو أن طول عمر الإمام المهدي عليه السلام لم يكن جارياً على ما هو مألوف عند الناس، بل هو خارج عن العادة، ولكنه حاصل بقدره الله عز وجل، كغيره من خوارق العادات التي وقعت في حياة الأنبياء والأولياء، مما اتفق عليه المسلمون بثتى مذاهبهم، مثل طول عمر نوح عليه السلام، وبقاء أصحاب الكهف نيماً في كهفهم ثلاثمائة وتسع سنين، وولادة عيسى عليه السلام من غير أب، وكلامه في المهد صبياً، وإبرائه الأكمه والأبرص وإحيائه الموتى... وغير ذلك مما يطول ذكره.

الثاني: أن الله جل وعلا أطال أعمار جمع كثير من الناس في الأمم السالفة والسنين الماضية، كما تقدم في آية سورة العنكبوت الدالة على أن نوحاً عليه السلام لبث في قومه يدعوهم ألف سنة إلا خمسين عاماً. وعاش آدم عليه السلام ألف سنة^(٣)، ولبث أصحاب الكهف في كهفهم ثلاثمائة وازدادوا تسعاً، وعاش سلمان الفارسي أكثر من مائتين وخمسين عاماً على جميع الأقوال^(٤).

(١) سورة العنكبوت، الآية ١٤.

(٢) التفسير الكبير ٤٢/٢٥، بتوضيح منا.

(٣) قصص الأنبياء ٥٧/١.

(٤) قال ابن حجر في الإصابة ٦٢/٢: قال الذهبي: وجدت الأقوال في سننه كلها دالة على أنه جاوز المائتين وخمسين سنة، والاختلاف إنما هو الزائد... إلى أن قال: إن ثبت ما ذكره يكون ذلك من خوارق العادات في حقه، وما المانع من ذلك؟! فقد روى أبو الشيخ في طبقات الأصبهانيين من طريق العباس بن يزيد، قال: أهل العلم يقولون: عاش سلمان ثلاثمائة وخمسين سنة، فأما مائتان وخمسون سنة فلا يشكون فيها.

الثالث: أن المسلمين يعتقدون ببقاء رجال صالحين غير المهدي عليه السلام كعيسى والخضر عليهما السلام، كما يعتقدون ببقاء إبليس إلى يوم الوقت المعلوم.

أما عيسى عليه السلام فقد دلت آيات الكتاب العزيز على رفعه إلى السماء.

قال جلّ وعلا ﴿وقولهم إنا قتلنا المسيح بن مريم رسول الله وما قتلوه وما صلبوه ولكن شبه لهم وإن الذين اختلفوا فيه لفي شك منه ما لهم به من علم إلا اتباع الظن وما قتلوه يقيناً ﴿٥١﴾ بل رفعه الله إليه وكان عزيزاً حكيماً﴾^(١).

ودلت الأحاديث المروية في الصحاح على أنه ينزل في آخر الزمان، كحديث مسلم في الصحيح، عن أبي هريرة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: والله لينزلن ابن مريم حكماً عدلاً، فليكسرن الصليب، وليقتلن الخنزير، وليضعن الجزية...

وعنه أيضاً قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: كيف أنتم إذا نزل ابن مريم فيكم، وإمامكم منكم؟!^(٢)

وقد نصّ الأعلام على حياته وبقائه إلى الآن:

قال ابن حجر العسقلاني: إن عيسى رُفع وهو حيّ على الصحيح^(٣).

وقال ابن كثير: المقصود من السياق - أي سياق الآيات - الإخبار بحياته الآن في السماء، وليس كما زعمه أهل الكتاب الجهلة أنهم صلبوه، بل رفعه الله إليه، ثم ينزل من السماء قبل يوم القيامة كما دلت عليه الأحاديث المتواترة^(٤).

وقال القرطبي: الصحيح أن الله تعالى رفعه إلى السماء من غير وفاة ولا نوم كما قال الحسن وابن زيد، وهو اختيار الطبري، وهو الصحيح عن ابن عباس، وقاله

(١) سورة النساء، الآيتان ١٥٧، ١٥٨.

(٢) صحيح مسلم ١/١٣٦ كتاب الإيمان، باب نزول عيسى بن مريم حاكماً... (٧١).

(٣) فتح الباري ٦/٢٩٠.

(٤) النهاية في الفتن والملاحم، ص ٩٣، وقريب منه ما قاله في تفسيره ١/٥٥٧.

الضحاك^(١).

وأما الخضر فقد ذهب المشهور إلى تعميره وبقائه إلى الآن.

قال النووي: جمهور العلماء على أنه حي موجود بين أظهرنا، وذلك متفق عليه عند الصوفية وأهل الصلاح والمعرفة، وحكاياتهم في رؤيته والاجتماع به والأخذ عنه وسؤاله وجوابه ووجوده في المواضع الشريفة ومواطن الخير أكثر من أن يحصر وأشهر من أن يستر^(٢).

وقال الشيخ أبو عمر بن الصلاح: هو حي عند جماهير العلماء والصالحين، والعامّة معهم في ذلك. قال: وإنما شدّد بإنكاره بعض المحدثين^(٣).

وأما الشيطان فبقاؤه من ضروريات الدين التي لم يختلف فيها اثنان، ويدل عليه قوله تعالى ﴿قال ربّ فأنظرنى إلى يوم يُبعثون﴾ قال فإنك من المنظرين * إلى يوم الوقت المعلوم^(٤).

إذا تقرّر ذلك فنقول: كما أن الدليل القطعي دلّ على بقاء عيسى والخضر عليهما السلام مدة أطول بكثير من العمر الطبيعي، كذلك دلّت الأدلة القطعية على وجود الإمام المهدي عليه السلام، وأنه هو إمام هذا الزمان، فيجب قبوله والتسليم به. وبقاء المهدي هذا العمر الطويل لا يستلزم طرح ما دلت عليه الأدلة الصحيحة، كما لم يلزم من ذلك أن نردّ ما دلّ على بقاء عيسى والخضر عليهما السلام.



الإشكال الثاني: ما فائدة إمام غائب عن الأنظار، مخنّف عن الأبصار، لا ينتفع

(١) الجامع لأحكام القرآن ٤/ ١٠٠.

(٢) شرح صحيح مسلم ١٥/ ١٣٥. تهذيب الأسماء واللغات ١/ ١٧٧.

(٣) شرح صحيح مسلم ١٥/ ١٣٦. الحذر في أمر الخضر، ص ٨٦. تهذيب الأسماء واللغات ١/ ١٧٧. الزهر النضر في نبأ الخضر، ص ٣٨.

(٤) سورة الحجر، الآيات ٣٦-٣٨.

به المسلمون، ولا يستفيد منه المؤمنون، مع شدة الحاجة إليه إذا انتابتهم النوائب، أو ألمت بهم المصائب؟

ويتحققّ الجواب بأمر:

أولاً: ما أفاده السيد المرتضى أعلى الله مقامه من أنّنا إذا علمنا أن المهدي عليه السلام هو الإمام دون غيره، ورأيناه غائباً عن الأبصار، علمنا أنه لم يغب مع عصمته وتعيين فرض الإمامة فيه إلا لسبب اقتضى ذلك ومصلحة استدعته وضرورة حملت عليه، وإن لم يُعلم وجهه على التفصيل، لأن ذلك مما لا يلزم علمه، ويكون كلامنا حينئذ في الغيبة ووجهها جارياً مجرى الكلام في وجه المصلحة في رمي الجمار والطواف وما أشبه ذلك، فإننا إذا عولنا على حكمة الله سبحانه، فلا بد من وجه حسن في جميع ذلك وإن جهلناه بعينه، وبذلك نسد الباب على مخالفتنا في شؤونهم، إلا أنّنا نتبرّع بإيراد جوابات تلك المسائل على سبيل الاستظهار وبيان الاقتدار^(١).

وثانياً: نقض عليهم بعيسى عليه السلام، فإنه غائب موجود في السماء، بل إن نفع المهدي عليه السلام الغائب في الأرض أقرب من نفع عيسى عليه السلام الغائب في السماء.

ولو سلمنا لا فائدة للمهدي الآن في غيبته، فليس في ذلك محذور البتة، إذا كانت منفعة المدخرة - وهي ملء الأرض بالعدل - مقطوعاً بها، كما أن عيسى عليه السلام لا محذور في عدم تحقق نفع له الآن إذا كان له منفعة مدخرة مقطوع بها في آخر الزمان.

وثالثاً: أن الإمام عليه السلام ينتفع به الناس وإن كان غائباً، فغيبته لا تمنع من أن تكون له منافع مهمة وفوائد جليّة غير ما يتعلق بتبليغ الأحكام الشرعية، مثل رفع العذاب عن الناس، لأن الإمام من أهل البيت عليهم السلام أمان لأهل الأرض من العذاب، كما أن النجوم أمان لأهل السماء، فإذا ذهب أهل البيت أتى الناس ما يوعدون، كما في الحديث النبوي الشريف المتقدم ذكره.

ومع أن كل وظائف الإمام عليه السلام في زمان الغيبة لا نعلمها ولا نحيط بها، إلا أن

(١) رسائل الشريف المرتضى ٢/ ٢٩٥.

كثيراً من الشيعة الذين وقعوا في مآزق وخطوب وبلايا، لقيهم الإمام عليه السلام فخلصهم من محنهم وأعانهم في شدتهم.

ولا أدري من أين حصل القطع للمخالفين بأن الإمام عليه السلام لا يصل إليه أحد من المسلمين، ولا ينتفع به أحد من المؤمنين، مع أن هذا أمر غير معلوم لهم، ولا سبيل إلى القطع به من قبلهم، ولا سيما أن الإمام عليه السلام منهم خاف واتقى، وبسببهم غاب واختفى، فلا يُتوقع ظهوره لهم والتقاؤه بهم، مع تمييزه بشخصه ومعرفته بوصفه. ورابعاً: أن الإمام عليه السلام ليس بغائب عنا، بل نحن لا نعرفه بشخصه، ولا نميزه عن غيره.

ويؤيد ذلك ما روي في أخبار ظهوره عليه السلام، من أنه تثور القبائل بعضهم على بعض، فيقتتلون ويُهبب الحاج، وتسيل الدماء على جمره العقبة، ويأتي سبعة رجال علماء من آفاق شتى على غير ميعاد، وقد بايع لكل منهم ثلاثمائة وبضعة عشر، فيجتمعون بمكة، ويقول بعضهم لبعض: ما جاء بكم؟ فيقولون: جئنا في طلب هذا الرجل الذي ينبغي أن تهدأ على يديه الفتن ويُفتح له قسطنطينية، قد عرفناه باسمه واسم أبيه وأمه... فيتفق السبعة على ذلك، فيطلبونه بمكة، فيقولون: أنت فلان ابن فلان؟ فيقول: بل أنا رجل من الأنصار. فينفلت منهم، فيصفونه لأهل الخبرة به والمعرفة فيه، فيقولون: هو صاحبكم الذي تطلبونه وقد لحق بالمدينة. فيطلبونه بالمدينة، فيخالفهم إلى مكة... وهكذا إلى ثلاث مرات... ويأتي أولئك السبعة فيصيبونه بالثالثة بمكة عند الركن، ويقولون: إثمنا عليك، ودماؤنا في عنقك إن لم تمد يدك نبايعك... فيجلس بين الركن والمقام ويمد يده فيبايع^(١).

وقوله: (فيصفونه لأهل الخبرة به والمعرفة فيه) دال على أن هناك من يعرفه معرفة جيدة، وإن كان يجهل أنه هو المهدي المنتظر.

(١) الإشاعة لأشراط الساعة، ص ٩٤، لوامع الأنوار البهية ٢/ ٨١، العرف الوردى المطبوع ضمن الحاوي

وقولهم: (هو صاحبكم الذي تطلبونه) دال على أنهم وجدوا فيه الصفات الفاضلة والمزايا العالية التي تؤهله لأن يكون مهدي هذه الأمة، الذي يملأ الأرض قسطاً وعدلاً، بعدما مُلئت ظلماً وجوراً. وهذه المعرفة لا تكون إلا مع طول المعاشرة وكثرة المخالطة.



الإشكال الثالث: في إمامة الصبي وولايته. فإن من لوازم القول بأن الإمام محمد بن الحسن العسكري عليه السلام هو المهدي المنتظر، أنه كان إماماً للمسلمين وهو ابن خمس سنين، مع أنه لا يصح أن يكون إمام المسلمين صبيّاً، لأن الصبي ليس بكفء لتولّي هذا المنصب الخطير، مضافاً إلى أن الصبي مولى عليه، فكيف تكون له الولاية على غيره؟!

والجواب:

أن شرط إمام المسلمين أن يكون كفءً، وأن يتحلّى بالمزايا التي تؤهله للقيام بمهام الإمامة، مثل قوة الذكاء، وشدة الفطنة، وتمام العقل، والتقوى عن محارم الله، والعلم بأحكام الله... وما إلى ذلك .

وأما كبر السن والتقدم في العمر فغير معتبر ما دام قادراً على أداء مهام الإمامة على أكمل وجه.

ولهذا لم يُدعَ هذا المنصب بعد رسول الله صلّى الله عليه وآله لأكبر المسلمين سناً.

وعليه فليس ثمة ما يمنع من أن يكون الإمام صبيّاً، ولا محذور في أن ينعم الله سبحانه وتعالى على أنبيائه وحُججه وأوليائه بنعمه الظاهرة والباطنة التي تؤهلهم للرسالة أو الإمامة صغاراً وكباراً. كيف وقد أخبر الله سبحانه في محكم كتابه أنه آتى يحيى عليه السلام الحكم وهو صبي، فقال عزّ من قائل ﴿يا يحيى خذ الكتاب بقوة

وَأَتَيْنَاهُ الْحُكْمَ صَبِيًّا ﴿١﴾.

قال الشوكاني: المراد بالحكم الحكمة، وهي الفهم للكتاب الذي أمر بأخذه، وفهم الأحكام الدينية. وقيل: هي العلم وحفظه والعمل به. وقيل: النبوة، وقيل: العقل. ولا مانع من أن يكون الحكم صالحاً لحمله على جميع ما ذكر^(٢).

وقال الفخر الرازي: فإن الله تعالى أحكم عقله - أي يحيى عليه السلام - في صباه وأوحى إليه، وذلك لأن الله تعالى بعث يحيى وعيسى عليهما السلام وهما صبيان، لا كما بعث موسى ومحمداً عليهما السلام^(٣).

بل أخبر سبحانه أنه أتى عيسى عليه السلام الكتاب وجعله نبياً وهو رضيع في مهده لم يمض على مولده إلا زمن يسير، فقال سبحانه ﴿فَأشارت إليه قالوا كيف نكلم من كان في المهد صبياً﴾ قال إني عبد الله آتاني الكتاب وجعلني نبياً^(٤).

قال الفخر الرازي: وقوله ﴿آتاني الكتاب﴾ يدل على كونه نبياً في ذلك الوقت^{(٥)(٦)}.

وقال: إنه تعالى جعله مع صغر جثته قوي التركيب كامل العقل، بحيث كان يمكنه أداء الصلاة والزكاة، ولهذا اتجه تكليفه بالصلاة والزكاة في قوله تعالى ﴿وَأوصاني بالصلاة والزكاة ما دمت حياً﴾^(٧)، فإنه يفيد أن هذا التكليف متوجه عليه

(١) سورة مريم، الآية ١٢.

(٢) فتح القدير ٣/٣٢٥. راجع تفسير القرطبي ١١/٨٧، الكشاف ٢/٤٠٧، تفسير القرآن العظيم ٣/١١٣، تفسير الطبري ١٦/٤٢. التفسير الكبير ٢١/١٩١.

(٣) التفسير الكبير ٢١/١٩١.

(٤) سورة مريم، الآيتان ٢٩، ٣٠.

(٥) الظاهر أن قوله ﴿وجعلني نبياً﴾ أوضح من هذا دلالة على كونه نبياً في ذلك الوقت.

(٦) التفسير الكبير ٢١/٢١٤.

(٧) سورة مريم، الآية ٣١.

في جميع زمان حياته^(١).

فإذا تقرّر ذلك يتضح أنه لا مانع من أن يكون الإمام المهدي عليه السلام إماماً للمسلمين وهو صبي له من العمر خمس أو ست سنين. بل قبله هنا أولى، لأنه إذا صحّ ذلك في النبوة، صحّ عندهم في الإمامة بالأولوية.

وأما أن الإمام محمد بن الحسن العسكري عليه السلام قد آتاه الله الحكمة صبياً فقد أقر به غير واحد أعلام أهل السنّة.

قال ابن حجر الهيثمي: مات [الحسن العسكري] بسر من رأى، ودُفن عند أبيه، وعمره ثمانية وعشرون سنة... ولم يخلف غير ولده أبي القاسم محمد الحجّة، وعمره عند وفاة أبيه خمس سنين، لكن آتاه الله فيها الحكمة، ويُسمّى القائم المنتظر^(٢).

وحينئذ فلا مانع من كونه إماماً للمسلمين مع صغر سنّه، وبذلك يندفع الإشكال بحمد الله ومنّه.

هذه هي أهم الإشكالات التي أُوردت على هذه المسألة، وهناك إشكالات أُخر ضعيفة أعرضنا عنها رعاية للاختصار، فمن أرادها فليطلبها في مظانّها.

(١) التفسير الكبير ٢١ / ٢١٥.

(٢) الصواعق المحرقة، ص ٢٤٠.

الفصل التاسع

في بيان أتباع أهل البيت عليهم السلام

نِجَاةُ أَهْلِ الْبَيْتِ عَلَيْهِ السَّلَامُ وَنِجَاةُ أَتْبَاعِهِمْ

اتفقت هذه الأمة على صلاح أهل البيت عليهم السلام، ورفعة شأنهم، وعلو شرفهم، وعظيم حقوقهم اللازمة لهم على الناس، فقد طهرهم الله من الرجس، وأذهب عنهم السوء والفحشاء، فقال عزّ من قائل ﴿إِنَّمَا يَرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً﴾^(١).

وحرّم عليهم الصدقة تنزيهاً لهم عنها، لأنها من أوساخ الناس التي لا يناسب شرفهم أخذها. فقد ورد في الصحيح عن النبي صلّى الله عليه وآله أنه قال: إن هذه الصدقات إنما هي أوساخ الناس، وإنما لا تحل لمحمد ولا لآل محمد^(٢).

وأمر بالصلاة عليهم بقوله عزّ من قائل ﴿إِنِ اللَّهُ يَمْلَأُكَ اللَّهُ وَمَلَائِكَتُهُ يَصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا

(١) سورة الأحزاب، الآية ٣٣.

(٢) صحيح مسلم ٧٥٤/٢ كتاب الزكاة، باب ٥١، حديث ١٦٨، ص ٧٥١، باب ٥٠ وما بعده. راجع صحيح البخاري ١٥٦/٢ كتاب الزكاة، باب أخذ صدقة التمر رقم ٥٧، ص ١٥٧، باب ما يذكر في صدقة النبي صلّى الله عليه وآله رقم ٦٠. وكذلك ٧١/٣ كتاب البيوع، الباب الرابع، وكذلك ٩٠/٤ كتاب الجهاد، باب من تكلم بالفارسية رقم ١٨٨، ٦١/٧ كتاب الطلاق، باب رقم ١٤. الموطأ، ص ٥٤٦، ح ١٨٣٩. سنن أبي داود ١٢٣/٢. سنن الترمذي ٤٦/٣. سنن النسائي ١٠٧/٥. سنن الدارمي ٣٨٦/١. مسند أحمد بن حنبل ١/٢٠٠، ٢٧٩، ٤٤٤، ٤٧٦، ٤٩٠/٣، ٣٥/٤، ٣٥٤/٦، ٣٩٠.

أيها الذين آمنوا صلوا عليه وسلموا تسليماً^(١)، فقد أخرج البخاري عن كعب بن عجرة، أنه قال: سألتنا رسول الله ﷺ فقلنا: يا رسول الله، كيف الصلاة عليكم أهل البيت، فإن الله قد علمنا كيف نسلم؟ قال: قولوا: اللهم صل على محمد وآل محمد، كما صليت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم، إنك حميد مجيد...^(٢).

وأوجب لهم المودة فقال تعالى ﴿قل لا أسألكم عليه أجراً إلا المودة في القربى﴾^(٣)، وقال النبي ﷺ: لا يدخل قلب امرئ مسلم إيمان حتى يحبكم الله ولقرايبي^(٤).

قال ابن تيمية في عقيدة أهل السنة في أهل البيت: ويجوز آل بيت رسول الله ﷺ ويتولونهم ويحفظون فيهم وصية رسول الله ﷺ حيث قال يوم غدیر خم: أذكركم الله في أهل بيتي^(٥).

وكذلك نهى عن بغضهم، وحذر من معاداتهم فقال: والذي نفسي بيده لا

(١) سورة الأحزاب، الآية ٥٦.

(٢) صحيح البخاري ١٧٨/٤ كتاب الأنبياء. باب يزفون النسلان في المشي، ١٥١/٦ كتاب التفسير، تفسير سورة الأحزاب، ٩٥/٨ كتاب الدعوات، باب الصلاة على النبي ﷺ رقم ٣١، وباب ٣٢. وراجع صحيح مسلم ٣٠٥/١ كتاب الصلاة، باب الصلاة على النبي ﷺ بعد التشهد رقم ١٧. سنن الترمذي ٣٥٩/٥. سنن أبي داود ٢٥٧/١. سنن النسائي ٤٥/٣. سنن الدارمي ٣٩٠/١، الموطأ، ص ٨٣. مسند أحمد بن حنبل ١٦٢/١، ٢٧/٣، ١١٨/٤، ٢٤١، ٢٤٣، ٢٤٤، ٢٧٤/٥، ٣٧٤، ٤٢٤.

(٣) سورة الشورى، الآية ٢٣.

(٤) سنن الترمذي ٦٥٢/٥ كتاب المناقب، باب مناقب العباس بن عبد المطلب رضي الله عنه. وقال: هذا حديث حسن صحيح. سنن ابن ماجه ١/٥٠ المقدمة، باب (١١). مسند أحمد بن حنبل ١/٢٠٧، ٢٠٨، ٤/١٦٥. المستدرک ٤/٧٥. مجمع الزوائد ١/٨٨، ٩/١٧٠. الفردوس بمأثور الخطاب ٤/٣٦١.

(٥) شرح العقيدة الواسطية، ص ١٧٢. وحديث غدیر خم هذا مروى في صحيح مسلم ١٨٧٣/٤ كتاب الفضائل، باب من فضائل علي بن أبي طالب رضي الله عنه. الجامع الصغير ١/٢٤٤ ورمز له بالصحة، وصححه الألباني في صحيح الجامع الصغير ١/٢٨٧ وتخریج شرح العقيدة الطحاوية، ص ٤٩٠. كتاب السنة، ص ٦٢٩.

يغضنا أهل البيت رجل إلا أدخله الله النار^(١).

وهم أمان هذه الأمة، ومثلهم فيها كمثل باب حطة في بني إسرائيل، أو كمثل سفينة نوح، مَنْ ركبها نجا، ومن تخلف عنها هوى وغرق، وهم أحد الثقلين اللذين لا يضل من تمسك بهما، ولا يشقى من أخذ بهديهما.

إذا تقرّر ذلك فلا ريب في أن مَنْ اتّبع أئمة أهل البيت عليهم السلام والصالحين من ذرية النبي صلّى الله عليه وآله فهو مهتد ناج، لأن كل من اتّبع إماماً من أئمة الحق، وأخذ بهديه، وسار على نهجه، فهو مثله مهتد ناج بالضرورة.

هذا لا نزاع فيه، وإنما النزاع في أن الشيعة الإمامية هل هم أتباع أئمة أهل البيت عليهم السلام وشيعتهم الآخذون بهديهم والسائرون على نهجهم، أم لا؟ هذا هو الذي ينبغي إقامة الدليل عليه وإثباته، فإن خصوم الشيعة لا يقرون لهم باتباع علي عليه السلام والأئمة من ولده.

ولهذا ردّ ابن تيمية على العلامة الحلي أعلى الله مقامه الذي قال: إن الشيعة الإمامية أخذوا مذهبهم من أئمة أهل البيت عليهم السلام، بقوله: لا نسلم أن الإمامية أخذوا مذهبهم من أهل البيت، لا الاثنا عشرية ولا غيرهم، بل هم مخالفون لعلي رضي الله عنه وأئمة أهل البيت في جميع أصولهم التي فارقوا فيها أهل السنة والجماعة: توحيدهم وعدلهم وإمامتهم^(٢).

وقال الذهبي: لا نسلم أنكم أخذتم مذهبكم عن أهل البيت، فإنكم تخالفون علياً وأئمة أهل بيته في الأصول والفروع^(٣).

بل إن ابن حجر الهيتمي نفى أنهم شيعة علي عليه السلام المعنيون في قول النبي صلّى الله عليه وآله:

(١) المستدرک ٣/١٥٠. وقال: حديث صحيح على شرط مسلم. الإحسان بترتيب صحيح ابن حبان

٦٢/٩. سلسلة الأحاديث الصحيحة ٥/٦٤٣.

(٢) منهاج السنة النبوية ٢/١١٦.

(٣) المتقى من منهاج الاعتدال، ص ١٦٧.

يا علي إنك ستقدم على الله وشيعتك راضين مرضيين، ويقدم عليه عدوك غضابى مقمحين^(١). قال: وشيعته هم أهل السنة الذين أحبّوه كما أمر الله ورسوله، وأما غيرهم فأعداؤه في الحقيقة، لأن المحبة الخارجة عن الشرع، الحائدة عن سنن الهدى هي العداوة الكبرى، فلذا كانت سبباً لهلاكهم.

وقال: ولا تتوهم الرافضة قبحهم الله من الأحاديث أنهم يحبّون أهل البيت، لأنهم أفرطوا في محبتهم حتى جرّهم ذلك إلى تكفير الصحابة وتضليل الأمة. وقال: وهؤلاء الضالّون الحمقى أفرطوا في علي وفي أهل بيته، فكانت محبتهم عاراً عليهم وبواراً، ﴿قاتلهم الله أنى يؤفكون﴾^(٢).

الشيعية الإمامية هم أتباع أهل البيت عليه السلام:

إن متابعة الشيعة الإمامية لأئمة أهل البيت عليهم السلام وموالياتهم لهم، وأخذهم بهديهم، وسيرهم على نهجهم، أشهر من أن يذكر، وأظهر من أن ينكر، وما جحدّه إلا سفسطة ظاهرة، وإنكار بديهة واضحة.

وينبغي أن نلفت النظر إلى أنه ليس كل إنكار يُلفت إليه، وإلاّ فالملاحظة ينكرون الخالق جلّ وعلا، مع أن كل شيء في الوجود يدل عليه ويرشد إليه، وكذلك أصحاب الملل ينكرون نبوة نبيّنا محمد صلّى الله عليه وآله، مع قيام الأدلة القطعية الدالة على نبوّته وخاتمية رسالته.

ويدلّك على أن إنكار متابعة الشيعة الإمامية لأئمة أهل البيت عليهم السلام جارٍ هذا المجرى، أن المنكر لا بد أن يكون عالماً بما عليه أهل البيت في الفروع والأصول حتى يتّجه منه إنكار متابعة الإمامية لهم. أما إذا كان لا يعلم من أقوال أهل البيت إلا ما ندر، فكيف يحصل له الجزم بأن أقوال أهل البيت التي نقلها الشيعة الإمامية ليست

(١) الصواعق المحرقة، ص ١٨٣. وقد أخرج السيوطي بعضه في الدر المشور ٨/ ٥٨٩ في الآية السابعة من سورة البيّنة. والشوكاني في فتح القدير ٥/ ٤٧٧.

(٢) الصواعق المحرقة، ص ١٨٣.

أقوالهم؟

ولقد تصفّحنا كتب أهل السنّة في الفقه والحديث والتفسير والكلام وغيرها فلم نجد لأئمة أهل البيت عليهم السلام إلا أقوالاً نادرة وأحاديث قليلة متناثرة، لا تسمن ولا تغني من جوع، وذلك لأنهم عنوا بمعرفة أقوال غيرهم دون أقوالهم، بل إن ما عرفوه منها تركوه وأهملوه، وقدموا غيره عليه.

ونزيد الأمر إيضاحاً بفرض مثل ذلك في اليهود والنصارى لو أنكروا متابعة كل فئات المسلمين لرسول الله صلّى الله عليه وآله ومعرفتهم بما جاء به، فإن إنكارهم حينئذ لا يلتفت إليه ولا يُعتنى به، لأنهم لا يعلمون شيئاً من دين الإسلام ومعارفه إلا ما تلقّفوه من المسلمين أو وجدوه في كتبهم.

شبهة وجوابها:

قد يُشكل بأن أهل السنّة جازمون بأن الشيعة الإمامية لا يتبعون أئمة أهل البيت عليهم السلام في أصول الدين وفروعه، وذلك لأن ما عليه الشيعة مخالف لما رواه الثقات عن النبي صلّى الله عليه وآله. فإما أن الشيعة كذبوا على أئمة أهل البيت عليهم السلام فيما زعموا أنهم روه عنهم، فلا يكونون أتباعهم. أو أنهم صادقون في النقل عنهم، وتابعون لهم فيما يقطع ببطلانه ومخالفته لما جاء به النبي صلّى الله عليه وآله في الأصول والفروع، الذي يلزم منه تضليل أئمة أهل البيت عليهم السلام.

وحينئذ لا مفرّ من إنكار متابعة الشيعة لأئمة أهل البيت عليهم السلام، لأن الأمر دائر بين تخطئة الشيعة وبين تخطئة أئمة أهل البيت، وتخطئة الشيعة هو المتعيّن بلا إشكال.

والجواب: أن مخالفة ما رواه الشيعة الإمامية عن أهل البيت عليهم السلام لما رواه غيرهم عن النبي صلّى الله عليه وآله لا يستلزم ما ذكره من مخالفة الإمامية أو أئمة أهل البيت للنبي صلّى الله عليه وآله، لأن رواية الثقات عند أهل السنّة ذلك عن النبي صلّى الله عليه وآله لا يستلزم بالضرورة صدوره عنه صلّى الله عليه وآله، فإن الصادر عن رسول الله صلّى الله عليه وآله شيء واحد، واختلاف الرواية عنه يدل على كذب إحدى الروایتين.

فالشيعَة أخذوا بها رواه أئمة أهل البيت عليهم السلام عن رسول الله صلى الله عليه وآله، وتمسك أهل السنّة بما رواه غيرهم، حتى لو كانوا مرجئة أو خوارج أو قدرية أو غيرهم.
وما أحسن قول القائل:

إذا شئت أن تختبر لنفسك مذهباً وتعلم أن الناس في نقل أخبار
فدع عنك قول الشافعي ومالك وأحمد والمروي عن كعب أخبار
ووال أناساً قولهم وحديثهم روى جدنا عن جبرئيل عن الباري

شبه أخرى وجوابها:

وقد يُشكل أيضاً بأن رواة الشيعة هم الذين افتروا على أئمة أهل البيت عليهم السلام الأحاديث، وأن علماء الشيعة نسبوا إلى أئمة أهل البيت عليهم السلام الأقوال المكذوبة عليهم، لأننا لم نجد خلافاً بين أهل السنّة وأهل البيت من مصدر معتمد.
والجواب: أن الاختلاف الواقع بين الشيعة وأهل السنّة إما في الأصول الاعتقادية، وإما في الفروع الفقهية.

أما الأصول الاعتقادية فالشيعة يكتفون في إثبات صحّة مذهبهم بآيات الكتاب العزيز، والأحاديث المتفق على صحّتها بين الفريقين، مضافاً إلى البراهين العقلية القطعية، ولا تصل النوبة إلى الاحتجاج بأحاديث أئمة أهل البيت عليهم السلام، حتى يتطرق احتمال الكذب عليهم، مع أنهم لا يجوزون الاحتجاج في الأصول إلا بالأحاديث المتواترة عنهم، التي يمتنع تواطؤ رواتها على الكذب.

وأما الفروع الفقهية فأهل السنّة اختلفوا فيها إلى مذاهب عديدة، حتى إنهم تنازعوا في أكثر المسائل الفقهية كما لا يخفى على من تتبّع أقوالهم وفتاواهم^(١)، فأبي المذاهب منها هو الصحيح الذي يتفق مع ما عليه أئمة أهل البيت عليهم السلام!

(١) للتحقق من ذلك راجع كتاب المغني لابن قدامة، والمحلى لابن حزم، وبداية المجتهد لابن رشد، والفقهاء على المذاهب الأربعة للجزيري، وغيرها.

هذا مع ما أوضحناه فيما سبق من أن أهل السنّة لم يتبّعوا أقوال أهل البيت عليهم السلام ولم يحفظوها حتى يعلموا ما صدر منهم وما نُحل عليهم. فزعمهم أنهم مؤتلفون مع أئمة أهل البيت عليهم السلام زعم باطل، لم يستند إلى حجة مقبولة أو دليل معتبر.

وبهذا يتضح فساد ما قيل من أن الشيعة الإمامية قد افترخوا على أهل البيت عليهم السلام الأحاديث، ونسبوا إليهم ما لم يصدر عنهم، لأن كل منصف بحث في كتب الشيعة، ورأى مسلكهم في تمحيص الأحاديث، يعلم بما لا يدع مجالاً للريب أنهم لا يحتجّون إلا بما يرويه الثقات الأثبات المعروفون بالضبط والحفظ والإتقان، الذين أقرّ بوثاقة بعضهم علماء الجرح والتعديل من أهل السنّة، ورووا أحاديثهم في صحاحهم وسائر مصنفاتهم كأبان بن تغلب، وثابت بن دينار (أبي حمزة الثمالي)، وجابر بن يزيد الجعفي، والحارث الهمداني، وحماد بن عيسى، ومحمد بن مسلم، ومعروف بن خربوذ، وسلمة بن كهيل، وغيرهم ممن هو على شاكلتهم^(١).

هذا مع أن علماء الإمامية يطرحون كثيراً من الأحاديث المروية في كتبهم المعتبرة كالكافي والتهذيب والاستبصار ومن لا يحضره الفقيه إذا لم تستجمع شرائط الصحة والاعتبار.

الأدلة على متابعة الشيعة لأهل البيت:

وتتلخص في ما يلي:

أولاً: أن الشيعة الإمامية قصروا الإمامة في أهل البيت عليهم السلام وحصروا التقليد فيهم، فلا حجة إلا لقولهم، ولا حق إلا ما صدر منهم.

ولهذا تتابع الشيعة خلفاً عن سلف في تدوين علومهم، وكتابة أحاديثهم في أصول الدين وفروعه حتى جمعوا الشيء الكثير.

(١) راجع ما كتبه السيد عبد الحسين شرف الدين الموسوي رضوان الله عليه في كتاب المراجعات، المراجعة ١٤-١٦، فإنه أجاد وأبدع، جزاه الله خير جزاء العلماء العاملين.

وعليه، فالداعي إلى متابعتهم والأخذ بهديهم والسير على نهجهم - وهو اعتقاد إمامتهم دون سواهم - موجود، والمانع من متابعتهم مفقود، فلا بد من حصول الأتباع وتحقق الموالاتة.

وثانياً: اعتراف جمع من أرباب التحقيق من أهل السنّة بمتابعة الشيعة لأهل البيت عليهم السلام ومشايعتهم لهم:

١ - قال الشهرستاني: الشيعة هم الذين شايعوا علياً رضي الله عنه على الخصوص، وقالوا بإمامته وخلافته نصّاً ووصية، إما جلياً وإما خفياً، واعتقدوا أن الإمامة لا تخرج من أولاده^(١).

وقال أيضاً في ترجمة الإمام جعفر بن محمد الصادق عليه السلام: وهو ذو علم غزير في الدين، وأدب كامل في الحكمة، وزهد بالغ في الدنيا، وورع تام عن الشهوات... وقد أقام بالمدينة مدة يفيد الشيعة المنتمين إليه، ويفيض على المواليين له أسرار العلوم^(٢).

٢ - وقال ابن منظور في لسان العرب، والفيروزآبادي في القاموس المحيط، والزبيدي في تاج العروس: وقد غلب هذا الاسم [أي الشيعة] على من يتوالى علياً وأهل بيته رضوان الله عليهم أجمعين، حتى صار لهم اسماً خاصاً، فإذا قيل: (فلان من الشيعة)، عُرف أنه منهم^(٣).

٣ - وقال الزهري: والشيعة قوم يهون هوى عترة النبي صلى الله عليه وسلم ويوالونهم^(٤).

٤ - وقال ابن خلدون: اعلم أن الشيعة لغة: الصَّحْب والأَتْبَاع، ويطلق في عرف الفقهاء والمتكلمين من الخلف والسلف على أتبّاع علي وبنه رضي الله عنهم^(٥).

وثالثاً: سلوك الشيعة الكاشف عن ولائهم لأهل البيت عليهم السلام ومتابعتهم لهم،

(١) الملل والنحل ١/١٤٦.

(٢) نفس المصدر ١/١٦٦.

(٣) لسان العرب ٨/١٨٩. القاموس المحيط ٣/٤٩. تاج العروس ٢١/٣٠٣.

(٤) لسان العرب ٨/١٨٩. تاج العروس ٢١/٣٠٣.

(٥) مقدمة ابن خلدون، ص ١٩٦.

فقد دأبوا على تدوين معارفهم وعلومهم، ورواية أحاديثهم، وأخذ أقوالهم، والتسليم لهم، ونشر فضائلهم، وكتابة سيرهم، وإقامة ماتمهم، والحزن على مصائبهم وما جرى عليهم، حتى إنهم حكموا بضعف كل من انحرف عنهم، وبنجاسة كل من تجاهر بمعاداتهم، ووالوا أولياءهم، وتبرأوا من أعدائهم.

وعلى كل حال، فإننا لو لم نقل بأن الشيعة الإمامية هم أتباع أئمة أهل البيت عليه السلام مع تحقق هذه الأمور، لحق لنا إنكار متابعة كل فرقة لمن تتسب إليه، ولأمكننا أن نشكك في متابعة أهل السنة لأبي حنيفة ومالك والشافعي وأحمد بن حنبل وغيرهم.



والعجب من جرأة ابن حجر الهيتمي وابن تيمية والذهبي وغيرهم في زعمهم أن أهل السنة هم شيعة علي عليه السلام، والحال أن أهل السنة لا يظهر منهم ولاء لأهل البيت عامة، ولا لعلي عليه السلام خاصة، بل ما يظهر منهم خلاف ذلك.

ويتجلى ذلك في أمور:

أولاً: انصراف أهل السنة عن أخذ علوم أهل البيت عليه السلام واكتساب معارفهم وتدوين فتاواهم، فإننا لا نكاد نجد في كتب الفقه المهمة، كالمغني لابن قدامة، والمحلى لابن حزم وغيرهما، أو في كتب علم الكلام المشهورة كالمواقف للإيجي، والملل والنحل للشهرستاني، والفصل لابن حزم وغيرها، أو في كتب التفسير المعروفة كالتفسير الكبير للفخر الرازي، وجامع البيان للطبري، وتفسير ابن كثير وغيرها، لا نكاد نجد قولاً يُنقل عن إمام من أئمة أهل البيت عليه السلام.

كما أننا لا نجد في كتب الحديث المعتمدة المشهورة من الأحاديث المروية عن أهل البيت عليه السلام إلا القليل النادر الذي لا يكاد يُذكر، وهذا يدل على أن غيرهم مقدم عليهم عندهم في هذا الشأن.

حتى إن البخاري الذي روى في كتابه الصحيح عن بعض الخوارج^(١)، وبعض النواصب^(٢)، والمرجئة^(٣)، والقدرية^(٤)، والجهمية^(٥) لم يرو عن جعفر الصادق عليه السلام حديثاً واحداً، بل لم يرو عن الحسن بن علي عليه السلام حديثاً قط، مع أنه روى عن أبي سفيان، وابنه معاوية، وعن عمرو بن العاص، ومروان بن الحكم، والمغيرة بن شعبة، وسمرة بن جندب وغيرهم.

وثانياً: ردّ أهل السنة أقوال أئمة أهل البيت عليهم السلام إذا خالفت قول غيرهم.
 وخذ على ذلك مثاليين:

١ - أن علياً عليه السلام كان يجهر بالبسملة في صلاته في القراءة الإخفائية والجهرية. أما مالك فممنع من قراءتها في الصلاة المكتوبة جهراً كانت أو سرّاً، في الفاتحة وفي غيرها. وقال أبو حنيفة وأحمد والثوري بوجوب قراءتها مع الفاتحة في كل ركعة سرّاً. وأوجب الشافعي قراءتها جهراً في الجهرية، وإخفائاً في الإخفائية^(٦).

(١) قيل ذلك في عكرمة مولى ابن عباس، والوليد بن كثير بن يحيى المدني، وعمران بن حطان الذي مدح ابن ملجم قاتل أمير المؤمنين عليه السلام بقوله:

يا ضربةً من تقّي ما أراد بها إلا ليبلغ من ذي العرشِ رضوانا
 إني لأذكره يوماً فأحسبه أوفى البرية عند الله ميزانا

انظر من طعن فيه بسبب معتقده من رجال صحيح البخاري في مقدمة فتح الباري، ص ٤٥٩.

(٢) رُمي بذلك: إسحاق بن سويد العدوي، وبهز بن أسد، وحرير بن عثمان الحمصي، وحصين بن غير، وعبد الله بن سالم الأشعري، وقيس بن أبي حازم. وكلهم من رجال البخاري.

(٣) رُمي بذلك من رجال الصحيح: أيوب بن عائد الطافي، وإبراهيم بن طهمان، وذو بن عبد الله المرهبي، وشبابة بن سوار، وعبد الحميد بن عبد الرحمن، وعثمان بن غياث، وعمر بن ذر، وعمرو بن مرة، وغيرهم.

(٤) رُمي بذلك من رجاله: ثور بن زيد الدملي، وثور بن يزيد الحمصي، وحسان بن عطية، والحسن بن ذكوان، وداود بن الحصين، وغيرهم.

(٥) رُمي به من رجاله: بشر بن السري.

(٦) بداية المجتهد ١ / ١٢٤.

قال الفخر الرازي: أما أن علي بن أبي طالب رضي الله عنه كان يجهر بالتسمية فقد ثبت بالتواتر^(١).

٢ - أنهم اختلفوا في رمي الجمار في أيام التشريق، فذهب الجمهور إلى أنه لا يجوز رميها قبل الزوال، ومن رماها قبل الزوال أعاده بعده.

وثبت عن أبي جعفر محمد بن علي عليهما السلام أنه قال: رمي الجمار من طلوع الشمس إلى غروبها^(٢).

فمع ثبوت قول علي عليه السلام في الجهر بالبسملة مطلقاً، وثبوت قول الإمام أبي جعفر الباقر عليه السلام في جواز الرمي قبل الزوال، إلا أن جمهور أهل السنة خالفوا العترة النبوية في هاتين المسألتين كما فعلوا في غيرهما من المسائل الكثيرة التي لا تحفى على المتتبع البصير.

وثالثاً: حكمهم بأن التشيع لأهل البيت منقصة قاذحة في وثاقة الراوي، فيضعفون الرجل لموالاته لأهل البيت عليهم السلام، ويطرحون رواياته وإن كان صدوقاً ثباتاً، وينبذونه بالفرض، ويصمون به بما لا يحسن من قبيح الصفات^(٣). فصار كل من مجبهم ويروي فضائلهم، أو ينقل مآثرهم وينوّه بذكرهم، أو يفضلهم على غيرهم، شيعياً^(٤) أو شيعياً^(٤) أو رافضياً مذموماً، لا حرمة له ولا كرامة، لا تُقبل روايته^(١)، ولا تسمع

(١) التفسير الكبير ١ / ٢٠٥.

(٢) بداية المجتهد ١ / ٣٥٣.

(٣) من الأوصاف الغربية التي قالوها في شيعة أهل البيت عليهم السلام ما نقله الذهبي في ميزان الاعتدال ٣ / ٢٤٢ في ترجمة عمران بن مسلم الفزاري عن أبي أحمد الزبير الذي وصف المترجم بأنه رافضي كأنه جرو كلب. إلا أن الذهبي لم يقنع بذلك، فقال معقّباً: قلت: خراء الكلاب كالرافضي.

(٤) من شواهد ذلك ما ذكره الذهبي في ترجمة الحاكم الحسكاني، عبيد الله بن عبد الله بن أحمد القرشي العامري النيسابوري، في تذكرة الحفاظ ٣ / ١٢٠٠، إذ قال: ووجدت له مجلساً يدل على تشييعه وخبرته بالحديث، وهو تصحيح خبر رد الشمس لعل رضي الله عنه وترغيم النواصب الشمس.

قلت: انظر يرحمك الله كيف رماه بالتشيع لمجرد تصحيح حديث في فضل علي عليه السلام مع اعترافه له بخبرته في الحديث.

شهادته، ولا تحل ذبيحته، ولا تجوز مناكحته.

وهذا الإمام الشافعي الذي هو علمٌ من أعلام أهل السنة، وإمام من أئمتهم، قد رُمي بالتشيع لما تجاهر بحب أهل البيت عليهم السلام، حتى قيل له: إن أناساً لا يصيرون على سماع منقبة أو فضيلة لأهل البيت، فإذا رأوا أحداً يذكر شيئاً من ذلك قالوا: تجاوزوا عن هذا، فهو رافضي.

فأنشأ يقول:

إذا في مجلسٍ نذكر علياً وابنيه وفاطمةَ الزكيَّة
يُقال: تجاوزوا يا قومُ هذا فهذا من حديثِ الرافضية
برئتُ إلى المهيمنِ من أناسٍ يرون الرفصَ حُبَّ الفاطمية^(٢)

وقيل له: إن فيك بعض التشيع! قال: وكيف؟ قالوا: ذلك لأنك تظهر حب آل محمد. فقال: يا قوم! ألم يقل رسول الله صلى الله عليه وسلم: (لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب إليه من والده وولده والناس أجمعين) وقال: (إنَّ أوليائي من عترتي المتّقون)، فإذا كان واجباً عليّ أن أحب قرابتي وذوي رحمي إذا كانوا من المتّقين، أليس من الدين أن أحب قرابة رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا كانوا من المتّقين، لأنه كان يجب قرابته، وأنشد:

يا راكباً قفْ بالمحصّبِ من منى واهتفُ بساكنِ خيفها والناهضِ
سَحراً إذا فاصَ الحجيجُ إلى منى فيضاً كملتطمِ الغراتِ الفائضِ
إن كان رفضاً حُبُّ آلِ محمدٍ فليشهدِ الثقلانِ أي رافضي^(٣)

(١) قال ابن قتيبة في كتابه الاختلاف في اللفظ، ص ٤١: تحامى كثير من المحدثين أن يحدثوا بفضائله - يعني علياً - كرم الله وجهه، أو يُظهروا له ما يجب له... إلى أن قال: وأهملوا من ذكره، أو روى حديثاً من فضائله، حتى تحامى كثير من المحدثين أن يتحدثوا بها، وعُتوا بجمع فضائل عمرو بن العاص ومعاوية، كأنهم لا يريدونها بذلك وإنما يريدونه.

(٤) نور الأبصار، ص ٢٠٠. والأبيات في ديوانه، ص ٩٠.

(٣) الانتقاء في فضائل الثلاثة الأئمة الفقهاء، ص ٩١، والعجب أن أهل البيت عليهم السلام الذين فرض الله مودّتهم

ولما سمع أن بعضهم رماه بالتشيع أنشأ يقول:

إذا نحن فضلنا علياً فإننا روافض بالتفضيل عند ذوي الجهل
 وفضل أبي بكرٍ إذا ما ذكرته رُميتُ بنصبٍ عند ذكري للفضل
 فلا زلتُ ذا رفضٍ ونصبٍ كليهما أدينُ به حتى أوسدَ في الرملِ (١)

ولهذا تحامى كثير من الحفاظ عن رواية فضائل أهل البيت عليهم السلام عموماً، وأمير المؤمنين عليه السلام خصوصاً تحاشياً للتهمة، وخوفاً من العامة، وخذراً من بطش الخلفاء والولاية.

قال الذهبي في ترجمة الحافظ ابن السقاء، وهو عبد الله بن محمد بن عثمان الواسطي: إنه أملى حديث الطير في واسط، فلم تحتمله نفوسهم، فوثبوا عليه وأقاموه وغسلوا موضعه (٢).

وقال ابن حجر في ترجمة نصر بن علي بن نصر بن علي بن صهبان الجهضمي: إنه لما حدث بحديث علي بن أبي طالب أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أخذ بيد حسن وحسين، فقال: (من أحبني وأحب هذين وأباهما وأمهما كان في درجتي يوم القيامة) أمر المتوكل بضربه ألف سوط، فكلمه فيه جعفر بن عبد الواحد، وجعل يقول له: هذا من أهل السنة. فلم يزل به حتى تركه (٣).

رابعاً: حكمهم بأن سب علي عليه السلام ولعنه وبغضه غير قاذح في وثاقة الراوي، دون سب من تقدمه من الخلفاء. فحكموا بوثاقة جمع عرفوا ببغض علي عليه السلام، واشتهر عنهم التجاهر بلعنه وسبه وعداوته.

على الناس صار جبههم جرماً يُعتذر منه، ويُستقص به إمام له مكانته العظيمة عند أهل السنة، وهذا إنما يدل على أن الجهر بحب أهل البيت كان غير مألوف، لا عند العلماء منهم ولا الجهال.

(١) مناقب الإمام الشافعي، ص ١٤٣.

(٢) تذكرة الحفاظ ٣/٩٦٦.

(٣) تهذيب التهذيب ١٠/٣٨٤.

وهم كثير يعرفهم المتتبع في كتب الحديث والرجال، ونحن سنذكر عشرة منهم ممن روي لهم في أحد الصحيحين، ووثقتهم غير واحد من رجال الجرح والتعديل.

منهم عبد الله بن شقيق العقيلي^(١)، وحريز بن عثمان الرحبي الحمصي^(٢)، وإسماعيل بن سميع الكوفي الحنفي^(٣)، والحسين بن نمير الواسطي^(٤)، وزيايد بن جبير بن حية الثقفي البصري^(٥)، وزيايد بن علاقة بن مالك الثعلبي^(٦)، وعبيد الله بن زيد أبي قلابة الجرمي^(٧) ومحمد بن زياد الألهاني^(٨)، ونعيم بن

(١) روى له البخاري والترمذي وأبو داود والنسائي وابن ماجه، ووثقه يحيى بن معين وأبو حاتم وابن خراش وابن حبان وأبو زرعة والعجلي وغيرهم. قال أحمد بن حنبل: ثقة وكان يحمل على علي. وقال ابن سعد: كان ابن شقيق عثمانياً وكان ثقة في الحديث (تهذيب التهذيب ٥/٢٢٣).

(٢) روى له البخاري والأربعة، سُئل أحمد بن حنبل عنه فقال: ثقة ثقة، وقال: ليس بالشام أثبت من حريز، وثقه ابن معين ودحيم وأحمد بن أبي يحيى والمفضل بن غسان والعجلي وأبو حاتم وابن عدي والقطان. قال ابن المديني: لم يزل من أدركناه من أصحابنا يوثقونه. كان يلعن أمير المؤمنين عليه السلام ويتقصه وينال منه. قال ابن حبان: كان يلعن علياً بالغداة سبعين مرة وبالعتي سبعين مرة (تهذيب التهذيب ٢/٢٠٧).

(٣) روى له مسلم وأبو داود والنسائي، وثقه أحمد وابن معين والقطان وأبو حاتم والنسائي وابن عدي والأزدي وابن نمير والعجلي وأبو داود وابن حبان وابن سعد والبخاري، وكان خارجياً ممن يبغض علياً عليه السلام (تهذيب التهذيب ١/٢٦٦).

(٤) روى له البخاري وأبو داود والنسائي والترمذي، ووثقه ابن معين والعجلي وأبو زرعة وأبو حاتم وابن حبان، كان يحمل على علي عليه السلام (تهذيب التهذيب ٢/٣٣٧).

(٥) روى له الستة: البخاري ومسلم والنسائي وأبو داود والترمذي وابن ماجه. وثقه أحمد وابن معين وأبو زرعة والنسائي والعجلي، سُئل عنه أبو داود فقال: هذا زياد الجهبذ. كان يقع في الحسن والحسين عليهما السلام (تهذيب التهذيب ٣/٣٠٨).

(٦) روى له الستة. ووثقه ابن معين والنسائي وأبو حاتم وابن حبان والعجلي ويعقوب بن سفيان. قال الأزدي: سبى المذهب، كان منحرفاً عن أهل بيت النبي صلّى الله عليه وآله (تهذيب التهذيب ٣/٣٢٧).

(٧) روى له الستة، وثقه ابن سعد وابن خراش وغيرهما. قال العجلي في كتاب الثقات، ص ٢٥٧: تابعي ثقة، ثقة، وكان يحمل على علي، ولم يرو عنه شيئاً قط (تهذيب التهذيب ٥/١٩٨).

(٨) روى له البخاري والأربعة، وثقه أحمد وأبو داود والترمذي والنسائي وابن معين وابن حبان. قال

بن أبي هند الأشجعي^(١)، وخالد بن سلمة بن العاص المعروف بالفأفأ^(٢).

إلى غير هؤلاء ممن نصّوا على نصبه وسوء حاله.

والعجب كيف تجرّأوا في توثيق هؤلاء وغيرهم ممن هو على شاكلتهم، وتصحيح رواياتهم وروايتها في صحاحهم وغيرها، مع ما ثبت من قول النبي ﷺ: (لا يحبك إلا مؤمن ولا يبغضك إلا منافق)^(٣)، وقوله: (من أحبّ علياً فقد أحبني، ومن أبغض علياً فقد أبغضني)^(٤)، وقوله: (من سبّ علياً فقد سبني، ومن سبني فقد سبّ الله تعالى)^(٥)، وغيرها من الأحاديث الصحيحة الثابتة في حب علي

الحاكم: اشتهر عنه النصب كحريز بن يزيد (تهذيب التهذيب ٩/ ١٥٠).

(١) روى له البخاري في التعاليق، ومسلم وأبو داود في المراسيل والترمذي والنسائي وابن ماجه، وثقه النسائي وابن حبان وابن سعد والعجلي، وقال أبو حاتم: صالح الحديث صدوق. وقال سفيان الثوري: كان يتناول علياً رضي الله عنه (تهذيب التهذيب ١٠/ ٤١٧).

(٢) روى له مسلم والبخاري في الأدب المفرد وابن ماجه وأبو داود والترمذي والنسائي، وثقه أحمد بن حنبل ويحيى بن معين وابن المديني وابن عمار ويعقوب بن أبي شيبة والنسائي وابن حبان. قال محمد بن حميد عن جرير: كان الفأفأ رأساً في المرجئة، وكان يبغض علياً. (تهذيب التهذيب ٣/ ٨٣).

(٣) صحيح مسلم ٨٦/١ كتاب الإيمان، باب ٣٣، سنن الترمذي ٥/ ٦٣٥، ٦٤٣. سنن ابن ماجه ١/ ٤٢ المقدمة باب ١١. مسند أحمد بن حنبل ١/ ٨٤، ٩٥، ٦/ ٢٦٢. خصائص أمير المؤمنين ﷺ للنسائي، ص ١٨٧، ١٩١، ١٩٢. مشكاة المصابيح ٣/ ١٧١٩، ١٧٢٢. حلية الأولياء ٤/ ١٨٥، تاريخ بغداد ٢/ ٢٥٥، ٨/ ٤١٧، ١٤/ ٤٢٦. صفة الصفوة ١/ ٣١٢. جامع الأصول ٩/ ٤٧٣. الإحسان بترتيب صحيح ابن حبان ٩/ ٤٠. كنز العمال ١١/ ٦٢٢. مجمع الزوائد ٩/ ١٣٣. كتاب السنة، ص ٥٨٤. شرح السنة ١٤/ ١١٣، ١١٤. سلسلة الأحاديث الصحيحة ٤/ ٢٩٨. مجمع الزوائد ٩/ ١٣٣. ووثق رجاله. صحيح سنن ابن ماجه ١/ ٢٥. صحيح سنن النسائي ٣/ ١٠٣٣. فضائل الصحابة ٢/ ٥٦٤، ٥٧٠، ٦١٩، ٦٢٢، ٦٤٨، ٦٥٠.

(٤) المستدرک على الصحيحين ٣/ ١٣٠ وصحّحه ووافقه الذهبي. كنز العمال ١١/ ٦٠١، ٦٢٢. الجامع الصغير ٢/ ٥٥٤ ورمز له بالصححة. صحيح الجامع الصغير ٢/ ١٠٣٤. سلسلة الأحاديث الصحيحة ٣/ ٢٨٧. مجمع الزوائد ٩/ ١٣٢. وقال: إسناده حسن.

(٥) المستدرک على الصحيحين ٣/ ١٢١ وصحّحه ووافقه الذهبي. مسند أحمد بن حنبل ٦/ ٣٢٣. مجمع الزوائد ٩/ ١٣٠ ووثق رجاله. كنز العمال ١١/ ٦٠٢. مشكاة المصابيح ٣/ ١٧٢٢. خصائص أمير

عليه السلام والتحذير من سبّه وبغضه وحره ومعاداته.

والذي يظهر أنهم عدّوا هؤلاء مجتهدين متأولين، لهم أجر واحد في سب علي عليه السلام ولعنه، لأنهم إذا حكموا بأن من حاربوا علياً عليه السلام مجتهدون مأجورون، ومن قتله متأول، فمن سبّه ولعنه أولى بهذا العذر ممن قتله أو شرك في دمه.

ولكن الغريب في الأمر هو أنهم لم يروا لمن سبّ أبا بكر وعمر وعثمان ومعاوية وعمر وبن العاص وغيرهم عذراً يُعذر به أو محملاً صحيحاً يحمل عليه، من تأوّل أو شبهة أو غيرهما مما يمنع من التهجم عليه والوقية فيه.

بل إن مجرد سبّ واحد ممن تقدّم علياً عليه السلام من الخلفاء كاف في سقوط العدالة واختلال الوثاقة، بل منهم من حكم بلزوم قتله حداً^(١).

ولهذا ردّوا روايات الروافض الذين يقعون في أبي بكر وعمر، دون النواصب الذين يقعون في علي وأهل بيته عليه السلام.

قال شمس الدين الذهبي: إن البدعة على ضربين: فبدعة صغرى كغلو التشيع، أو كالتشيع بلا غلو ولا تحرف...

إلى أن قال: ثم بدعة كبرى كالرفض الكامل والغلو فيه، والخط على أبي بكر وعمر رضي الله عنهما، والدعاء إلى ذلك. فهذا النوع لا يحتاج بهم ولا كرامة...

وقال: فالشيعة الغالي في زمان السلف وعرفهم هو من تكلم في عثمان والزبير وطلحة ومعاوية وطائفة ممن حارب علياً رضي الله عنه، وتعرض لسبهم. والغالي في زماننا هو الذي يكفر هؤلاء السادة، ويتبرأ من الشيخين أيضاً، فهذا ضال معتر^(٢).

وقال ابن حجر العسقلاني: التشيع في عرف المتقدمين هو اعتقاد تفضيل علي على عثمان، وأن علياً كان مصيباً في حروبه، وأن مخالفه مخطئ، مع تقديم الشيخين

المؤمنين عليه السلام، ص ١٧.

(١) مثل التقى السبكي. راجع خاتمة الصواعق المحرقة، ص ٢٨٨.

(٢) ميزان الاعتدال ١/٥ - ٦.

وتفضيلهما، وربما اعتقد بعضهم أن علياً أفضل الخلق بعد رسول الله ﷺ .

إلى أن قال: وأما التشيع في عرف المتأخرين فهو الرفض المحض، فلا تقبل رواية الرافضي الغالي ولا كرامة^(١).

وللخروج من هذه المفارقة كفروا الروافض وأخرجوهم من دائرة المسلمين وحوزة المؤمنين، فلا يصح حينئذ حمل أي فعل لهم على شبهة أو تأويل أو اجتهاد أو غير ذلك.

قال ابن حجر بعد أن ساق قوله تعالى ﴿محمد رسول الله والذين معه أشداء على الكفار رحماء بينهم﴾ إلى قوله ﴿ليغيظ بهم الكفار﴾ الآية^(٢): ومن هذه الآية أخذ الإمام مالك في رواية عنه بكفر الروافض الذين يبغضون الصحابة، قال: لأن الصحابة يغيظونهم، ومن غاظه الصحابة فهو كافر.

قال ابن حجر: وهو مأخذ حسن يشهد له ظاهر الآية، ومن ثم وافقه الشافعي رضي الله عنه في قوله بكفرهم، ووافقه جماعة من الأئمة^(٣).

وقال القرطبي: لقد أحسن مالك في مقالته وأصاب في تأويله، فمن نقص واحداً منهم أو طعن عليه في روايته فقد ردّ على الله رب العالمين وأبطل شرائع الإسلام^(٤).

وقال الفريابي: من شتم أبا بكر فهو كافر لا أصلي عليه^(٥).

أقول: عندما تتأمل كلماتهم وتدقق في عباراتهم تجد أنهم يثبتون هذا الحكم - وهو كفر من ينتقص واحداً من صحابة رسول الله ﷺ أو فسقه - في حق من ينتقص غير علي عليه السلام، بل إنهم حكموا بذلك لإيجاد ذريعة لتكفير شيعة أهل البيت عليهم السلام.

(١) تهذيب التهذيب ١/ ٨١ - ٨٢.

(٢) سورة الفتح، الآية ٢٩.

(٣) الصواعق المحرقة، ص ٢٤٣، وراجع تفسير القرآن العظيم ٤/ ٢٠٤.

(٤) الجامع لأحكام القرآن ١٦/ ٢٩٦.

(٥) المغني ٢/ ٤١٩.

وأتباعهم، فهم المرادون به دون غيرهم.

ومن غرائب الأقوال وعجائبها ما قاله ابن تيمية في هذا الشأن، فإنه قال: إن القادحين في علي حتى بالكفر والفسوق والعصيان طوائف معروفة، وهم أعلم من الرافضة وأدين، والرافضة عاجزون معهم علماً وديناً، فلا يمكن الرافضة أن تقيم عليهم حجة تقطعهم بها، ولا كانوا معهم في القتال منصورين عليهم.

إلى أن قال: بخلاف من يكفر علياً ويلعنه من الخوارج ومن قاتله ولعنه من أصحاب معاوية وبني مروان وغيرهم، فإن هؤلاء كانوا مقرّين بالإسلام وشرائعه، يقيمون الصلاة، ويؤتون الزكاة، ويصومون رمضان، ويحجّون البيت العتيق، ويحرمون ما حرم الله ورسوله، وليس فيهم كفر ظاهر، بل شعائر الإسلام وشرائعه ظاهرة فيهم، معظّمة عندهم، وهذا أمر يعرفه كل من عرف أحوال الإسلام.

وقال أيضاً: إذا اعتُبر الذين كانوا يبغضونه - يعني علياً عليه السلام - ويوالون عثمان، والذين يبغضون عثمان ويحبّون علياً، وُجد هؤلاء خيراً من أولئك من وجوه متعددة، فالمنزّهون لعثمان القادحون في علي أعظم وأدين وأفضل من المنزهين لعلي القادحين في عثمان كالزيدية مثلاً، فمعلوم أن الذين قاتلوه ولعنوه وذمّوه من الصحابة والتابعين وغيرهم هم أعلم وأدين من الذين يتولّونه ويلعنون عثمان.

وقال أيضاً: القادحون في علي طوائف متعددة، وهم أفضل من القادحين في أبي بكر وعمر وعثمان، والقادحون فيه أفضل من الغلاة فيه، فإن الخوارج متفقون على كفره، وهم عند المسلمين كلهم خير من الغلاة الذين يعتقدون إلهيته أو نبوته، بل هم والذين قاتلوه من الصحابة والتابعين خير عند جماهير المسلمين من الرافضة الاثني عشرية الذين اعتقدوه إماماً معصوماً^(١).

أقول: قوله: (إن من يكفر علياً ويلعنه من الخوارج وغيرهم مقرّين بالإسلام وشرائعه...)، وقوله: (وليس فيهم كفر ظاهر) يرده قول النبي صلّى الله عليه وآله: يقرأون القرآن

لا يجاوز تراقيهم، يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرميّة^(١).

وقوله: (ويحرمون ما حرم الله) يرده أنهم عادوا علياً عليه السلام وحاربوه ولعنوه، وهذه من الموبقات العظيمة التي حرمها الله سبحانه، وحذر منها النبي الأكرم صلوات الله عليه وآله في الأحاديث المتواترة التي بلغتهم وأقروا بها هم فضلاً عن غيرهم.

وقوله: (إذا اعتبر الذين يبغضونه...) إلى آخر كلامه يرده ما صح عن النبي صلوات الله عليه وآله أن علياً عليه السلام لا يحبه إلا مؤمن ولا يبغضه إلا منافق. فشتان ما بين المؤمنين الذين يحبونه، والمنافقين الذين يبغضونه. وحب مبغضيه لغيره لا يخرجهم عن النفاق، كما أن بغض محبيه لغيره ممن لم يُنص على وجوب محبته لا يخرجهم عن الإيمان، لأن ذلك إن كان معصية فهو من المعاصي التي تقع من المؤمنين، ولا تنافي إيمانهم، ويمكن غفرانها لهم.

وقوله: (بل هم - يعني الخوارج - والذين قاتلوه... خير من الراضة...) يرده ما صح عن النبي صلوات الله عليه وآله أنه قال: (علي وشيعته هم الفائزون) حتى زعمت أكثر الطوائف أنها شيعة^(٢). وما صح عنه صلوات الله عليه وآله في الخوارج أنهم يمرقون من الدين، وأنهم

(١) أخرجه البخاري في صحيحه ٤٧/٨، ٢١/٩، ٤/٢٤٤. ومسلم في صحيحه ٧٤٠/٢ - ٧٥٠. وأبو داود في سننه ٤/٢٤٣. والنسائي في سننه ٥/٨٧، ٧/١١٧. وابن ماجه في سننه ١/٥٩ - ٦٢. والترمذي في سننه ٤/٤٨١. ومالك في الموطأ، ص ١٠١. وأحمد في مسنده ١/٨٨، ٩٢، ١٣١، ١٤٧، ١٥١، ١٥٦، ١٦٠، ٢٥٦، ٤٠٤، ٥/٣، ١٥، ٣٣، ٥٢، ٥٦، ٦٠، ٦٤، ٦٥، ٦٨، ٧٣، ١٥٩، ١٨٣، ١٨٩، ٢٢٤، ٣٥٣، ٣٥٤، ٣٥٥، ٤٨٦، ٤/١٤٥، ٤٢٢، ٤٢٥، ٥/٤٢، ١٧٦، ونص الكتاني على تواتره كما في نظم المتناثر، ص ٥٩.

(٢) أما أهل السنة فقد ادعى جمع من علمائهم أنهم هم شيعة علي عليه السلام دون غيرهم كما مرّ. وأما المعتزلة فزعموا ذلك أيضاً. قال ابن أبي الحديد في شرح نهج البلاغة ٤/٥٢٢: لم تكن لفظة الشيعة تعرف في ذلك العصر إلا لمن قال بتفضيله - يعني علياً عليه السلام -... فكان القائلون بالتفضيل هم المسمون الشيعة. وجميع ما ورد من الآثار والأخبار في فضل الشيعة وأنهم موعودون بالجنة فهو لاء هم المعنيون به دون غيرهم، ولذلك قال أصحابنا المعتزلة في كتبهم وتصانيفهم: نحن الشيعة حقاً. فهذا القول هو أقرب إلى السلامة وأشبه بالحق من القولين المتقسمين طرفي الإفراط والتفريط.

شر الخلق والخليقة، وأنه ﷺ لو أدركهم لقتلهم قتل عاد. فكيف يجروا ابن تيمية على مخالفة النصوص الصحيحة الصريحة، فيمدح من ذم النبي ﷺ، ويذم من مدحه؟! وهل هذا إلا مصداق قوله تعالى ﴿ألم تر إلى الذين أتوا نصيباً من الكتاب يؤمنون بالجبت والطاغوت ويقولون للذين كفروا هؤلاء أهدى من الذين آمنوا سبيلاً﴾ أولئك الذين لعنهم الله ومن يلعن الله فلن تجد له نصيراً ﴿^(١).

خامساً: أنهم حكموا باجتهاد من حاربه.

قال ابن حزم: إن معاوية رضي الله عنه ومن معه مخطئون مجتهدون مأجورون أجراً واحداً^(٢).

وقال ابن حجر الهيتمي: وأعداؤه - يعني علياً عليه السلام - الخوارج ونحوهم من أهل الشام، لا معاوية ونحوه من الصحابة، لأنهم متأولون فلهم أجر^(٣).

وقال: [إن معاوية] لم يقدم على شيء مما صح عنه إلا بتأول يمنعه من الإثم، بل ووجب له حظ من الثواب.

وقال: فكل من قاتله من هؤلاء بغاة عليه، لكن من عدا الخوارج - وإن كانوا مخطئين - هم مثابون، لأنهم أئمة فقهاء مجتهدون مؤولون تأويلاً محتماً، بخلاف الخوارج، لأن تأويلهم قطعي البطلان^(٤).

وقال أيضاً: إن معاوية وأتباعه مثابون غير مأثومين بما فعلوه من قتال علي^(٥).

سادساً: أنهم حكموا باجتهاد من قتله دون من قتل غيره.

قال ابن حزم: لا خلاف بين أحد من الأئمة في أن ابن ملجم قتل علياً متأولاً

(١) سورة النساء، الآيات ٥١ - ٥٢.

(٢) الفصل في الملل والأهواء والنحل ٤ / ١٦١.

(٣) الصواعق المحرقة، ص ١٨٤.

(٤) تطهير الجنان واللسان، ص ٣٠٢.

(٥) المصدر السابق، ص ٣١٩.

مجتهداً مقدراً أنه على صواب^(١).

وقال الشافعي: وابن ملجم المرادي قتل علياً متأولاً^(٢).

وقال محمد بن جرير الطبري في التهذيب: لا خلاف بين أحد من الأمة أن ابن ملجم قتل علياً متأولاً مجتهداً مقدراً أنه على صواب^(٣).

وأما قتلة مَنْ تقدّمه من الخلفاء فلا حق لهم في تأول ولا اجتهاد، فهم كفره هالكون.

أما قاتل عمر فقالوا: إنه غلام مجوسي، وأما قتلة عثمان فقد وصفهم ابن كثير بأنهم أجلاف أخلاط من الناس^(٤)، مفسدون في الأرض^(٥)، جهلة بغاة متعتّون خونة خونة ظلّمة مفترّون^(٦).

وقال ابن تيمية: وأما الساعون في قتله فكلهم مخطّئون بل ظالمون باغون معتدون^(٧).

وقال ابن حزم: وعمار رضي الله عنه قتله أبو الغادية يسار بن سبع السلمي... إلى أن قال: فأبو الغادية رضي الله عنه متأول مجتهد مخطئ فيه باغ عليه، مأجور أجراً واحداً، وليس هذا كقتلة عثمان رضي الله عنه، لأنهم لا مجال للاجتهاد في قتله، لأنه لم يقتل أحداً ولا حارب ولا قاتل ولا دافع، ولا زنا بعد إحصان، ولا ارتد، فيسوّغ المحاربة تأويل، بل هم فسّاق محاربون سافكون دماً حراماً عمداً بلا تأويل على

(١) تلخيص الحبير ٤/٤٦.

(٢) المصدر السابق ٤/٤٥.

(٣) السنن الكبرى ٨/٥٨.

(٤) البداية والنهاية ٧/١٨٤.

(٥) المصدر السابق ٧/١٩٤.

(٦) المصدر السابق ٧/١٩٥.

(٧) منهاج السنة ٣/٢٠٦.

سبيل الظلم والعدوان، فهم فساق ملعونون^(١).

وأقول: إذا فتحنا باب التأويل والاجتهاد، فإنه لا يضيق بقتلة عثمان ولا بقتلة غيره، إذ لقائل أن يقول: إن عثمان لما ولى على الناس من لا يصلح للولاية، حتى كثر ظلم هؤلاء الولاة الذين ضج الناس منهم، وأبى عثمان أن يعزلهم أو يتنحى عن الأمر ليقوم به من تكون خلافته فرجاً للعباد والبلاد، لما رأى هؤلاء كل ذلك عمدوا إلى قتله دفعاً للظلم الذي لا يندفع إلا به.

سابعاً: إنكارهم جملة كبيرة من فضائل علي صلى الله عليه وآله.

ويتضح ذلك ببيان أمور:

١ - أن علياً صلى الله عليه وآله هو أكثر صحابة رسول الله صلى الله عليه وآله فضائل ومناقب بلا ريب

ولا شبهة.

قال أحمد بن حنبل: ما جاء لأحد من الصحابة من الفضائل ما جاء لعلي^(٢).

وقال إسماعيل القاضي والنسائي وأبو علي النيسابوري: لم يرد في حق أحد من الصحابة بالأسانيد الحسان أكثر مما جاء في علي^(٣).

ولكن يشق على بعضهم أن يمتاز علي صلى الله عليه وآله على صحابة رسول الله صلى الله عليه وآله بكثرة الفضائل، ولذا حاولوا جهدهم أن يؤولوها بما يخرجها عن أن تكون فضيلة له.

قال السمهودي في جواهر العقدين وغيره: السبب في ذلك أن الله تعالى أطلع نبيه صلى الله عليه وآله على ما يكون بعده مما ابتلي به علي رضي الله عنه وما وقع من الاختلاف لما آل إليه أمر الخلافة، فاقضى ذلك نصح الأمة باشتهاره لتلك الفضائل، لتحصل النجاة لمن تمسك به ممن بلغته...

إلى أن قال: ثم أيضاً لما اشتد الخطب واشتغلت طائفة من بني أمية بتنقيصه

(١) الفصل في الملل والأهواء والنحل ٤ / ١٦١.

(٢) المستدرک على الصحيحین ٣ / ١٠٧، الصواعق المحرقة، ص ١٤٨.

(٣) عن الصواعق المحرقة، ص ١٤٨، نور الأبصار، ص ١٤٢.

وسبّه على المنابر، ووافقهم الخوارج، بل قالوا بكفره، اشتغل جهابذة الحفاظ من أهل السنة ببث الفضائل حتى كثرت، نصحاً للأمة ونصرة للحق^(١).

وهذا يعني أن غير علي عليه السلام ربما كان في نفس الأمر أكثر منه فضائل، إلا أن الأمويين لما اشتغلوا بسبّه وتنقيصه وانبرى الحفاظ إلى نشر فضائله، ولم يعتنوا هذه العناية بنشر فضائل غيره، صار علي عليه السلام أكثر صحابة النبي صلّى الله عليه وآله فضائل في الظاهر، إلا أن ذلك غير معلوم في الواقع.

٢ - أن جمعاً من علماء أهل السنة أنكروا أكثر فضائله، حتى قال ابن حزم الأندلسي: والذي صحّ من فضائل علي فهو قول النبي صلّى الله عليه وآله: (أنت مني بمنزلة هارون من موسى إلا أنه لا نبي بعدي)، وقوله عليه السلام: (لأعطين الراية غداً رجلاً يحب الله ورسوله، ويحب الله ورسوله)، وهذه صفة واجبة لكل مؤمن وفاضل. وعهده عليه السلام أن علياً لا يحبه إلا مؤمن، ولا يبغضه إلا منافق. وقد صحّ مثل هذه في الأنصار رضي الله عنهم أنه لا يبغضهم من يؤمن بالله واليوم الآخر. وأما (من كنت مولاه فعلي مولاه) فلا يصح من طريق الثقات أصلاً^(٢)، وأما سائر الأحاديث التي تتعلق بها الرافضة فموضوعة، يعرف ذلك من له أدنى علم بالأخبار ونقلها^(٣).

وأقول: انظر أيها القارئ المنصف كيف عمدوا في سبيل الرد على حجج الشيعة في إثبات إمامة علي عليه السلام إلى إنكار فضائله وجمد مآثره، فكذبوا الأحاديث الصحيحة الواردة فيه، ثم لم يكتفوا فرموه بسهامهم الخائبة كيداً لشيئته، وميلاً عن متابعتة

(١) عن نور الأبصار، ص ١٤٢، وراجع الصواعق المحرقة، ص ١٤٨.

(٢) هذا من عظيم جرأته، فقد جزم بتواتر هذا الحديث جمع من الحفاظ كما تقدم في فضائل أمير المؤمنين عليه السلام، وصحّحه كثير من الأعلام، كالترمذي في سننه ٦٣٣/٥، والحاكم في المستدرک ١٠٩/٣، ١١٠، والذهبي في تلخيصه، وفي تاريخ الإسلام ٦٢٩/٢، والقاري في مرقاة المفاتيح ٤٦٤/١٠، وابن حجر في الصواعق المحرقة، ص ١٤٩، قال: إن كثيراً من طرقه صحيح أو حسن. وابن عبد البر في الاستيعاب ٣٦/٣، والهيثمي في مجمع الزوائد ١٠٤/٩ - ١٠٨، والألباني في صحيح الجامع الصغير ١١١٢/٢، وسلسلة الأحاديث الصحيحة ٣٤٣/٤.

(٣) الفصل في الملل والأهواء والنحل ١٤٧/٤.

ومشايعته، فإننا لله وإنا إليه راجعون، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.

٣ - تضعيف كثير من الأحاديث الصحيحة الواردة فيه، وقد وقع في هذه الطامة كل من كتب في نقض عقائد الشيعة أو الرد عليها.

ولا بأس أن نأخذ ابن تيمية مثلاً لإيضاح هذا المسلك الذي نهجه كثير من أعلام السنة، فإن ابن تيمية عمد إلى كثير من الأحاديث الصحيحة الواردة في فضل علي عليه السلام فردّها بلا مستند صحيح.

ويشهد بصحة ما قلناه ما أورده ابن حجر العسقلاني في ترجمة ابن المطهر الحلي، إذ قال: صنّف - أي ابن المطهر - كتاباً في فضائل علي رضي الله عنه، نقضه الشيخ تقي الدين ابن تيمية في كتاب كبير...

إلى أن قال: لكن وجدته كثير التحامل إلى الغاية في رد الأحاديث التي يوردها ابن المطهر، وإن كان معظم ذلك من الموضوعات والواهيات، لكنه ردّ في ردّه كثيراً من الأحاديث الجياد... وكم من مبالغة لتوهين كلام الرافضي - يعني ابن المطهر - قادته أحياناً إلى تنقيص علي رضي الله عنه^(١).

أقول: من الأحاديث التي ضعّفها ابن تيمية مع صحّتها، قول النبي صلى الله عليه وآله: ما تريدون من علي؟ إن علياً مني وأنا منه، وهو ولي كل مؤمن بعدي^(٢).

قال الألباني بعد أن صحّح هذا الحديث وذكر بعض طرقه: فمن العجيب حقاً أن يتجرأ شيخ الإسلام ابن تيمية على إنكار هذا الحديث وتكذيبه في منهاج السنة ٤/١ عليه السلام كما فعل بالحديث المتقدم هناك...

(١) لسان الميزان ٦/٣١٩.

(٢) أخرجه الترمذي في سننه ٥/٦٣٢، والنسائي في خصائص أمير المؤمنين، ص ١٦٤، وابن حبان في صحيحه (الإحسان بترتيب صحيح ابن حبان ٩/٤٢)، والحاكم في المستدرک ٣/١١٠ وصحّحه ووافقه الذهبي، وأخرجه أحمد في المسند ٤/٤٣٧-٤٣٨، ٥/٣٥٦، والألباني في سلسلته الصحيحة ٥/٢٦١. وقوله عليه السلام لعلني: (أنت ولي كل مؤمن بعدي) أخرجه أحمد في المسند ١/٣٣٠-٣٣١، والحاكم في المستدرک ٣/١٣٢-١٣٣ وصحّحه ووافقه الذهبي، والألباني في سلسلته الصحيحة ٥/٢٦٣.

إلى أن قال: فلا أدري بعد ذلك وجه تكذيبه للحديث، إلا التسرع والمبالغة في الرد على الشيعة^(١).

وقال أيضاً بعد أن صحَّح حديث (من كنت مولاه فعليّ مولاه) ونص على تواتره وخرَّج طرقه: كان الدافع لتحرير الكلام على هذا الحديث وبيان صحَّته أنني رأيت شيخ الإسلام ابن تيمية قد ضعَّف الشطر الأول من الحديث^(٢)، وأما الشطر الثاني فزعم أنه كذب، وهذا من مبالغته الناتجة في تقديري من تسرَّعه في تضعيف الأحاديث قبل أن يجمع طرقها ويدقِّق النظر فيها، والله المستعان^(٣).

٤ - تأويل الأحاديث الواردة في فضل علي عليه السلام بما يخرجها عن أن تكون فضيلة له، وقد تقدم شيء من هذه التأويلات في كلام ابن حزم.

ومن هنا نلاحظ أنه مع كثرة الأحاديث الصحيحة الدالة دلالة واضحة على خلافة علي عليه السلام وأفضليته على غيره، إلا أن يد التأويل استطاعت أن تمحو هذه الأفضلية، وترفع تلك الدلالة، فصارت أحاديث جوفاء لا معنى مهماً لها.

فمع أن قول النبي صلى الله عليه وآله لعلي عليه السلام: (يا علي أنت ولي كل مؤمن بعدي) يدل دلالة واضحة على ثبوت الولاية لعلي عليه السلام، إلا أن القوم صرفوه عن معناه الدال على أولوية علي عليه السلام بالخلافة إلى معنى آخر غير ذي شأن، إذ زعموا أن الولي هنا بمعنى الناصر أو المحب. وعليه فلست أدري ما معنى ثبوت نصرة علي عليه السلام أو محبته للمؤمنين بعد حياة النبي صلى الله عليه وآله مع أنها ثابتتان في حياته.

وقول النبي صلى الله عليه وآله لعلي عليه السلام أيضاً: (أما ترضى أن تكون مني بمنزلة هارون من موسى إلا أنه لا نبي بعدي) مع أنه يدل دلالة واضحة على خلافته عليه السلام، إلا أن القوم صرفوه أيضاً إلى معنى آخر غير مهم، إذ زعموا أنه عليه السلام بمنزلة هارون في أن موسى

(١) سلسلة الأحاديث الصحيحة ٥/ ٢٦٣ - ٢٦٤.

(٢) الشطر الأول هو (من كنت مولاه فعليّ مولاه)، والشطر الثاني هو (اللهم وال من والاه، وعاد من عاداه).

(٣) سلسلة الأحاديث الصحيحة ٤/ ٣٣٤.

عليه السلام استخلفه على قومه لما ذهب إلى الميقات من غير أن يكون خليفته من بعده، مع أن كتاب الله العزيز أوضح هذه المنزلة، إذ قال عزّ من قائل حكاية عن موسى: ﴿واجعل لي وزيراً من أهلي﴾ هارون أخي ﴿اشدد به أزري﴾ وأشركه في أمري ﴿^(١)﴾.

وقال سبحانه ﴿وقال موسى لأخيه هارون اخلفني في قومي وأصلح ولا تتبع سبيل المفسدين﴾ ^(٢).

ومن غرائب التأويلات قول بعضهم: إن المراد بـ (علي) في قول النبي ﷺ: (أنا مدينة العلم وعلي بابها) هو عالٍ، فيصير معنى الحديث: أنا مدينة العلم وبابها عالٍ أي مرتفع. وما عشت أراك الدهر عجباً.

نتيجة البحث:

مما تقدم يتضح أن شيعة علي عليه السلام وأتباع أهل البيت عليهم السلام هم الشيعة الإمامية الذين استحقوا هذه التسمية بحق، ومدحتهم الأحاديث المتفق على صحتها، التي نصت على فوزهم ونجاتهم دون غيرهم من سائر الفرق.

وأما الدعاوى الفارغة التي لا تعتمد على دليل ولا تستند إلى حجة، فلا يلتفت إليها ولا يُعابها، فإنها كثيرة لا تقطع ولا تقف عند حد.

(١) سورة طه، الآيات ٢٩ - ٣٢.

(٢) سورة الأعراف، الآية ١٤٢.

الفصل العاشر

حقيّة مذهب الشيعة الإمامية

لنا أن نستدل على حَقِيَّةِ مذهب الإمامية بما يلي:

الدليل الأول^(١):

أنا تأملنا المذاهب ونظرنا في قول النبي ﷺ: (سفترق أُمّتي إلى ثلاث وسبعين فرقة، كلها في النار إلا واحدة)، ورأينا أن النبي ﷺ عيّن هذه الفرقة في أحاديث صحيحة، منها قوله ﷺ: (إني تارك فيكم الثقلين: كتاب الله وعترتي أهل بيتي، ما إن تمسكتم بها فلن تصلوا بعدي أبداً)، ومنها قوله ﷺ: (مثل أهل بيتي فيكم كمثل سفينة نوح، من ركبها نجا، ومن تخلف عنها غرق)، وعيّن المراد بأهل بيته في الأحاديث المتقدمة، وعيّن عدد أئمة الحق بقوله: (لا يزال الإسلام عزيزاً إلى اثني عشر خليفة... كلهم من قريش)، ويبيّن بأنهم (الجماعة)، أي من اجتمعت الأمة على صلاحهم، ورأينا الشيعة الإمامية الاثني عشرية قد اتّبعوا اثني عشر إماماً من أهل البيت الذين اتفقت الأمة على صلاحهم، ولم نر ذلك في طائفة أخرى.

فلما رأينا كل ذلك علمنا أن الفرقة الناجية هي هذه الطائفة دون غيرها.

الدليل الثاني:

أن الشيعة الإمامية جازمون بصحة دينهم ونجاتهم كجزم أئمتهم عليهم السلام، أما غيرهم من الفرق فهم وأئمتهم شاؤون في النجاة^(٢)، ومتابعة الجازم أولى من متابعة

(١) أخذنا هذا الدليل والأدلة الأربعة التي تليه مما قاله العلامة الخلي في منهاج الكرامة بتصرف وزيادة وإيضاح منّا.

(٢) قال الغزالي في إحياء علوم الدين ١/١٢٤: فهذه الأخبار والآثار تعرّفك خطر الأمر بسبب دقائق النفاق والشرك الخفي، وأنه لا يؤمن منه، حتى كان عمر بن الخطاب رضي الله عنه يسأل حذيفة عن نفسه وأنه هل ذُكر في المنافقين.

وسؤال عمر لحذيفة أخرجه المتقي الهندي في كنز العمال ١٣/٣٤٤، وذكره الذهبي في سير أعلام النبلاء

الشاك^(١).

الدليل الثالث:

أن الإمامية أخذوا مذهبهم عن الأئمة المعصومين المشهورين بالفضل والعلم والزهد والاشتغال في كل وقت بالعبادة والدعاء وتلاوة القرآن، والمداومة على ذلك من زمن الطفولة إلى آخر العمر، ومنهم تعلّم الناس العلوم، ونزل في حقهم سورة هل أتى، وآية التطهير، وآية المودة، وآية المباهلة وغير ذلك^(٢).

وأما غير الإمامية فأخذوا مذاهبهم عن أئمتهم الذين رَوَوْا فيهم المطاعن العظيمة والمثالب الكثيرة.

وأتباع المتفق على حسن سيرتهم ونقاء سريرتهم أولى من اتباع من طعن فيهم أولياءهم فضلاً عن أعدائهم.

الدليل الرابع:

أن مذهب الإمامية أخلص المذاهب عن شوائب الباطل، وأعظمها تنزيهاً لله تعالى ولرسله ولأوصيائه، وأحسن المذاهب في مسائله الأصولية والفرعية، لأن الإمامية اعتقدوا أن الله تعالى هو المخصوص بالأزلية والقدم، وأن كل ما سواه محدث، وأنه واحد، وأنه ليس بجسم ولا جوهر ولا مركب فيحتاج إلى غيره، لأن جزأه غيره، ولا عرض ولا في مكان، وإلا لكان محدثاً، بل نزهوه عن مشابهة المخلوقات، واعتقدوا أنه تعالى قادر على جميع المقدورات، وأنه عدل حكيم لا يظلم أحداً ولا

٣٦٤/٢، وتاريخ الإسلام ٤٩٤/٣، والطبري في جامع البيان ٩/١١، وابن كثير في البداية والنهاية ١٨/٥.

وأخرج أحمد في المسند ٢٩٨/٦ والهيثمي في مجمع الزوائد ١١٢/١ عن أم سلمة قالت: قال النبي ﷺ: من أصحابي من لا أراه ولا يراني بعد أن أموت أبداً. قال: فبلغ ذلك عمر فأتاها يشتد أو يسرع، فقال: أنشدك الله، أنا منهم؟ قالت: لا، ولا أبرئ بعدك أحداً أبداً.

(١) الأنوار النعمانية ٢/٢٧٩، منهاج الكرامة، ص ٩٥.

(٢) منهاج الكرامة، ص ٩٦.

يفعل القبيح، وإلا كان جاهلاً أو محتاجاً أو عاجزاً أو عابثاً تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً، وأنه لا يُرى ولا يُدرك بشيء من الحواس لقوله تعالى ﴿لا تدركه الأبصار وهو يدرك الأبصار﴾^(١)...^(٢)

فلم يجوزوا على الله أن يكون له يدان ووجه ورجلان يضعهما في النار فتقول: (قط قط)، أو يكون في صورة غلام أمرد ققط الشعر، يراه الناس يوم القيامة، فلا يعرفونه إلا بكشف ساقه وسجود الأنبياء له.

ولم يجوزوا عليه سبحانه أن ينزل كل ليلة إلى السماء الدنيا، فينادي: هل من تائب مستغفر فأغفر له.

ونزّهوه عن أن يعذب الأنبياء عليهم السلام على طاعتهم، ويثيب إبليس على معصيته، أو يكلف الناس بما لا يطيقون أو ما لا مصلحة فيه.

كما اعتقدوا أن أنبياء الله عامة ورسول الله صلّى الله عليه وآله خاصة معصومون عن الخطأ والسهو والمعصية صغيرها وكبيرها من أول العمر إلى آخره، وإلا لم يبق وثوق بما يبلغونه، فتنتفي فائدة البعثة^(٣)، وأنهم منزّهون عن كل ما ينفر عنهم من الصفات الذميمة والطباع السيئة والأفعال القبيحة وعن دناءة الآباء وعهر الأمّهات.

ولم يجوزوا على النبي صلّى الله عليه وآله أن يسهو في صلاته حتى صلى الظهر ركعتين، أو أن يغفل عنها حتى نام عن صلاة الفجر، ولا أن يشك في نبوته حتى يسأل عنها غيره، أو يظن أن الوحي نزل على غيره.

ولم يجوزوا عليه أن يسب ويضرب من لا يستحق، فيكون ذلك له زكاة، ولا أن يسمع المعازف مع أهله، أو يسابق زوجه فيسبقها مرة وتسبقه أخرى، أو يخرج إلى المسجد للصلاة وأثر المنى على ثيابه، أو غير ذلك مما لا يليق بمقامه.

(١) سورة الأنعام، الآية ١٠٣.

(٢) منهاج الكرامة، ص ٨١.

(٣) المصدر السابق، ص ٨٢.

كما أنهم قالوا بعصمة الإمام وبلزوم النص عليه، وأفضليته على أهل زمانه لقبح تقديم المفضول على الفاضل، واشترطوا طهارة مولده، ونزاهته عن كل ما ينقّر منه كما تقدم في النبي. فأبطلوا خلافة المتغلبين بالقهر والقوة من الطلقاء وغيرهم، وخلافة من سجد لصنم أو شرب خمرًا أو وأد بنتًا، أو فعل فعلاً محرماً من أفعال الجاهلية.

ولم يقولوا بإمامة من يحتاج إلى سؤال غيره فيما يتتابه من الحوادث، أو ابن الزنا أو مختلط النسب، أو مَنْ يُعَيَّرُ بأمه أو أبيه، أو المعتوه، أو المتكالب على الدنيا، أو المأبون، أو الملعون.

كما أن مذهب الإمامية خالٍ من الفتاوى الغريبة والأحكام العجيبة التي تأباها العقول، بخلاف المذاهب الأخرى التي لم يسلم مذهب منها من شيء من ذلك.

وما أحسن قول الزمخشري، إذ قال:

إذا سألوا عن مذهبي لم أبح به	وأكتمه كتبته لي أسلم
فإن حنيفاً قلتُ قالوا بأنني	أبيحُ الطلا وهو الشرابُ المحرّم
وإن مالكيّاً قلتُ قالوا بأنني	أبيحُ لهم أكل الكلابِ وهمُ هم
وإن شافعيّاً قلتُ قالوا بأنني	أبيحُ نكاحِ البنتِ والبنتُ تحرّم
وإن حنبليّاً قلتُ قالوا بأنني	ثقيلاً حلويّاً بغيضٍ مجسّم
وإن قلتُ من أهلِ الحديثِ وحزبه	يقولونَ تيسّ ليسَ يدري ويفهم ^(١)

وعليك بمراجعة ما كتبه علماء الإمامية في هذا الشأن، فإنهم بلغوا فيه الغاية^(٢).

الدليل الخامس:

أن الشيعة الإمامية لم يذهبوا إلى التعصب في غير الحق، فقد ذكر الغزالي والماوردي وكانا إمامين للشافعية أن تسطيح القبور هو المشروع، لكن لما جعلته

(١) تفسير الكشاف ٤/٣١٠.

(٢) راجع كتاب (نهج الحق وكشف الصدق)، ص ٤٠٩ وما بعدها، وكتاب (منهاج الكرامة)، ص ٩٣،

كلاهما للحسن بن يوسف بن المطهر المعروف بالعلامة الحلي أعلى الله مقامه.

الرافضة شعاراً لهم عدلنا عنه إلى التسليم.

وذكر الزمخشري وهو من أئمة الحنفية في تفسير قوله تعالى ﴿هو الذي يصلي عليكم وملائكته﴾^(١) أنه يجوز بمقتضى هذه الآية أن يُصَلَّى على آحاد المسلمين، لكن لما اتخذت ذلك الرافضة في أئمتهم منعناه.

وقال مصنف (الهداية) من الحنفية: إن المشروع التختم باليمين، لكن لما اتخذته الرافضة عادة جعلنا التختم في اليسار...

وأمثال ذلك كثير. فانظر إلى من يغيّر الشريعة ويبدّل الأحكام التي وردت بها أخبار النبي ﷺ، ويذهب إلى ضد الصواب معاندة لقوم معيّنين، هل يجوز أتباعه والمصير إلى أقواله؟^(٢)

الدليل السادس:

أن علماء الشيعة الإمامية صنّفوا المصنّفات الكثيرة في نقد المذاهب الباطلة ورد الآراء الفاسدة، وكتبوا في الذب عن مذهب أهل البيت عليهم السلام، واستطاعوا أن يحتجوا على مخالفهم بما رواه غيرهم وما ورد في كتب خصومهم مما يعترفون بصحته ويسلمون به^(٣)، فأثبتوا صحة المذهب من طريقهم وطريق خصومهم، أما غيرهم فلم يتأت لهم ذلك، وهذا دليل واضح على صحة مذهب الإمامية وسلامته.

الدليل السابع:

أننا وجدنا في الحوادث الكثيرة التي رأيناها، والوقائع العديدة التي اطلعنا عليها أنه ما من رجل كان ينتحل مذهباً من المذاهب وانتقل عنه إلى مذهب الإمامية إلا كان

(١) سورة الأحزاب، الآية ٤٣.

(٢) منهاج الكرامة، ١٠٨.

(٣) ألف علماء الإمامية كتباً في إثبات المذهب التزم مؤلفوها بالأحاديث التي يحتجوا إليها بما جاء في كتب الخصوم، مثل كتاب (الغدِير) للشيخ عبد الحسين الأميني، وكتاب (المراجعات) للسيد شرف الدين، وكتاب (منهاج الكرامة) و (نهج الحق وكشف الصدق) كلاهما للعلامة الخلي قدس الله أسرارهم، وغيرها لغيرهم، وهي الطريقة التي التزمنا بها في هذا الكتاب.

عالمًا مخلصاً، أو مفكراً مطلقاً، أو ذا شهادة عالية وثقافة واسعة.

كما أنا ما وجدنا رجلاً كان على مذهب الإمامية وانتقل عنه إلى غيره، إلا كان جاهلاً بالمذهب الذي انتقل عنه، وبالمذهب الذي انتقل إليه، أو كان نفعياً يسعى وراء مصلحة دنيوية من مالٍ أو منصبٍ أو غير ذلك.

ولهذا نجد علماء ومفكرين من أهل السنة تشيّعوا قديماً وحديثاً، ولم يحدث العكس. ويكفي أن نذكر بعضاً ممن تشيّع في هذا العصر على سبيل المثال لا الحصر، منهم:

١ - الشيخ محمد مرعي الأمين الأنطاكي السوري، من شيوخ الجامع الأزهر بمصر، كان شافعي المذهب فاستبصر، وألّف كتاب (لماذا اخترت مذهب الشيعة) مطبوع، يذكر فيه قصة تشيّعه، ويستدل فيه على لزوم اتباع مذهب الإمامية.

٢ - الشيخ أحمد أمين الأنطاكي السوري، من شيوخ الأزهر، وهو أخ الشيخ السابق، كان شافعي المذهب فاستبصر، وألّف كتاب (في طريقي إلى التشيع) مطبوع، ذكر فيه قصة تشيّعه.

٣ - الدكتور محمد التيجاني السماوي التونسي، لديه شهادة الدكتوراه في الفلسفة من جامعة السوربون في فرنسا، كان مالكيّاً فاستبصر، وألّف كتاب (ثم اهتديت) مطبوع، ذكر فيه قصة تشيّعه، وانتصر فيه لمذهب الإمامية. له (مع الصادقين) و (فاسألوا أهل الذكر) و (الشيعة هم أهل السنة) و (اتقوا الله) كلها مطبوعة، في إثبات مذهب الإمامية.

٤ - المحامي أحمد حسين يعقوب الأردني، له كتاب (النظام السياسي في الإسلام) وكتاب (نظرية عدالة الصحابة) مطبوعان، يدلان على تشيّعه، وينتصر فيها لمذهب الإمامية.

٥ - أسعد وحيد القاسم، فلسطيني، لديه شهادة البكالوريوس في الهندسة المدنية، والمجستير في إدارة الإنشاءات، كان على مذهب أهل السنة فاستبصر، وألّف

كتاب (حقيقة الشيعة الاثني عشرية) مطبوع، ذكر فيه قصة تشييعه وانتصر فيه لمذهب الإمامية.

٦ - السيد حسين الضرغامى المصري، من شيوخ الأزهر، كان شافعيًا فاستبصر.

الدليل الثامن:

أن علماء الشيعة الإمامية ناظروا خصومهم في الإمامة وغيرها من المسائل الخلافية، فكانت الحجّة معهم والغلبة لهم على غيرهم، فألفوا في ذلك المصنفات الكثيرة المشتملة على أمثال هذه المناظرات، ككتاب (الاحتجاج) لأحمد بن علي الطبرسي، وكتاب (الفصول المختارة) للسيد المرتضى، و (المراجعات) للسيد شرف الدين، و(الاحتجاجات العشرة) للسيد عبد الله الشيرازي وغيرها.

وعلماء الشيعة كانوا وما يزالون يدعون أرباب المذاهب للمناظرة في المذهب، بل إن عوام الشيعة كثيراً ما يقدمون على مناظرة علماء الطوائف الأخرى فضلاً عن العوام منهم، ثقةً منهم بأن ما عندهم هو الحق، وما عليه غيرهم هو الباطل، إذ الباطل لا يزهق الحق ﴿بل نقذف بالحق على الباطل فيدمغه فإذا هو زاهق﴾^(١).

وهذا أمر بيّن يعرفه كل من عرف الشيعة وخالطهم واطّلع على أحوالهم.

الدليل التاسع:

اعتراف بعض علماء أهل السنة بصحّة مذهب الشيعة الإمامية وجواز التعبد به دون العكس.

١ - منهم الشيخ سليم البشري^(٢) الذي كتب للسيد عبد الحسين شرف الدين

(١) سورة الأنبياء، الآية ١٨.

(٢) الشيخ سليم بن أبي فراج البشري (١٢٨٤ - ١٣٣٥ هـ)، شيخ الجامع الأزهر، من فقهاء المالكية، ولد في محلة بشر بمصر، وتعلم وعلم في الأزهر، تولى نقابة المالكية، ثم مشيخة الأزهر مرتين، وتوفي بالقاهرة. له كتاب المقامات السننية في الرد على القادح في البعثة النبوية - مخطوط (عن الأعلام ٣/ ١١٩ بتصرّف).

الموسوي أعلى الله مقامه: أشهد أنكم في الفروع والأصول على ما كان عليه الأئمة من آل الرسول، وقد أوضحت هذا الأمر فجعلته جلياً، وأظهرت من مكنونه ما كان خفياً، فالشك فيه خبال، والتشكيك تضليل... وكنتُ قبل أن أتصل بسببك على لبس فيكم، لما كنت أسمعه من إرجاف المرجفين وإجحاف المجحفين^(١).

٢ - ومنهم شيخ الأزهر الشيخ محمود شلتوت^(٢) الذي جَوَزَ التبعّد بمذهب الشيعة الإمامية الاثني عشرية.

قال رحمه الله: إن مذهب الجعفرية المعروف بمذهب الشيعة الإمامية الاثني عشرية مذهب يجوز التبعّد به شرعاً كسائر مذاهب أهل السنة. فينبغي للمسلمين أن يعرفوا ذلك، وأن يتخلّصوا من العصبية بغير الحق لمذاهب معينة، فما كان دين الله وما كانت شريعته بتابعة لمذهب أو مقصورة على مذهب، فالكل مجتهدون مقبولون عند الله تعالى، يجوز لمن ليس أهلاً للنظر والاجتهاد تقليدهم والعمل بما يقررونه في فقههم، ولا فرق في ذلك بين العبادات والمعاملات^(٣).

هذا آخر ما أردت بيانه، وأسأله سبحانه أن ينفع به، وأن يجعله ذخراً لي يوم الفقر والفاقة، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين، وصلى الله على خير خلقه وأشرف بريّته محمد وآله الطيبين الطاهرين.

(١) المراجعات، ص ٢٩٥.

(٢) الشيخ محمود شلتوت (١٣١٠ - ١٣٨٣ هـ) فقيه مفسّر مصري، ولد في البحيرة بمصر، وتخرج بالأزهر (١٩١٨) وانتقل في التدريس إلى أن نقل للقسم العالي بالقاهرة (١٩٢٧)، وكان داعية إصلاح نير الفكرة، يقول بفتح باب الاجتهاد، وسعى إلى إصلاح الأزهر فعارضه بعض كبار الشيوخ وطُرد هو ومناصروه، فعمل في المحاماة، وأعيد إلى الأزهر، فعين وكيلاً لكلية الشريعة ثم كان من أعضاء كبار العلماء ومن أعضاء مجمع اللغة العربية ثم شيخاً للأزهر (١٩٥٨) إلى وفاته، وكان خطيباً موهوباً جهوري الصوت، له ٢٦ مؤلفاً مطبوعاً. (عن الأعلام بتصرف ٧/ ١٧٣).

(٣) راجع الملحق المدرج في آخر الكتاب.

ملحق

فتوى شيخ الجامع الأزهر بجواز التعبّد بمذهب الشيعة الإمامية

فهرس المراجع

القرآن الكريم.

(أ)

- ١ - الأئمة الاثنا عشر: شمس الدين محمد بن طولون (ت ٩٥٣هـ) تحقيق الدكتور صلاح الدين المنجد، دار بيروت، ودار صادر ١٣٧٧هـ.
- ٢ - الإتحاف بحب الأشراف: الشيخ عبد الله بن محمد الشبراوي (١٠٩٢ - ١١٧١هـ)، المطبعة الأدبية بمصر ١٣١٦هـ.
- ٣ - الإحسان بترتيب صحيح ابن حبان: علاء الدين علي بن بلبان الفارسي (ت ٧٣٩هـ)، دار الكتب العلمية - بيروت ١٤٠٧هـ.
- ٤ - الإحكام في أصول الأحكام: علي بن حزم الأندلسي (٣٨٣ - ٤٥٦هـ)، دار الجيل - بيروت ١٤٠٧هـ.
- ٥ - إحياء علوم الدين: أبو حامد محمد بن محمد الغزالي (٤٥٠ - ٥٠٥هـ) دار المعرفة - بيروت.
- ٦ - إحياء الميت في فضائل آل البيت: جلال الدين السيوطي (٨٤٩ - ٩١١هـ)،

- تحقيق مصطفى عبد القادر عطا، دار الجليل - بيروت ١٤٠٧هـ.
- ٧ - أخبار الدول وآثار الأول: أبو العباس أحمد بن يوسف الشهير بالقرماني (٩٣٩ - ١٠١٩هـ)، ط بغداد على الحجر ١٢٨٢هـ.
- ٨ - الاختلاف في اللفظ: أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري (ت ٢٧٦هـ)، دار الكتب العلمية - بيروت ١٤٠٥هـ.
- ٩ - إرشاد الساري لشرح صحيح البخاري: شهاب الدين أحمد بن محمد القسطلاني (ت ٩٢٣هـ)، دار الطباعة الأميرية - مصر ١٣٢٧هـ.
- ١٠ - الاستيعاب: يوسف بن عبد الله بن عبد البر القرطبي (٣٦٣ - ٤٦٣هـ)، بهامش الإصابة، المطبعة الخديوية - مصر ١٣٢٨هـ.
- ١١ - أسد الغابة في معرفة الصحابة: عز الدين علي بن أبي الكرم المعروف بابن الأثير (٥٥٥ - ٦٣٠هـ)، جمعية المعارف - مصر ١٢٨٠هـ.
- ١٢ - إسعاف الراغبين: محمد بن علي الصبان (ت ١٢٠٦هـ) بهامش نور الأبصار للشبلنجي، مطبعة الباي الحلبي - مصر ١٣٦٧هـ.
- ١٣ - أسنى المطالب في مناقب سيدنا علي بن أبي طالب: محمد بن محمد المعروف بابن الجزري (٧٥١ - ٨٣٣هـ)، تحقيق الشيخ محمد هادي الأميني، إيران.
- ١٤ - الإشاعة لأشراط الساعة: محمد بن رسول الحسيني البرزنجي (١٠٤٠ - ١١٠٣هـ)، دار الكتب العلمية - بيروت.
- ١٥ - الإصابة في تمييز الصحابة: ابن حجر العسقلاني (٧٧٣ - ٨٥٢هـ) المطبعة الخديوية - مصر ١٣٢٨هـ.
- ١٦ - الاعتصام: أبو إسحاق إبراهيم بن موسى الشاطبي الغرناطي (ت ٧٩٠هـ)، دار المعرفة - بيروت ١٤٠٦هـ.
- ١٧ - الأعلام: خير الدين الزركلي (١٣١٠ - ١٣٩٦هـ)، دار العلم للملايين - بيروت ١٩٨٠م.
- ١٨ - اقتضاء الصراط المستقيم مخالفة أصحاب الجحيم: أحمد بن عبد الحلیم بن تيمية

٣٢٠ دليل المتحيرين

- (٦٦١ - ٧٢٨هـ)، تحقيق محمد حامد الفقي، دار المعرفة - بيروت.
- ١٩ - أمالي المرتضى: علي بن الحسين الموسوي المعروف بالشريف المرتضى (٣٥٥ - ٤٣٦هـ)، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، دار الكتاب العربي - بيروت ١٣٨٧هـ.
- ٢٠ - الانتقاء في فضائل الأئمة الفقهاء: يوسف بن عبد البر القرطبي، دار الكتب العلمية - بيروت.
- ٢١ - الأنساب: عبد الكريم بن محمد بن منصور السمعاني (ت ٥٦٢هـ) تحقيق عبد الله عمر البارودي، دار الجنان - بيروت ١٤٠٨هـ.
- ٢٢ - الأنوار النعمانية: السيد نعمة الله الجزائري (ت ١١١٢هـ) مؤسسة الأعلمي للمطبوعات - بيروت ١٤٠٤هـ.
- ٢٣ - إيضاح المكنون في الذيل عن كشف الظنون: إسماعيل باشا البغدادي (ت ١٣٣٩هـ)، مصورة دار الفكر - بيروت ١٤٠٢هـ.

(ب)

- ٢٤ - الباعث الحثيث: ابن كثير الدمشقي (٧٠١ - ٧٧٤هـ)، دار الفكر - بيروت ١٤٠٣هـ.
- ٢٥ - بداية المجتهد ونهاية المقتصد: محمد بن أحمد بن رشد القرطبي (٥٢٠ - ٥٩٥هـ)، دار المعرفة - بيروت ١٤٠٦هـ.
- ٢٦ - البداية والنهاية: ابن كثير الدمشقي. تحقيق د. أحمد أبو ملحوم وجماعة، دار الكتب العلمية - بيروت ١٤٠٥هـ.

(ت)

- ٢٧ - تاج العروس: السيد محمد مرتضى الحسيني الزبيدي (١١٤٥ - ١٢٠٥هـ)، تحقيق مصطفى حجازي، وزارة الإرشاد والأنباء - الكويت ١٣٨٩هـ.

٢٨ - تاريخ ابن خلدون: عبد الرحمن بن محمد بن خلدون (٧٣٢ - ٨٠٨هـ)،
مصورة مؤسسة الأعلمي للمطبوعات - بيروت.

٢٩ - تاريخ الإسلام: شمس الدين محمد بن أحمد الذهبي (ت ٧٤٨هـ)، تحقيق
د. عمر عبد السلام تدمري، دار الكتاب العربي - بيروت ١٤٠٨هـ.

٣٠ - تاريخ الثقات: أحمد بن عبد الله العجلي (١٨٢ - ٢٦١هـ)، تحقيق الدكتور عبد
المعطي قلعجي، دار الكتب العلمية - بيروت ١٤٠٥هـ.

٣١ - تاريخ الخلفاء: جلال الدين السيوطي، دار الكتب العلمية - بيروت ١٤٠٨هـ.

٣٢ - تاريخ الطبري المعروف بتاريخ الأمم والملوك: محمد بن جرير الطبري (٢٢٤ -
٣١٠هـ)، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات - بيروت ١٤٠٣هـ.

٣٣ - تدريب الراوي في شرح تقريب النواوي: جلال الدين السيوطي. تحقيق عبد
الوهاب عبد اللطيف، دار الكتب العلمية - بيروت ١٣٩٩هـ.

٣٤ - تذكرة الحفاظ: شمس الدين الذهبي (ت ٧٤٨هـ) ط الهند، مصورة دار إحياء
التراث العربي - بيروت.

٣٥ - تذكرة الخواص: سبط ابن الجوزي (٥٨١ - ٦٦٦هـ)، مؤسسة أهل البيت
عليه السلام - بيروت ١٤٠١هـ.

٣٦ - التذكرة في الأحاديث المشتهرة: بدر الدين محمد بن عبد الله الزركشي (٧٤٥ -
٧٩٤هـ)، تحقيق مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية - بيروت
١٤٠٦هـ.

٣٧ - التذكرة في أحوال الموتى وأمور الآخرة: شمس الدين محمد بن أحمد القرطبي
(ت ٦٧١هـ)، دار الريان للتراث - القاهرة ١٤٠٧هـ.

٣٨ - ترجمة الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام من تاريخ مدينة دمشق: علي بن الحسن
المعروف بابن عساكر (٤٩٩ - ٥٧١هـ)، تحقيق الشيخ محمد باقر المحمودي،
مؤسسة المحمودي للطباعة والنشر - بيروت ١٣٩٨هـ.

٣٩ - الترغيب والترهيب: عبد العظيم بن عبد القوي المنذري (ت ٦٥٦هـ)، دار

مكتبة الحياة - بيروت ١٤٠٧هـ.

٤٠ - تطهير الجنان واللسان (المطبوع بذيل الصواعق المحرقة): أحمد بن حجر

الهيتمي (ت ٩٧٤هـ)، تحقيق عبد الوهاب عبد اللطيف - بيروت.

٤١ - تفسير القرآن العظيم: ابن كثير الدمشقي. مصورة دار المعرفة - بيروت

١٤٠٣هـ.

٤٢ - التفسير الكبير: فخر الدين الرازي (ت ٦٠٦هـ). مصورة دار إحياء التراث

العربي - بيروت.

٤٣ - تقريب التهذيب: ابن حجر العسقلاني، تحقيق محمد عوامة، دار الرشيد - حلب

١٤٠٦هـ.

٤٤ - التقييد والإيضاح: زين الدين العراقي (٧٢٥ - ٨٠٦هـ)، تحقيق عبد الرحمن

محمد عثمان، دار الفكر - بيروت.

٤٥ - تلخيص الحبير: ابن حجر العسقلاني، تحقيق السيد عبد الله هاشم البياني.

٤٦ - تلخيص المستدرک (المطبوع بذيل المستدرک على الصحيحين): شمس الدين

الذهبي. ط الهند، مصورة دار الكتب العلمية - بيروت ١٣٩٨هـ.

٤٧ - تهذيب الأسماء واللغات: محي الدين بن شرف النووي (ت ٦٧٦هـ)، مصورة

دار الكتب العلمية - بيروت.

٤٨ - تهذيب التهذيب: ابن حجر العسقلاني، دار الفكر - بيروت ١٤٠٤هـ.

٤٩ - تهذيب الكمال في أسماء الرجال: جمال الدين يوسف المزي (٦٥٤ - ٧٤٢هـ)،

تحقيق د. بشار عواد معروف، مؤسسة الرسالة - بيروت ١٤٠٦هـ.

(ج)

٥٠ - الجامع لأحكام القرآن: محمد بن أحمد القرطبي (ت ٦٧١هـ)، مصورة دار

إحياء التراث العربي - بيروت.

٥١ - جامع الأصول من أحاديث الرسول: أبو السعادات مبارك بن محمد بن الأثير

- الجزري (٥٤٤ - ٦٠٦هـ)، تحقيق محمد حامد الفقي، مصورة دار إحياء التراث العربي - بيروت ١٤٠٤هـ.
- ٥٢ - جامع البيان في تفسير القرآن (تفسير الطبري): محمد بن جرير الطبري، المطبعة الكبرى الأميرية ببولاق - مصر ١٣٢٣هـ.
- ٥٣ - الجامع الصغير: جلال الدين السيوطي، دار الفكر - بيروت ١٤٠١هـ.
- ٥٤ - جامع كرامات الأولياء: يوسف بن إسماعيل النهاني (١٢٦٥ - ١٣٥٠هـ)، مصورة دار صادر - بيروت.
- ٥٥ - الجرح والتعديل: عبد الرحمن بن أبي حاتم الرازي (ت ٣٢٧هـ)، ط الهند.

(ح)

- ٥٦ - الحاوي للفتاوي: جلال الدين السيوطي، دار الكتب العلمية - بيروت ١٤٠٢هـ.
- ٥٧ - الحذر في أمر الخضر: الملا علي القاري، تحقيق محمد خير رمضان يوسف، دار القلم - دمشق، الدار الشامية - بيروت ١٤١١هـ.
- ٥٨ - حقوق آل البيت: أحمد بن عبد الحلیم بن تيمية، تحقيق عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية - بيروت.
- ٥٩ - حلية الأولياء: أبو نعيم الأصفهاني (ت ٤٣٠هـ)، دار الكتاب العربي - بيروت ١٤٠٥هـ.

(خ)

- ٦٠ - خصائص الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب كرم الله وجهه: أحمد بن شعيب النسائي (٢١٥ - ٣٠٣هـ).
- ٦١ - الخصائص الكبرى: جلال الدين السيوطي، طبع في حيدر آباد الدكن - الهند ١٣٢٠هـ.

(د)

- ٦٢ - در السحابة في المناقب القرابة والصحابة: محمد علي الشوكاني (١١٧٣ - ١٢٥٠هـ)، تحقيق د. حسين بن عبد الله العمري، دار الفكر المعاصر - بيروت، دار الفكر - دمشق ١٤١١ هـ.
- ٦٣ - الدر المنثور في التفسير بالمأثور: جلال الدين السيوطي، دار الفكر - بيروت ١٤٠٣ هـ.
- ٦٤ - دلائل النبوة: أحمد بن الحسين البيهقي (٣٨٤ - ٤٥٨هـ)، تحقيق د. عبد المعطي قلعجي، دار الكتب العلمية - بيروت ١٤٠٥ هـ.
- ٦٥ - ديوان الشافعي: محمد بن إدريس الشافعي (١٥٠ - ٢٠٤هـ)، جمع محمد عفيف الزعبي. مؤسسة الزعبي، دار الجيل - بيروت ١٣٩٢ هـ.

(ر)

- ٦٦ - رسائل الشريف المرتضى: علي بن الحسين الموسوي، إعداد السيد مهدي الرجائي، مؤسسة النور للمطبوعات - بيروت.

(ز)

- ٦٧ - الزهر النضر في نبأ الخضر: ابن حجر العسقلاني، تحقيق سمير حسين حلبي، دار الكتب العلمية - بيروت ١٤٠٨ هـ.

(س)

- ٦٨ - سبائك الذهب في معرفة قبائل العرب: محمد أمين البغدادي السويدي (ت ١٢٤٦ هـ) مطبوع على حجر، مصورة دار إحياء العلوم - بيروت.
- ٦٩ - سلسلة الأحاديث الصحيحة: محمد ناصر الدين الألباني. المكتب الإسلامي - بيروت ١٤٠٥ هـ.

- ٧٠ - سلسلة الأحاديث الضعيفة: محمد ناصر الدين الألباني، المكتب الإسلامي - بيروت ١٤٠٥هـ.
- ٧١ - سنن ابن ماجه: محمد بن يزيد بن ماجه (٢٠٧ - ٢٧٥ هـ)، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي، مصورة دار الفكر - بيروت.
- ٧٢ - سنن أبي داود: أبو داود سليمان بن الأشعث السجستاني (٢٠٢ - ٢٧٥ هـ)، تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد، دار الفكر - بيروت.
- ٧٣ - سنن الترمذي: محمد بن عيسى الترمذي (٢٠٩ - ٢٩٧ هـ) تحقيق أحمد محمد شاكر، دار إحياء التراث العربي - بيروت.
- ٧٤ - سنن الدارمي: عبد الله بن عبد الرحمن الدارمي (ت ٢٥٥ هـ)، دار الكتب العلمية - بيروت.
- ٧٥ - السنن الكبرى: أحمد بن الحسين البيهقي (ت ٤٥٨ هـ)، ط الهند، مصورة دار الفكر - بيروت.
- ٧٦ - سنن النسائي بشرح السيوطي: أحمد بن شعيب النسائي، دار القلم - بيروت.
- ٧٧ - سير أعلام النبلاء: شمس الدين الذهبي، تحقيق شعيب الأرنؤوط وجماعة، مؤسسة الرسالة - بيروت ١٤١٠هـ.

(ش)

- ٧٨ - شذرات الذهب في أخبار من ذهب: عبد الحي بن العماد الحنبلي (ت ١٠٨٩ هـ) دار المسيرة - بيروت.
- ٧٩ - شرح السنّة: الحسين بن مسعود البغوي (٤٣٦ - ٥١٦ هـ)، تحقيق الشاويش والأرنؤوط، المكتب الإسلامي - بيروت ١٤٠٣ هـ.
- ٨٠ - شرح الشفا: الملا علي القاري (ت ١٠١٤ هـ)، المطبعة العثمانية - اسطنبول ١٣١٩ هـ.
- ٨١ - شرح العقيدة الطحاوية: محمد بن علي بن أبي العز الحنفي (٧٣١ - ٧٩٢ هـ)،

المكتب الإسلامي - بيروت ١٤٠٤هـ.

٨٢ - شرح العقيدة الواسطية: محمد خليل هراس، مكتبة التراث الإسلامي - القاهرة ١٩٨٧م.

٨٣ - شرح نهج البلاغة: عبد الحميد بن هبة الله المدائني الشهير بابن أبي الحديد (٥٨٦ - ٦٥٦هـ)، دار الكتب العربية الكبرى - مصر ١٣٢٩هـ. والطبعة المحققة بتحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، دار إحياء الكتب العربية - مصر ١٣٨٧هـ.

٨٤ - شرح نهج البلاغة: محمد عبده (١٢٦٦ - ١٣٢٣هـ)، تحقيق محمد أحمد عاشور ومحمد إبراهيم البنا، دار ومطابع الشعب - مصر.

(ص)

٨٥ - صحيح ابن خزيمة: محمد بن إسحاق بن خزيمة (٢٢٣ - ٣١١هـ)، تحقيق د. محمد مصطفى الأعظمي، المكتب الإسلامي - بيروت ١٣٩٥هـ.

٨٦ - صحيح البخاري: محمد بن إسماعيل البخاري (١٩٤ - ٢٥٦هـ)، مطابع الشعب - مصر ١٣٧٨هـ.

٨٧ - صحيح الجامع الصغير: محمد ناصر الدين الألباني، المكتب الإسلامي - بيروت ١٤٠٦هـ.

٨٨ - صحيح سنن ابن ماجة: محمد ناصر الدين الألباني، مكتب التربية العربي لدول الخليج - الرياض ١٤٠٨هـ.

٨٩ - صحيح سنن أبي داود: محمد ناصر الدين الألباني، مكتب التربية العربي لدول الخليج - الرياض ١٤٠٩هـ.

٩٠ - صحيح سنن النسائي: محمد ناصر الدين الألباني، مكتب التربية العربي لدول الخليج - الرياض ١٤٠٩هـ.

٩١ - صحيح مسلم: مسلم بن الحجاج القشيري (٢٠٦ - ٢٦١هـ)، تحقيق محمد

- فؤاد عبد الباقي، مصورة دار إحياء التراث العربي - بيروت.
- ٩٢ - صحيح مسلم بشرح النووي: محي الدين بن شرف النووي، مصورة دار الفكر - بيروت ١٤٠١هـ.
- ٩٣ - صفة الصفوة: عبد الرحمن بن علي بن الجوزي (٥٠٨ - ٥٩٧هـ)، دار المعرفة - بيروت ١٤٠٦هـ.
- ٩٤ - الصواعق المحرقة: أحمد بن حجر الهيتمي، تحقيق عبد الوهاب عبد اللطيف - ط بيروت.

(ط)

- ٩٥ - طبقات الحفاظ: جلال الدين السيوطي، تحقيق علي محمد عمر، مكتبة وهبة - مصر ١٣٩٣هـ، ودار الكتب العلمية - بيروت ١٤٠٣هـ.
- ٩٦ - طبقات الشافعية الكبرى: عبد الوهاب بن علي السبكي (٧٢٧ - ٧٧١هـ)، تحقيق الطناحي والحلو، دار إحياء الكتب العربية - مصر ١٩٧٦م.
- ٩٧ - الطبقات الكبرى: محمد بن سعد (١٦٨ - ٢٣٠هـ)، مصورة دار صادر - بيروت.

(ع)

- ٩٨ - عارضة الأحوزي بشرح صحيح الترمذي: ابن العربي المالكي (٤٣٥ - ٥٤٣هـ)، دار الكتب العلمية - بيروت.
- ٩٩ - العبر في خبر من غير: شمس الدين الذهبي، تحقيق محمد السعيد زغلول، دار الكتب العلمية - بيروت ١٤٠٥هـ.
- ١٠٠ - العرف الوردى المطبوع ضمن الحاوي للفتاوي: جلال الدين السيوطي.
- ١٠١ - علم الحديث: أحمد بن عبد الحليم بن تيمية، تحقيق موسى محمد علي، عالم الكتب - بيروت ١٤٠٥هـ.

(ف)

- ١٠٢ - فتح الباري: أحمد بن حجر العسقلاني، المطبعة البهية المصرية - مصر ١٣٤٨هـ.
- ١٠٣ - فتح القدير: محمد بن علي الشوكاني، دار المعرفة - بيروت.
- ١٠٤ - فتح المغيث المطبوع بذييل ألفية الحديث: زين الدين العراقي، تحقيق محمود ربيع، عالم الكتب - بيروت ١٤٠٨هـ.
- ١٠٥ - الفتوحات المكيّة: محي الدين محمد بن علي المعروف بابن عربي (٥٦٠ - ٦٣٨هـ)، مصورة دار صادر - بيروت.
- ١٠٦ - الفردوس بمأثور الخطاب: شيرويه بن شهردار الديلمي (٤٤٥ - ٥٠٩هـ)، تحقيق السعيد ابن بسيوني زغلول، دار الكتب العلمية - بيروت ١٤٠٦هـ.
- ١٠٧ - الفرق بين الفرق: عبد القاهر بن طاهر البغدادي (ت ٤٢٩هـ)، تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد، مصورة دار المعرفة - بيروت.
- ١٠٨ - الفصل في الملل والأهواء والنحل: محمد بن علي بن حزم، ط مصر ١٣٢١هـ.
- ١٠٩ - الفصول المهمة: علي بن محمد بن أحمد الشهرير بابن الصباغ المالكي (ت ٨٥٥هـ)، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات - بيروت ١٤٠٨هـ.
- ١١٠ - فضائل الصحابة: أحمد بن حنبل (١٦٤ - ٢٤١هـ)، تحقيق وصي الله بن محمد عباس، جامعة أم القرى - مكة المكرمة ١٤٠٣هـ.
- ١١١ - الفهرست: محمد بن إسحاق بن النديم (ت ٤٣٨هـ)، دار المعرفة - بيروت ١٣٩٨هـ.
- ١١٢ - الفوائد المجموعة في الأحاديث الموضوعة: محمد بن علي الشوكاني، تحقيق عبد الرحمن بن يحيى المعلمي اليماني، مطبعة السنة المحمدية - مصر ١٣٩٨هـ.
- ١١٣ - فيض القدير: محمد عبد الرؤوف المدعو بعبد الرؤوف المناوي (٩٥٢ - ١٠٣١هـ)، ط مصر ١٣٩١هـ.

(ق)

١١٤ - القاموس المحيط: محمد بن يعقوب الفيروزآبادي (٧٢٩ - ٨١٧هـ)، مطبعة البابي الحلبي بمصر ١٣٧١هـ.

١١٥ - قصص الأنبياء: إسماعيل بن كثير الدمشقي، تحقيق محمد أحمد عبد العزيز، دار الحديث - مصر.

١١٦ - قطف الأزهار المتناثرة في الأخبار المتواترة: جلال الدين السيوطي، تحقيق الشيخ خليل محي الدين الميس، المكتب الإسلامي - بيروت ١٤٠٥هـ.

١١٧ - القول المختصر في علامات المهدي المنتظر: أحمد بن حجر الهيتمي، تحقيق مصطفى عاشور، مكتبة القرآن - القاهرة.

(ك)

١١٨ - الكامل في التاريخ: علي بن أبي الكرم المعروف بابن الأثير، دار صادر - بيروت ١٣٩٩هـ.

١١٩ - كتاب السنة: عمرو بن أبي عاصم الشيباني (ت ٢٨٧هـ)، المكتب الإسلامي - بيروت ١٤٠٥هـ.

١٢٠ - كتاب الثقات: محمد بن حبان البستي (ت ٣٥٤هـ)، ط حيدر آباد الدكن - الهند ١٣٩٣هـ.

١٢١ - الكشاف: جار الله الزمخشري (٤٦٧ - ٥٣٨هـ)، ط مصر، مصورة دار المعرفة - بيروت.

١٢٢ - كشف الأستار: الميرزا حسين النوري الطبرسي (١٢٥٤ - ١٣٢٠هـ)، مؤسسة النور للمطبوعات - بيروت ١٤٠٨هـ.

١٢٣ - كشف الخفا ومزيل الالباس: إسماعيل بن محمد العجلوني (ت ١١٦٢هـ)، ط مصر ١٣٥١هـ.

١٢٤ - كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون: مصطفى بن عبد الله المعروف بحاجي خليفة (١٠١٧ - ١٠٦٧هـ)، مصورة دار الفكر - بيروت ١٤٠٢هـ.

٣٣٠ دليل المتحيرين

١٢٥ - كنز العمال: علي المتقي بن حسام الدين الهندي (ت ٩٧٥هـ)، مؤسسة الرسالة - بيروت ١٣٩٩هـ.

(ل)

١٢٦ - اللآلئ المصنوعة في الأحاديث الموضوعة: جلال الدين السيوطي، مصورة دار المعرفة - بيروت ١٤٠٣هـ.

١٢٧ - لسان العرب: محمد بن مكرم بن منظور الإفريقي (٦٣٠ - ٧١١هـ)، دار صادر - بيروت.

١٢٨ - لسان الميزان: أحمد بن حجر العسقلاني، ط حيدر آباد الدكن - الهند ١٣٣١هـ.

١٢٩ - لقط اللآلئ المتناثرة في الأحاديث المتواترة: محمد مرتضى الحسيني الزبيدي، تحقيق محمد عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية - بيروت ١٤٠٥هـ.

١٣٠ - لوامع الأنوار البهية: محمد بن أحمد السفاريني (١١١٤ - ١١٨٨هـ)، المكتب الإسلامي - بيروت ١٤٠٥هـ.

(م)

١٣١ - مجمع البلدان: ياقوت الحموي (ت ٦٢٦هـ)، دار إحياء التراث العربي - بيروت ١٣٩٩هـ.

١٣٢ - مجمع الزوائد ومنبع الفوائد: علي بن أبي بكر الهيثمي (٧٣٥ - ٨٠٧هـ) دار الكتاب العربي - بيروت ١٤٠٢هـ.

١٣٣ - مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح: الملا علي القاري، تحقيق صدقي محمد العطار، المكتبة التجارية - مكة المكرمة ١٤١٢هـ.

١٣٤ - مروج الذهب: علي بن الحسين المسعودي (ت ٣٤٦هـ)، دار الأندلس - بيروت ١٩٨٣م.

١٣٥ - المستدرک علی الصحیحین: محمد بن عبد الله المعروف بالحاكم النيسابوري (ت

٤٠٥هـ)، ط الهند.

١٣٦ - المسند: أحمد بن حنبل، المطبعة الميمنية بمصر ١٣١٣هـ.

١٣٧ - مسند أبي داود الطيالسي: سليمان بن داود المعروف بأبي داود الطيالسي (ت

٢٠٤هـ)، ط حيدر آباد الدكن - الهند ١٣٢١هـ.

١٣٨ - مسند أبي عوانة: يعقوب بن إسحاق الأسفرائني (ت ٣١٦هـ)، ط الهند،

مصورة دار المعرفة - بيروت.

١٣٩ - مشكاة المصابيح: محمد بن عبد الله الخطيب التبريزي (ت ٧٤١هـ)، تحقيق

محمد ناصر الدين الألباني، المكتب الإسلامي - بيروت ١٤٠٥هـ.

١٤٠ - مصباح الزجاجة في زوائد ابن ماجة: أحمد بن أبي بكر البوصيري (٧٦٢ -

٨٤٠هـ)، تحقيق موسى محمد علي، د. عزت علي عطية، دار الكتب الحديثة -

مصر.

١٤١ - المطالب العالية: أحمد بن حجر العسقلاني، تحقيق حبيب الرحمن الأعظمي، دار

المعرفة - بيروت.

١٤٢ - المعبر في تخریج أحاديث المنهاج والمختصر: بدر الدين الزركشي، تحقيق حمدي

بن عبد المجيد السلفي، دار الأرقم - الكويت ١٤٠٤هـ.

١٤٣ - معجم المؤلفين: عمر رضا كحالة، دار إحياء التراث العربي - بيروت.

١٤٤ - المغني: عبد الله بن أحمد بن قدامة (ت ٦٢٠هـ)، دار الفكر - بيروت ١٤٠٤هـ.

١٤٥ - المغني عن حمل الأسفار في الأسفار (المطبوع بحاشية إحياء علوم الدين): زين

الدين العراقي، مصورة دار المعرفة - بيروت.

١٤٦ - المقاصد الحسنة: شمس الدين محمد بن عبد الرحمن السنخاوي (ت ٩٠٢هـ)،

تصحیح عبد الله محمد الصديق، دار الكتب العلمية - بيروت ١٣٩٩هـ.

١٤٧ - مقالات الإسلاميين واختلاف المصلين: أبو الحسن الأشعري (ت ٣٢٤هـ)،

تصحیح هلموت ريتز، مصورة دار إحياء التراث العربي - بيروت.

١٤٨ - مقدمة ابن خلدون: عبد الرحمن بن محمد بن خلدون، مصورة مؤسسة

- ٣٣٢..... دليل المتحيرين
- الأعلمي للمطبوعات - بيروت.
- ١٤٩ - مقدمة ابن الصلاح: عثمان بن عبد الرحمن المعروف بابن الصلاح (ت ٦٤٢هـ)، دار الكتب العلمية - بيروت ١٣٩٨هـ.
- ١٥٠ - الملل والنحل: محمد بن عبد الكريم الشهرستاني (٤٧٩ - ٥٤٨هـ)، تحقيق محمد سيد كيلاني، دار المعرفة - بيروت.
- ١٥١ - المنار المنيف في الصحيح والضعيف: محمد بن أبي بكر المعروف بابن قيم الجوزية (٦٩١ - ٧٥١هـ)، تحقيق عبد الفتاح أبو غدة، مكتب المطبوعات الإسلامية - حلب الفرافرة ١٤٠٣هـ.
- ١٥٢ - مناظرات جرت في بلاد ما وراء النهر في الحكمة والخلاف وغيرهما: فخر الدين الرازي، ط حيدر آباد الدكن - الهند ١٣٥٥هـ.
- ١٥٣ - مناقب الإمام الشافعي: فخر الدين الرازي، تحقيق د. أحمد حجازي السقا، مكتبة الكليات الأزهرية - القاهرة ١٤٠٦هـ.
- ١٥٤ - المنتقى من منهاج الاعتدال: شمس الدين الذهبي، تحقيق محب الدين الخطيب، ط مصر.
- ١٥٥ - منظومة الشهاب الثاقب: محمد باقر الحجة (١٢٧٣ - ١٣٣١هـ)، المطبعة المرتضوية - النجف الأشرف ١٣٥٤هـ.
- ١٥٦ - منهاج السنّة النبوية: أحمد بن عبد الحلّيم بن تيمية، المطبعة الكبرى الأميرية - مصر ١٣٢٢هـ.
- ١٥٧ - منهاج الكرامة في معرفة الإمامة: الحسن بن يوسف بن المطهر الحلّي المعروف بالعلامة الحلّي (٦٤٨ - ٧٢٦هـ)، ط مصر.
- ١٥٨ - المنهل الروي: بدر الدين بن جماعة (٦٣٩ - ٧٣٣هـ)، تحقيق د. محي الدين عبد الرحمن رمضان، دار الفكر - دمشق ١٤٠٦هـ.
- ١٥٩ - المواقب: عبد الرحمن بن أحمد الإيجي (ت ٧٥٦هـ)، مصورة عالم الكتب - بيروت.

ذم الفرقة والاختلاف ٣٣٣

١٦٠ -الموطأ: مالك بن أنس (٩٠- ١٧٩هـ)، دار الكتب العلمية - بيروت ١٤٠٥هـ.

١٦١ -ميزان الاعتدال: شمس الدين الذهبي، تحقيق علي محمد البجاوي، دار المعرفة - بيروت.

(ن)

١٦٢ -النص والاجتهاد: السيد عبد الحسين شرف الدين الموسوي (١٢٩٠ - ١٣٧٧هـ)، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات - بيروت ١٤٠٨هـ.

١٦٣ -نظم المتناثر من الحديث المتواتر: جعفر بن إدريس الحسيني الشهير بالكتاني (١٢٤٦ - ١٣٢٣هـ)، دار الكتب العلمية - بيروت ١٤٠٣هـ.

١٦٤ -النهاية في غريب الحديث: مجد الدين أبو السعادات ابن الأثير (٥٤٤ - ٦٠٦هـ)، تحقيق الزاوي والطناحي، ط مصر.

١٦٥ -النهاية في الفتن والملاحم: أبو الفداء ابن كثير الدمشقي، تصحيح أحمد عبد الشافي، دار الكتب العلمية - بيروت ١٤٠٨هـ.

١٦٦ -نور الأبصار في مناقب آل بيت النبي المختار: مؤمن بن حسن مؤمن الشبلنجي (١٢٥٢ - ٠٠٠هـ)، مكتبة مصطفى البابي الحلبي بمصر ١٣٦٧هـ، والدار العالمية - بيروت ١٤٠٥هـ.

١٦٧ -نيل الأوطار: محمد بن علي الشوكاني، دار الكتب العلمية - بيروت ١٤٠٣هـ.

(هـ)

١٦٨ -هدية العارفين: إسماعيل باشا البغدادي، مصورة دار الفكر - بيروت ١٤٠٢هـ.

(و)

١٦٩ -وفيات الأعيان: أحمد بن محمد بن خلكان (٦٠٨ - ٦٨١هـ)، تحقيق د. إحسان عباس، دار صادر - بيروت.

٣٣٤ دليل المتحيرين

١٧٠ - الوافي بالوفيات: خليل بن ابيك المعروف بصلاح الدين الصفدي (٦٩٦ - ٧٦٤هـ)، دار النشر فرانزشتاينر بفيسبادن ١٤٠١هـ.

(ي)

١٧١ - ينابيع المودة: سليمان بن إبراهيم القندوزي الحنفي (١٢٢٠ - ١٢٩٤ هـ)، دار الكتب العراقية - العراق ١٣٨٥ هـ.

فهرس الموضوعات

الموضوع	الصفحة
المقدمة.....	١١
المدخل إلى البحث.....	١١
الفصل الأول: ذم الفرقة والاختلاف.....	١١
الفصل الثاني: افتراق الأمة إلى ثلاث وسبعين فرقة.....	١١
- حديث افتراق الأمة إلى ثلاث وسبعين فرقة.....	١١
- طرق الحديث.....	١١
- صحة أسناد الحديث.....	١١
الفصل الثالث: فرق الأمة الثلاث والسبعون.....	١١
الفصل الرابع: أسباب حدوث الفرقة.....	٢٢
- السبب الأول: رزية يوم الخميس.....	٢٢
طرق الحديث.....	٢٢
تأملات في الحديث.....	٢٢
- السبب الثاني: ظهور المنافقين.....	٢٢

- ٢٢ - السبب الثالث: الأئمة المصلّون
- ٢٢ - السبب الرابع: البغي
- ٢٢ - حادثة السقيفة
- ٢٢ - علي عليه السلام وخصومه
- ٢٢ - السبب الخامس: الأحاديث الموضوعية
- ٢٢ - الفصل الخامس: فرقة علي الحق
- ٢٢ - الفصل السادس: الفرقة الناجية
- ٢٢ - الطائفة الأولى من أحاديث افتراق الأمة
- ٢٢ - الطائفة الثانية
- ٢٢ - تأملات في الحديث
- ٢٢ - الطائفة الثالثة
- ٢٢ - الجماعة
- ٢٢ - معنى الجماعة
- ٢٢ - الطائفة الرابعة
- ٢٢ - طرق حديث الثقلين
- ٢٢ - صحة الحديث
- ٢٢ - دلالة الحديث
- ٢٢ - زيادة إيضاح
- ٢٢ - أحاديث آخر دالة على أتباع أهل البيت عليهم السلام
- ٢٢ - الفصل السابع: أهل البيت عليهم السلام
- ٢٢ - اختلاف الأقوال في المراد بأهل البيت عليهم السلام

٢٢ الأحاديث الدالة على أن أهل البيت هم علي وفاطمة وابناهما.

٢٢ الأحاديث الدالة على أن المهدي عليه السلام من أهل البيت.

٢٢ أئمة أهل البيت عليهم السلام هم الذين يجب على الناس اتباعهم.

٢٢ الفصل الثامن: الأئمة الاثنا عشر عليهم السلام.

٢٢ - طرق حديث الأئمة الاثني عشر.

٢٢ - اختلاف الأقوال في الأئمة الاثني عشر.

٢٢ قول القاضي عياض وردّه.

٢٢ قول المهلب وردّه.

٢٢ قول ابن حجر العسقلاني وردّه.

٢٢ قول ابن كثير الدمشقي وابن تيمية وردّه.

٢٢ قول الخطابي وردّه.

٢٢ قول أبي الحسين بن المنادي وردّه.

٢٢ - أئمة أهل البيت عليهم السلام.

٢٢ الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام.

٢٢ ما قيل في فضائله.

٢٢ من فضائل علي عليه السلام.

٢٢ الإمام الحسن بن علي عليه السلام.

٢٢ الإمام الحسين بن علي عليه السلام.

٢٢ الإمام علي بن الحسين زين العابدين عليه السلام.

٢٢ الإمام محمد بن علي الباقر عليه السلام.

٢٢ الإمام جعفر بن محمد الصادق عليه السلام.

- ٢٢ الإمام موسى بن جعفر عليه السلام
- ٢٢ الإمام علي بن موسى الرضا عليه السلام
- ٢٢ الإمام محمد بن علي الجواد عليه السلام
- ٢٢ الإمام علي بن محمد الهادي عليه السلام
- ٢٢ الإمام الحسن بن علي العسكري عليه السلام
- ٢٢ الإمام محمد بن الحسن المهدي عليه السلام
- ٢٢ المهدي عليه السلام هو إمام العصر
- ٢٢ إشكالات حول المهدي عليه السلام وجوابها
- ٢٢ الفصل التاسع: في بيان أتباع أهل البيت عليهم السلام
- ٢٢ - نجاة أهل البيت عليهم السلام ونجاة أتباعهم
- ٢٢ - الشيعة الإمامية هم أتباع أهل البيت عليهم السلام
- ٢٢ - شبهة وجوابها
- ٢٢ - شبهة أخرى وجوابها
- ٢٢ - الأدلة على متابعة الشيعة لأهل البيت
- ٢٢ الفصل العاشر: في بيان حقيقة مذهب الإمامية
- ٢٢ - الدليل الأول
- ٢٢ - الدليل الثاني
- ٢٢ - الدليل الثالث
- ٢٢ - الدليل الرابع
- ٢٢ - الدليل الخامس
- ٢٢ - الدليل السادس

٣٣٩	ذم الفرقة والاختلاف
٢٢	- الدليل السابع
٢٢	- الدليل الثامن
٢٢	- الدليل التاسع
٢٢	ملحق: فتوى شيخ الجامع الأزهر بجواز التعبد بمذهب الشيعة الإمامية
٢٢	فهرس المراجع
٢٢	فهرس الموضوعات